

خالد المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية الثقافية

العدد (٥٩) المجلد (٦٦) العام (٧٠) المحرم وصفر ١٤٢٥ هـ - مارس وأبريل ٢٠٠٤

مسابقة
المنهل الثقافية
قسمة المسابقة داخل العدد

مفهوم العلم

في العقل العربي

الموارد الطبيعية .. إلى أين؟!

الحوار

الوطني

خطوة في الطريق

للقديم

روعته

حسين عرب

محمد الحاسر

محمد حسين زيدان

محمد حسن عواد

التحيط

يخلد الطبيعة

Per.
059.927

بسم الله الرحمن الرحيم

دار المنظار

مجلة للأدب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة

العربية السعودية - جدة

عن دارة المنهل

للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المفقور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م

ملكها ورأس تحريرها

المفقور له

نبيه عبد القدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٢ هـ / حتى ١٤٢٤ هـ



دار المنظار

المركز الرئيسي

جدة الشرقية ص ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١

برقياً: المنهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٢٩٧٦٥

٦٤٢٥٦٨٧ - ٦٤٢٣١٢٤

الرياض: ص ب ٢٩٠

تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

مما قل

دمعة وإبتسامة بين

علم مضى وعلم حضر



دارت (عجلة) الزمان دورتها السريعة:

فاذا بها تطوى صفحة عام (١٣٥٧هـ) لتعرض للعالم، بدلا عنها،

صفحة عام (١٣٥٨هـ).

وفي اللحظات الأخيرة التي أوشكت يد الزمان أن تنجز فيها (عملية) هذا الطي والنشر؛ وهذا الحو والابتات، استطاع الذهن المكود أن يستعرض بعض النواحي، من آثار العام المنصرم، فمضيت في انهماك أقلب صفحاته، فهاأنى ما حوته من ألوان الدمار، وأنواع الشؤم المستطير.

فكلك «فلسطين»، الأرض المقدسة، قد هوت «يده» الجبارة على بنيانها العربي الخالد فكادت تقوضه من أساسه، وتسلطت جراثيمه الموبوءة على رياضها الغناء، فكادت تغلقها من جذورها؛ وجمعت ذئابها البشرية الساغية من كل صوب وحذب، على أبنائها البررة فكادت تسحقهم عن آخرهم.

تأملت في كل تلك الخطوط السوداء، والمخلفات المشوثة، التي تركها لنا العام المنقضى عبءا ثقيلا وهما طويلا، وشرأ مستطيرا، وديناميتا خطيرا، فلم يتمالك القلب المصدر أن ينثث على اللسان المتلعثم قوله:

كل شيء فيك يا عام مضى

منذر بالشؤم في أقصى مداه

ثم نظرت الى الأمام؛ فاذا «وايد جديد» يستقبلنا بشغره الياسم، وطلته المشرقة، هو عام (١٣٥٨هـ) فاستبشرت باستقباله، وقات: لعل سحابة الغم الثقيلة جاء دور انقشاعها بيمين هذا الطالع الجديد؛ الذي نرجو أن يكون (الطيب) الآسى لجراح زميله القاسى، فما بعد العسر الا اليسر، وقديما قيل:

إشتدي «أزمة» تنفجرى

فقد ألن ليلى بالبلج

ومن ثم ابتسمت ابتسامة ملؤها الأمانى والأمل، وقلت: متفائلا للعام المستهل:

كل شيء فيك يا عام آتى

مؤلن باليمن في مدى الحياة

الحرم ١٣٥٨هـ

فبراير ١٩٣٩م

عبد القدوس الأنصاري

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر جنيهان

تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بييسه - الامارات ٨ دراهم

البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

أما بعد

لعل الآتي أفضل...!!

ما من عام إلا قلنا الآتي أفضل منه ١٠٠٠
فاذا بمخبات الأقدار تظهر لنا فيه ما يفوق سابقه من الشدة
والبؤس ١١٠٠
ثرى، هل لآلا لا تحسن قراءة أسطر الأيام في تواليها
وتعاقبها ١٢٠٠

أم لآنا نقرؤها ولا نعتبر ١٣٠٠
أم لآنا نعرض أعراضاً عن قراءتها .. ونشيع بوجوهنا عنها
.. ونكتفى فقط بـ (الأماني) ١٤٠٠

مثلنا في ذلك مثل الذي يكتفى بتسكين الداء، لا علاجه ..
في فلسطين المفتتحة، خمسون عاماً أو تزيد من الإذلال
والقهر والظلم، من القتل والدمار والتشريد .. وكل سنة عندهم
أسوأ من سابقتها ..

في أفغانستان، في الشيشان، في كشمير، في العراق ..
دمار في دمار .. في دمار ..

إن كان كل هذا قد حدث بأيدي من لا سبيل لنا بهم، من
القوى الكبرى - كما يقولون - فإن من أبناء جلدتنا من أشاع
الربح والخوف، ممن تشوش فكرهم .. أبناء جلدتنا هؤلاء تشبعوا
بآراء مغلوطة خاطئة، دفعت بهم في أتون القتل والدمار والتفجير ..
لقد آمن الحق سبحانه على القرشيين بأن (أطعمهم من جوع
وأمنهم من خوف) .. إنهما نعمتان كبيرتان من نعم الله سبحانه
وتعالى على عباده .. (من بات آمناً في سريه عنده قوت يومه فقد
حيزت له الدنيا) ..

أما أن تبصري حفنة من البشر لتتشر بين الناس (الخوف
والربح) وتسلبهم (لذة عيشهم، وهاني يومهم) فإنه من نكد
الدنيا، ومنقصات الحياة ..

كل هذا: من مخبات الأقدار، وعلينا ان نحسن قراءتها .. ثم
لنحسن اختيار العلاج الناجع .. والكيس من أخذ العظة من أمسه
ليومه ..

المحرر

المشرف العام

أ.د/ عبدالرحمن
الطيب الأنصاري

رئيس التحرير

المدير العام

زهير نبية
عبدالقدوس الأنصاري

عزيزي القارىء

عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من
صفحاتها آيات قرآنية كريمة
وأسماء الله الحسنى فضلاً
عن أحاديث نبوية شريفة
الرجاء المحافظة عليها ..

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق
في تحديد أولويات النشر
ويخضع ترتيب مواد المجلة
لاعتبارات فنية لا علاقة لها
بالموضوع أو مكانة الكاتب
ويشترط في الاسهامات عناصر
الجدة، العمق والرصانة العلمية،
للمجلة الحق في عدم نشر
المواضيع التي تراها غير
مناسبة للنشر دون الالتزام
بإعادة الموضوع لمصدره، كما
يرجى الإشارة لمصادر المادة
بصورة واضحة.

العنوان البريدي:

E-mail: AL-Manhal@Al-manha.Com.sa

عنوان موقع الإنترنت:

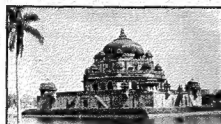
URL: WWW.AL-Manhal.Com.Sa

الشركة السعودية للتوزيع

٧ - ٢٢١٨٦٧٢	سبيل	٢ - ٧٧١٨٦٧	النفجي	٢ - ٦٥٢٠٩٠٩	جدة
٦ - ٤٣٣١١٣	الجمعة	٢ - ٧٤٥٤٣٣	الطائف	١ - ٤٧٣٨٠٥	الرياض
٦ - ٥٢٢١٥٥٥	خائل	٤ - ٤٣٣١١٣	تبوك	٣ - ٨٤١٠٨٤٠	الدمام
٤ - ٢٢٢٥٨٤	ينبع	٣ - ٧٢١٠٣٦	حفر الباطن	٢ - ٥٥٨٥٠٨	مكة المكرمة
٤ - ٦٤٢١١٩٦	القريات	٣ - ٣٢٢٠١٥٨	الجبيل	٤ - ٨٤٧٠١٢٥	الدمية المنورة
٦ - ٢٤٢٢٠٧٠	القصيم	٧ - ٣٢٢٠١٠٤	جازان	٧ - ٧٧١١٧٥	الباحة
٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦	الرقم الجاني	٧ - ٥٢٢٠٩٠١	نجران	١ - ٦٤٢٢٢٧٤	الدوادمي
		٢ - ٥٢٢٧٧٠٧	القصيم	٤ - ٦٢٥١٨٨٢	الجوف

٤ - ما كان الرفق في شيء إلا زانه

رئيس التحرير



١٢ - الفن الاسلامي في الهند

ترجمة فاضل كمال الدين

٢٤ - دور الكتب النبوية في نشر الايمان

د. محمذن بن احمد بن المحبوب

٣٢ - في القصص النبوي (إرم ذات العماد)

د. عبد الباسط حموده

٣٨ - العقاد وملامح المنهج النفسي

د. سعيد بوعطيه

٤٢ - مفهوم العلم في العقل العربي

د. علي القاسمي

٥٦ - أحماض أدبية (الاسرار الدفينة في المكتسة الثمينة)

د. احمد عطية السعودي



٦٠ - ابن النقيب شاعر

الطبيسة الدمشقي

غادة الشريف

٧٠ - التحنيط فن يخلد الطبيعة

حوار - محمد محمود السويركي

٧٦ - المسرح والفنون الأدبية الأخرى

د. زياد الحكيم

٨٢ - في التراث حقائق وأوهام (التوحيدي متصوفا)

د. محمد عماره

٨٥ - يا شاطئ البحر (شعر)

مروان علي المزيني

الإشتراكات

جسدة ت: ٦٤٢٢١٢٤

قيمة الإشتراك السنوي

للؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.

قيمة الإشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكلاء

التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة

٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام

للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -

الشركة التونسية للصحافة/

تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفة

للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ -

شركة الإمارات للطباعة والنشر

والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ -

دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع

الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار

اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ -

الشركة المتحدة لتوزيع الصحف

والمطبوعات د.م.م/ الكويت/

٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال

لتوزيع الصحف/ البحرين/

المنامة ٥٢٤٥٥٩ -

الإعلانات:

يراجع بشأنها

الأداة ت: ٦٤٢٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة

للطباعة والنشر - جدة تليفون :

٦٣٩٤٠٩٥ - فاكس : ٦٣٩٦٠٦٠

**** في خطاب العلماء الرياضيين، أو
تفسيبهم، ظهرت فتاوى التكفير**

ص ٤

**** بسبب تفكيك الخطاب النقدي
والفكري: منذ العرب كان المصور
الغربي أكثر عرضة**

ص ٣٨

**** كسائم العلم يلغونه كل شيء**

ص ٤٢

**** المسرح أشد تأثيلاً في
المتلقي من السينما**

ص ٧٦

**** (دائرة معارف القرن العشرين)
جمهد علماء في فرد واحد**

ص ٩٢

**** العروب الإسلامية، إرمقان الحق
وصون كرامة الإنسان**

ص ٩٨

**** لاهتمامهم بالترجمة، الخليفة
المأمون كان يعدل ثمن
الكتاب المترجم ذهباً**

ص ١٢٤

**** أرادت همنغواي نسي أول
محاولة أدبية**

ص ١٤٢



**٨٦ - أحلام النوم
والاستظة... وهم أم
حقيقة**

د. عبد الرحمن العيسوي

٩٢ - رحلة في المكتبة (دائرة معارف القرن العشرين)

د. محمد رجب البيومي

٩٨ - نفحات من حطين

سميحة الصعبي

١٠٢ - ألف .. باء (قصة قصيرة)

د. طه وادي

١٠٨ - الموارد الطبيعية الحية الى أين ١٩٠٠

رجب سعد السيد

١١٤ - امراء الحرمين الشريفين عبر التاريخ

السيد ضياء محمد عطار

١١٦ - شاعر البحرين (ابراهيم العريض)

عثمان محمد مليباري

١١٩ - في المنهج وخصائص التفكير

د. شلتاغ عبود

١٢٤ - الترجمة .. أصولها ومناهجها

د. محمد السيد علي بلادي

١٣٤ - (راسين) شاعر العواطف الانسانية

د. طاهر تونسي

١٣٨ - فتاة من التلال (قصة)

ترجمة/ توفيق ونوس

١٤٢ - قصة غير منشورة لـ (همنغواي)

ترجمة/ منى حداد

١٤٦ - الفروق في اللغة (الفقير والمسكين)

د. ياسين بن ناصر الخطيب

١٥٠ - شذرات الذهب (أحمد بن طولون)

د. ابو حسام

١٥٣ - للقديم روعته

١٥٨ - مسك الختام (أسئلة الرواية)

د. عبد العزيز الخطابي

هذه الأمة مرحومة .. في عصور ازدهارها عاشت متألّفة، مع اختلافها في الرأي .. يسمعون آراء بعضهم ويتناقشون ويتحاورون .. ويختلفون، ما شاء لهم أن يختلفوا .. لكن لم يحقر بعضهم رأي بعض .. ولم يلعن بعضهم بعضاً، ولم يكفر بعضهم بعضاً .. تعايشوا في تواد وتراحم والتقاء منقطع النظير .. ذلك، لأن السلف الصالح فهم وأيقن، أن الحياة كلها (اعتدال وتوازن) الحياة بكل جزئياتها وتقاصيلها ومعطياتها ..

بل الكون نفسه أقامه الله سبحانه وتعالى على (الاعتدال والتوازن) ..

{ الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت } : توازن دقيق محسوب .. كل شيء فيها بمقدار .. ولا شيء فيها يتجاوز خطه المرسوم له .. (والشمس تجري لمستقر لها .. ذلك تقدير العزيز العليم .. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم .. لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) .. انه التوازن والاعتدال ..

وهذا التوازن والاعتدال في كون الله سبحانه، ينبغي أن ينسحب على خلق الله اجمعين حيث لا شطط ولا طيش، وحيث لا غبن ولا تغابن .. وحيث لا حقد ولا ضغائن .. بل حياة يجري نهرها بين الناس سهلاً ميسوراً، يمتعون به جميعهم ..

التطرف في كل شيء ممقوت .. والفلو في أي شيء ممجوج .. حتى في الحلال والمباح .. الأكل والشرب .. مباح، لكن (كثراً واشربوا ولا تسرفوا) ..

الانفاق والتصدق على الآخرين أمر كريم محمود، ومدعو إليه، لكن (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تيسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) ..

الكرم : من سمات الخير والبر والرحمة والرجولة، لكنه إذا زاد عن الحد المعقول فيه أصبح تمييزاً، والتبذير ممقوت (ولا تبذر تبذيراً) .. اذن، هذا الدين يحكم امله بوسطية محكمة، هي قوام حياة الناس، وأساس حركتهم المتنامية في الحياة أبداً ..

{ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً } ..

أمة تحكم بالعدل والقسط بين أفرادها وجماعاتها .. بل حتى بين أبناء الأسرة الواحدة .. (القوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه .. والضعيف عندي قوي حتى أخذ الحق له) ..

الأمة التي يحكمها رأي واحد فرد، يظن انه الحق وما دونه الباطل، أمة مآلها الى زوال .. لكن الأمة التي تتبع الحكمة في آراء الآخرين، وتحترمها وتتأخذ بها هي الأمة الباقية .. هذه الأمة، أمة مرحومة .. ظهرت فيها أربعة مذاهب فقهية عظيمة .. لم يقل صاحب مذهب منهم رأياً هو الصواب وما عداه هو الخطأ .. لم يقل أحد منهم بذلك ..

لماذا نحن الآن، نحجر واسعاً ونضيق منفرجاً .. لماذا ؟؟؟؟

كل واحد منا الآن وكل جماعة .. وكل فرقة تقول انها الفرقة الناجية .. والآخرين هلكت في النار .. هؤلاء أهل السنة والجماعة .. وأولئك أهل الضلال والهوى !!

لماذا كل هذه التقسيمات الحادة ؟؟؟

كلنا مسلمون .. كلنا نعبد رباً واحداً .. ونصلي الى قبله واحدة .. ورغم هذا يحدثنا البعض وكأنهم في الجنة .. وكأن الآخرين في النار ..!

نعلم أن المسلمين متفاوتون في تطبيق تعاليم دينهم، حسب الاستعداد الفطري لكل منهم، لكنهم ليسوا مارقين عن دينهم .. لأنهم أصحاب قبلة واحدة .. الامام مالك .. عليه رضوان الله .. لما أشار إليه هارون الرشيد بحمل الناس على الموطأ دون غيره، قال له الامام مالك، لا تفعل يا أمير المؤمنين، حتى لا تكن فتنة، لأن الصحابة

زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري

رئيس التحرير

رضوان الله عليهم أجمعين قد تفرقوا في الأمصار، ومعهم علم كثير وأحاديث لم تبلغ الآخرين فيعلموا بها . وهذا ، لا شك وعي حضاري متقدم من الامام الجليل مالك بن أنس . . وهو في ذات الوقت انراك واع للرأى الآخر ومكانته . . بل وادراك لضرورة الحفاظ على الرأى الآخر ما دام مبنياً ومؤسساً على قواعد راسخة من الاجتهاد المدرك لمسئوليته . وهذا الفهم الحضاري المتمكن في أذهان وعقول ائمتنا الأخير السابقين اختل كثيراً الآن، ولا نكاد نعثر عليه الا عند قلة ممن رحم ربي . .

كنا نود من علمائنا الافاضل الاكياس، ألا يحملوا الناس على رأى واحد في الفتوى، ولا على مذهب واحد، بل كنا نود منهم للحفاظ على سلامة المجتمع، وسلامة دينه، وأمنه، وتماسه، وحفاظاً على الأمانة العلمية في ابداء الرأى أن يبينوا في فتواهم كل الآراء الممكنة الواردة في الفتوى، حسب آراء العلماء المجتهدين . . لا أن يحملوا الناس حملاً على رأى واحد . .

[[ياكم والغلو في الدين . .] قاعدة نبوية ذهبية، ينبغي ان نعش عليها بالنواجز . . ينبغي ان نقيم عليها منهج حياتنا . . كل ذلك لأن (هذا الدين متين وما شاد الدين أحد إلا غلبه) . . لذلك ينبغي أن نغول في هذا الدين برفق، وأن نأخذ منه برفق، بل أن نتعامل مع بعضنا برفق . . (ما كان الرفق في شيء إلا زانه . . وما نزع من شيء إلا شانه) . .

في العقدين الأخيرين من القرن السالف، ساد المجتمعات العربية الكثير من الهرج والفتوى والافتتال، بسبب عدم بسط الحريات، والتسلط والقهر والاذلال لأصحاب الرأى المعارض . . بل وسلبه حقه المكفول له قانوناً وعرفاً . .

هذا اضافة الى غياب أو تغييب الرأى الديني المستنير المعتدل، الصادر من بعض العلماء المعتدلين . . إضافة الى تسلط القوى العالمية المتجبرة، بإيد ظاهرة أو خفية، على مقدرات الشعوب ومكتسباتها اضافة لبشاعات العدو الصهيوني الغاصب للأرض والعرض . . كل ذلك يظل يتفاعل في ضمير الأمة، ويقض مضجعها . . في تلك الفترة نشأ جيل جديد على مستوى عال من الوعي العربي والاسلامي بأجمعه، وقد فحرت تلك الصورة القاسية في مخيلته، فما كان منه - أى هذا الجيل - إلا أن يوجد مرجعيته بنفسه . . مرجعيته الدينية في الفتوى، تحليلاً وتحريماً . . جهاداً ومسألة - تكفيراً وتأميناً (إن صحت الكلمة) . .

ومرجعياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . بل حتى مرجعياته الروحية والنفسية التي يطمئن لها ويهدأ بها بالاً . .

ومن هنا كانت البداية . . بداية الانحراف عن الجادة . . في غياب المرجعيات الموثوق بها، أو تغييبها بقصد، نشأت مرجعيات أخرى بموازاتها . . فتتى في أخطر القضايا وأدهاها وأمرها، ظناً منهم انهم على صواب . . ويشيعون فتواهم بأنهم الأصوب، والأحق بالاتباع . . وما عداها، فهي الباطل الصراح . . حسب رأيهم . . وهنا وقعت مجتمعاتنا العربية في فوضى تناقض الفتوى . .

في غياب (العلماء الريانيين) أو تغييبهم، ظهرت فتاوى (التكفير) . . وبين يديها استحلال دم الناس، من مسلمين وغير مسلمين . . استحلوا دماءهم وأموالهم، بحجة الجهاد في سبيل الله . .

والجهاد في سبيل الله تعالى، وإن كان أمراً مشروعاً لكن له شروط وأسسه التي يقوم عليها . . ولا يعلن الجهاد، ولا تقوم مسوغاته، ولا تعلن إلا من قبل ولي أمر المسلمين، حتى لا تكون فوضى، وحتى تصان دماء الناس من الاعتداء، والأخذ بالظن، أو الخطأ . .

سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو المرجع الأعلى ما كان يقدم على غزوة من غزواته حتى يجمع أهل الرأى والمشورة، ويناقشهم في الأمر، ثم إذا ما كان منه العزم مضى وصحابته الأكارم الى ما وطئوا الرأى عليه . .

كل هذا صوناً للدم والمال والعرض، من أن يؤخذ بخطأ، أو يؤخذ بظن . . أو فتوى فردية لا يسندها علم محكم، أو عقل راجح، أو رأي رشيد . .

لقد أعلمنا سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن المؤمن أعظم حرمة عند الله من حرمة الكعبة . . هذه الكعبة المشرفة التي تؤمها في صلواتنا ودعواتنا، وهي محرمة، فإن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتها فما بالنا نتعدى على حرمة دم المؤمن . .

بل (إزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم) . .

بل (قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق) . . ليس هذا فحسب، بل الآية الكريمة تحذرنا بصوت عال: **(أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) . .**

لا نشك لحظة، أن قتل الناس وترويع الأمنين تحت مسمى الدين والجهاد، ما هو إلا غلو في الدين، وتطرف، وما هو إلا الارهاب بعينه . .

الحوار الوطني .. خطوة في الطريق الصحيح

٦ - الفتوى المعاصرة وربطها بالواقع الاجتماعي وأثر ذلك على الوحدة الوطنية وتماسك الداخل/ فتوى الأفراد مقابل فتوى الجامع والهيئات العلمية دراسة وتقييماً.

المحور الثاني: (العلاقات والمواثيق الدولية وأثر فهمها على الوحدة الوطنية).

ويشتمل على الموضوعات التالية: العلاقات الدولية في الاسلام الدعوة في الداخل الدعوة في الدول الاسلامية وغير الاسلامية.

١ - اهمية المصالح المشتركة في علاقات المملكة العربية السعودية بالدول الاخرى.

٢ - التعامل مع غير المسلمين في ضوء الكتاب والسنة.

٣ - الجهاد وأحكامه.

وكتيجة عملية للقاء الفكري الاول للحوار الوطني، انعقد في مكة المكرمة فعاليات الحوار الوطني الثاني، في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني للفترة (٤ - ٨ ذو القعدة ١٤٢٤هـ) وهذا الحوار الفكري الثاني جاء ليعالج موضوعاً أساسياً (الغلو والاعتدال .. رؤية منهجية شاملة) ..

وناقش المتحاورون النقاط التالية:

* الجوانب الشرعية: فبينوا مفهوم الغلو، ونهي الشريعة عنه، مع ذكر لجمال مظاهر الغلو المعاصر وبيان الصلة بين الحكم والحكم وعلاقة ذلك بالغلو والاعتدال.

* الجوانب النفسية والاجتماعية: ودرسوا فيه الموضوعات ذات الصلة بالتربية والتنشئة الاجتماعية، وأنماط وسمات الشخصية المتطرفة.

* الجوانب التربوية: ودرسوا فيها أثر المناهج الدراسية الدينية ودور المعلم ومؤسسات التعليم في إيجاد الشخصية المعتدلة.

* الجوانب السياسية والاقتصادية: وناقشوا فيه أهمية المشاركة الشعبية فكرياً وتطبيقاً في معالجة الغلو، وأثر عوامل الفقر والبطالة في ظواهر الغلو والانحراف.

* الجوانب الإعلامية: وتناول الباحثون فيه التناول الاعلامي لشككة الغلو، وأثر الخطاب الديني في وسائل الاعلام المختلفة في مواجهة الغلو وتحقيق الوسطية والاعتدال.

وجاء في البيان الاعلامي الذي اصدره مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني: (ان اللقاء قد حقق اهدافه بنشر روح الحوار بين المشاركين بأسلوب يحقق المصالح العليا لهذا الوطن، حيث تبادل المشاركون الرؤى والافكار وتلمسوا الطول والاقتراحات اللازمة).

علماء الامة في كل تخصصاتهم ومستوياتهم ومعارفهم، يمثلون مركز الوحي في كل الامم، وهم أهل الحل والعقد ... وما بلغت الدول قمة تقدمها ونزوة ازدهارها ونمائها إلا باستشارة علمائها ... ويجهد العلماء تقوم حضارات وترقى أمم ... ويباعدهم عن دائرة الضوء، تسقط أمم وتتحدي حضارات.

ولقد أوصانا الاسلام كثيراً بالعلماء خيراً ... العلماء في كل تخصصاتهم ومناهجهم وعطاءاتهم ... والدولة المتحضرة أحوج ما تكون في حوار وطني دائم ... يناقش ويصاير ويجادل ... وكل بيدي رأي في احترام متبادل ونزيرة للرأي الآخر ...

والمملكة العربية السعودية ، في هذا الزمن المتغير المتبدل أحوج ما تكون للحوار لتركييز مفاهيم ومضامين الوحدة والتوحيد، وإعلاء راية الخير والعدل بين الناس ... ونحت هذا المضمون العام، التقى علماء ومفكر ومتفق وأدباء المملكة في اكبر تظاهرتين حواريتين تحت مسمى (الحوار الوطني) ... وفي كلمته المؤصلة لهذا (الحوار الوطني) يقول صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد:

«ولا شك في أنكم تتفقون معي في أن أنجع الاساليب وأجداها في هذا الاتجاه هو الاقتناع ومخاطبة العقل والاستعانة بالمنطق الفكري في اطار منطق سليم وحوار هادئ، منظم يركز على بيان الحق واحترام الرأي الآخر واتاحة الفرص لتبادل الرأي والمناقشة».

من هذا المنطلق فقد نشأت فكرة اقامة هذا الحوار الفكري في لقاء وطني بين أبناء الوطن المهتمين بهيمومه المعنوية بشؤونهم وشجونهم ليتناول عددا من الموضوعات التي تختلف فيها الآراء ويؤثر حولها الجدل ويكثر فيها النقاش في جو من الحوار العلمي الموضوعي الهادئ، بعيداً عن أجواء التنافر ووحشة القلوب واساة الظن».

وكان اللقاء الأول لـ (الحوار الوطني) قد عقد في مدينة الرياض في الفترة (١٥ - ١٨ ربيع الأول ١٤٢٤هـ) ومن محاور اللقاء الأول:

١ - تعريف الوحدة الوطنية واهمية الوحدة والاصول الشرعية التي تبني عليها والدور الريادي للعلم والعلماء في المملكة العربية السعودية في ضمان الوحدة الوطنية.

٢ - الغلو والتشدد والتوسع في سد النرائع في مقابلة التحلل من الثوابت الشرعية وأثر ذلك على المجتمع.

٣ - التنوع الفكري بين شرائح المجتمع.

٤ - حقوق وواجبات المرأة ودورها في المجتمع.

٥ - حرية التعبير .

جائزة أبها للثقافة ١٤٢٥هـ

مفتوح وتكون مؤطرة بإطار جيد يحمي العمل من الخدش والتلف - (١٨٠٠٠ ريال).

(شروط وإيضاحات عامة)

١ - الجائزة مفتوحة للجنسين من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي والعرب المقيمين بالملكة.

٢ - تستوحي الموضوعات مما يعزز الانتماء وحب الوطن.

٣ - يفضل أن تتضمن الأعمال الفنية شيئاً من الجديد الذي لم يسبق عرضه.

٤ - تقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالملكة ومن المراكز الثقافية المعترف بها ومن الشخصيات الاعتبارية، ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح. وستقدم شهادة تقديرية للجهة التي فاز مرشحها مع دعوة ممثلها لحضور الملتقي.

٥ - تقدم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.

٦ - ترفق ثلاث نسخ من الأعمال المقدمة.

٧ - ألا تكون الأعمال المقدمة قد سبق التقدم بها لنيل جائزة أخرى.

٨ - الترشيحات والأعمال المقدمة (البحوث - الشعر - الرواية - القصة القصيرة) مع عنوان المسابق كاملاً بما في ذلك الهاتف والفاكس ترسل أو تسلم إلى (نادي أبها الأدبي - ص ب ٤٧٨ - أبها) هاتف (٠٧٢٢٦٤٢٣٠) - فاكس (٠٧٢٢٦٢٦٦٥). أما (الفن التشكيلي والصور) فتسلم أو ترسل إلى جمعية الثقافة والفنون بأبها هاتف وفاكس (٠٧٢٢٥١٩٧٢) - في موعد أقصاه نهاية شهر صفر ١٤٢٥هـ.

وتتولى أمانة الجائزة فيما يختص بالتحكيم وأي ترتيب آخر ولا تعاد الأعمال المقدمة سواء فازت أم لم تفز... والله الموفق.

جائزة سنوية للاداء في كل جوانبه... وقد أثر الجائزة الحركة الأدبية والفنية والفكرية والعلمية في المملكة العربية السعودية، إلى جانب مجموع الجوائز الأخرى التي تقدمها الفعاليات العلمية والأدبية والثقافية على مستوى المملكة... قيمة الجوائز المقدمة لهذا العام (مليون وخمسمائة ألف ريال) لأربعة فروع هي: (الخدمة الوطنية - الثقافة - التعليم الجامعي - والتعليم العام)...

منها : (مليون وخمسمائة ألف ريال)، مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير... (ومليون ريال) مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد بن عبد العزيز نائب أمير منطقة عسير.

مجالات الجائزة ومقارها:

أولاً: الشعر القصص:

ديوان شعري متميز (مخطوط) أو مطبوع في نفس العام - (٢٠٠٠ ريال).

ثانياً: القصة القصيرة:

مجموعة قصصية متميزة (مخطوطة) أو مطبوعة في نفس العام - (٢٠٠٠ ريال).

ثالثاً: الرواية والمسرح:

عمل مسرحي متميز (مخطوط) أو مطبوع في نفس العام - (٢٠٠٠ ريال).

رابعاً: الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية:

بحث تراثي عن منطقة عسير عن: (العادات والتقاليد والأعراف السائدة قديماً بمنطقة عسير) - (٢٠٠٠ ريال).

خامساً: الفن التشكيلي:

ثلاث لوحات على ألا يزيد مقاس اللوحة عن ١٢٠ سم كاسطول ضلع لها وتكون ذات إطار وإخراج جيد - (١٨٠٠٠ ريال).

سادساً: التصوير الضوئي:

ثلاث صور فوتوغرافية لم يسبق عرضها والمقاس

اتحاد الكتاب والأدباء العرب

أحمد ميانين.

بقي أن تسجل هنا العلم: أن الكثير الكثير من توصيات وقرارات مؤتمرات علماء ومفكرين ومثقفين وأدباء عالمنا العربي والإسلامي بعامة تظل طي الملفات والأضابير، لا ينظر إليها، ولا يعمل بها، بل لا يهتدى برأى منها.

في حين أن هذه المؤتمرات في عالم الدول المتحضرة، تتناولها إدارات الدولة، كل إدارة حسب تخصصها لتحول ما جاء في توصياتها وقراراتها إلى إنجاز، يسعد به المواطن... وترتقى به الدولة.

وهذا هو الفارق بين مؤتمراتنا ومؤتمراتهم... ونودائنا ونودائهم...
- المصدر -

جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج

جوائز

* يدعو مكتب التربية العربي لدول الخليج المؤسسات التربوية والثقافية والعلمية والباحثين في الجامعات ومراكز البحوث في الدول السبع الأعضاء فيه إلى الترشح لجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج للبحوث التربوية للدورة المالية ١٤٢٤ و١٤٢٥هـ.

وهذه الجائزة تهدف إلى إبراز حركة البحث التربوي وتشجيع الباحثين من أبناء الدول الأعضاء في المكتب والقيمة المعنوية للجائزة أكثر من كونها مالية.

وموضوعات الجائزة تتلخص في الآتي:

- توظيف تقنية المعلومات والاتصالات لتطوير التعليم.
- مناهج التعليم العام في الدول الأعضاء بين الواقع والطموح.

- الجودة الشاملة في التعليم.

- المشاركة المجتمعية في التعليم.

وشروط التقدم للجائزة هي:

- أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج.

- لا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم أو حصل به على شهادة علمية.

- يمكن قبول العمل المشترك من قبل مجموعة مؤلفين إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء في المكتب.

- أن يمثل البحث المقدم نظرية تعليمية تربوية أو أسهاماً مبتكراً في مجال البحث التربوي، أو تحقيقاً علمياً مكتوباً باللغة العربية القصصى لأحد مصادر التراث التربوي العربي

في الجزائر، كان انعقاد أعمال واطروحات المؤتمر الثاني والعشرين لاتحاد الأدباء والكتاب العرب... شارك في أعمال هذا المؤتمر أكثر من (٢٠٠) من الأدباء والمثقفين والعلماء والاكاديميين العرب.

جاء هذا المؤتمر تحت محور (ثقافة التغيير أم تغيير الثقافة).

وهذا المحور لا شك يظهر نوعاً من الإزدواجية المتضادة... وهذا التضاد قد يفسح المجال واسعاً لمشاركات قد تكون توفيقية من البعض إذا ما جنت بعض المشاركين إلى الأخذ بأحد المتضادين إذ كانت (ثقافة التغيير) تحمل بين طياتها لازمة مراجعة دائمة ومستمرة لمسيرة الحياة في نظميتها المستوعبة لجزريات أحداث معطياتها، في السلب والإيجاب، وإذا كان هذا المضمون يحمل بين طياته التغيير إلى الأفضل والأحسن والأجود... وهذا هو المأمول فيه والرجو... فهذا من سنن الحياة الفاعلة... وبخاصة إذا جاء هذا التغيير مصحوباً بقناعات مستوحاة من ضمير الأمة، ويحكي تطلعاتها، ويلبى رغباتها، ويضيف جديداً مفيداً.

أما الطرف الآخر من العنوان (أم تغيير الثقافة)، فإنه يمثل خطاً موازياً لمصدر العنوان (ثقافة التغيير)... ونعلم أن الخطين المتوازيين لا يلتقيان... ذلك أن ثقافة كل أمة من الأمم، هي وليدة أجيال وأجيال وأجيال... وهي تراكم عطيات وتجارب وحكم وخبرات، غدت تمثل اليوم مرجعيات الأمة، في أخذها ورفضها... وهو مما ارتقت الأمة عبر أجيالها... ومن ثوابت كل أمة إضافة لما سبق، عقيدتها، ومنطوق شريعته.

إن، بهذا الفهم العام فإن (تغيير الثقافة) يصعب أمراً غير وارد... وهذا بطبيعة الحال لا يمنع الاجتهاد الذكي الواعي في أمر الثقافة لكن داخل دائرته العامة، وليس خارجاً عنها.

وفكرة التغيير الذاتي، من الداخل، قبل أن نجبر عليه من طرف خارجي، هذه الفكرة تكاد تكون المسيطرة، من خلال قراءة كلمات الدكتور على عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب، والاستاذ عن الدين ميهوبي رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين، والسيد الرئيس بوتفليقة في افتتاحه للمؤتمر... فالرئيس بوتفليقة دعاهم إلى منع انكسار الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، لأن الخطب واحد، وأن تعددت تسمياته وأشكاله... والاستاذ ميهوبي أشار إلى أن المثقف العربي اليوم أمام خيارين: إما إعادة هيكلة العقل مع الذات والآخر أو الموت اختناقاً بثاني اكسيد الجهل والتخلف.

أما الدكتور على عقلة عرسان فمن رأيه أنه يجب على المثقف العربي أن يتخندق مع دعاء التغيير الذي يحقق التطور، ويؤمن أن التطور العرفي مدخل لتحقيق التغيير الذي تبقى الثقافة

فتح جديد في علاج داء السكري

ويقرن الانسولين من قبل خلايا متخصصة تقع في غدة البنكرياس. ففي هؤلاء المرضى، يقوم جهاز المناعة بمهاجمة وتدمير الخلايا التي تفرز الانسولين مما يؤدي الى زيادة كبيرة في نسبة السكر في الدم «اعادة تثقيب» لجهاز المناعة. وقد بين الباحثون ان حقن الجردان المصابة بداء السكري بخلايا طحالية مأخوذة من جردان غير مصابة من شبلته «اعادة تثقيب» أو «اعادة تعليم» جهاز المناعة فيها بحيث يسمح بزرع خلايا منتجة للانسولين فيها. ولكن الجردان المصابة بدأت - بعد حقنها بخلايا الطحال - فعلا في انتاج خلايا الانسولين لوحدها. وبين البحث الجدي أن ذلك يحصل فقط عندما يتم حقن الجردان بنوع معين من الخلايا الطحالية التي تتميز عن غيرها بافتقادهما لجزيئة تسمى CD ٤٥. وكان العلماء يعتقدون قبل نشر نتائج هذا البحث انه من المستحيل إعادة انتاج الخلايا المفرزة للانسولين.

وقام الباحثون بالتأكد من النتائج التي حصلوا عليها بحقن الجردان الانثوية المصابة بداء السكري بخلايا طحالية من جردان ذكرية. ووجدوا ان الخلايا المفرزة للانسولين في كل الجردان المصابة التي تمكنت من العودة الى حالة طبيعية تحتوي على نسبة كبيرة من كروموسوم Y الذكري، مما يثبت انها جاءت من حقنها بالطحال الذكري.

وقال دنيس فوستمان مدير مختبر المناعة في مستشفى ماساشوسيتس العام الذي رأس فريق البحث: «لقد توصلنا الى أن الخلايا التي تفتقد CD ٤٥ هي التي تتحول الى خلايا مفرزة للانسولين، وهذه وظيفة لم تكن معروفة سابقا لطحال».

من جانبه، قال الدكتور ديفيد ناثن مدير قسم امراض السكري في المستشفى: «إن هذه النتائج المهمة تؤثر الى أن المرضى المصابين بالمرحلة الأولى من هذا المرض يمكنهم تجنب تلف الخلايا المفرزة للانسولين، كما تؤثر الى احتمال تمكن المرضى بداء السكري الكامل من الشفاء».

✽ آخر الأخبار عن داء السكري:

أوضح أحد المستشارين في أمراض سكر الأطفال في المملكة العربية السعودية أن أكثر من ١٧٪ من سكان المملكة العربية السعودية مصابون بمرض السكر بنوعيه الأول والثاني بعد ما كانت النسبة تزيد عن ٥٠٪ عام ١٩٨٠م. وأخبار المصير المشار إليه إلى أن نسبة المرضى في دول الخليج ارتفعت إلى ٢٠٪ فيما هناك ١٩٠ مليون مصاب في العالم ويتوقع أن يرتفع الى أكثر من ٢٠٠ مليون مصاب عام ٢٠٢٥م. حيث يعيش ٨٠٪ منهم في دول العالم الثالث. وأن مضاعفات مرض السكر تقود الى الفشل الكلوي وأمراض القلب وتقدر تكاليف علاج هذا المرض ومضاعفاته من ٥ إلى ١٠٪ من الدخل الوطني.

بعض الطعام نجح في التوصل الى ان خلايا الطحال يمكن تحويلها الى خلايا تفرز هرمون الانسولين. وقد تمكن علماء امريكيون من ايقاف تقدم المرض في الجردان المختبرية، بل وتمكنوا حتى من عكس سيره فيها.

ويمتدح هذا التطور الجديد املا للمرضى المصابين بداء السكري الذين يحتاجون الى حقن الانسولين (والذي يسمى ايضا سكري الأطفال، وهو داء يختلف عن السكري الذي يصيب الكبار). ويأمل باحثو مستشفى ماساشوسيتس العام الذين توصلوا الى هذا الانجاز في الشروع بتجربته على البشر قريبا. يذكر ان المصابين بهذا النوع من السكري لا يمكنهم انتاج هرمون الانسولين الضروري لتمثيل المواد السكرية والنشوية.

الإسلامي.

- في حال تقديم بحث منشور بغير اللغة العربية يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.

- أن يكون البحث المقدم ملتزماً بمعايير المنهج العلمي.

- تقبل الكتب الترجمة المتميزة التي تخدم الثقافة والتربية والتعليم في الدول الأعضاء ولم تتجاوز طبعتها الأولى في اللغة الأصلية خمس سنوات عند نشر الإعلان عن الجائزة.

١- إجراءات التقديم للجائزة:

- تقديم عشر نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، مع النسخة الأصلية إذا كان الإنتاج مترجماً، ولن يعاد المنتج سواء فاز المرشح أم لم يفز.

- السيرة الذاتية للمرشح ومؤلفاته المنشورة.

- ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.

- العنوان البريدي للمرشح ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني.

- توجه طلبات الترشح الى:

المدير العام لكتب التربية العربي لدول الخليج

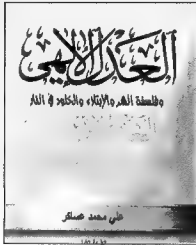
ص.ب ٩٤٦٩٣ الرياض ١١٦١٤ - المملكة العربية

السعودية

WWW.abegs.org

E-mail: abegs @ abegs.org

وعلى أن تصل طلبات الترشح الى المكتب في موعد لا يتجاوز ٣٠ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ١٤ أكتوبر ٢٠٠٤م وقد أسند المكتب مسؤولية اختيار الفائزين الى لجنة من علماء ومفكري المنطقة تقوم بدراسة الأعمال للقيمة، ودراسة آراء المختصين في موضوعاتها، وتمنح جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج للبحوث التربوية للفائز بها، وقدرها (١٠٠.٠٠٠) مائة الف ريال سعودي) وشهادة تقديرية بذلك. وقد تقسم الجائزة على أكثر من فائز.



** صدر كتاب (العدل الإلهي وفلسفة الشر والابتلاء والخلود في النار) تأليف الأستاذ على محمد حسين عساكر في طبعته الأولى ١٤٢٣هـ - مطبعة الأحساء الحديثة. . والكتاب يجمع بين دفتيه الإجابة المفصلة عن اشكالات ثلاثة لها علاقة قوية بالعدل الإلهي وهي (فلسفة وجود الشر - ابتلاء المؤمنين دون الكافرين - خلود الكفار في النار) بالإضافة الى مقدمة في إثبات العدل الإلهي . . ويقع الكتاب في ثمانين صفحة من الحجم المتوسط.

** (مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالية من التدخين) هذا ما تهدف إليه لجنة مكافحة التدخين بالمدينة المنورة. . وهذا ما تثبت من خلال كتابها (التقرير السنوي للجنة مكافحة التدخين بالمدينة المنورة لعام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ويشتمل هذا الكتاب على إفادات هامة حول أهداف لجنة مكافحة التدخين بالمدينة المنورة وإنجازاتها الإدارية والإعلامية والإرشادية وعملها الدؤوب مع أعيان المدينة المنورة ومفكرها وأطباء ومشايخ وتربويين للعمل معا على مكافحة التدخين بالمدينة المنورة التي تعطرت بانفاس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكيف نلوثها بالتدخين!!
والتقرير السنوي يقع في حوالى تسعين صفحة من الورق المصقل مزود بالصور التوضيحية والاحصائيات الدقيقة. . ومن المعلوم أن لجنة مكافحة التدخين بالمدينة المنورة هي لجنة خيرية تسعى لحماية شباب أمتنا من الوقوع في براثن التدخين.



** أناشيد الطفولة ديوان شعر للأطفال - للشاعرة

نوال مهني . .

الديوان به مجموعة من الأشعار السلسة ذات المعاني والألفاظ البسيطة التي تتناسب مع الأطفال ويسهل عليهم حفظها وترديدها وقصائد الديوان متنوعة الأغراض منها الديني والوطني والتعليمي وغيرها ومن عناوينها: (يا مصر يا أمي - قطتي - أطفال الصجارة - إله الكون - نشيد العلم) . . والديوان من الحجم الصغير الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م - الناشر مكتبة الآداب - ميدان الأوبرا - القاهرة.



المراة .. إلى أين ؟!!

الصين، ذلك المؤتمر (البغيض) يعمل على تسويق ملامح المرأة العالمية الجديدة .. وفي ملامح في الكثير من مضامينها تخالف وتناقض ثوابت ديننا وعقليتنا، واتماننا الثقافي.

انهم يريدون المرأة في كل العالم على مضمون ثقافتهم وفكرهم ومناهج حياتهم .. حرية كاملة منفلتة من كل القيود والصود .. هكذا يريدونها .. وأن لم تكن المرأة عندها هكذا، فهي في نظرهم متخلفة عن ركب الحضارة والمدنية والتقدم !!

عندما أنظر الى منيعات ومقدمات البرامج في بعض الفضائيات العربية، أحس بأن أولائي لا ينتمين الى مجتمعاتنا العربية إنهن غاية في التحرر !! أما مغنيات (الفيديوكليب)؛ فحدث ولا حرج .. ولا أستطيع القول أكثر من ذلك ..

تري، هل هؤلاء وأولئك، هن الانموذج الذي يفيغونه في المرأة العربية .. ؟!!
الامر حقيقة يحتاج لوقفة .. !!

ألم بهاء/ جده

في هذه الأيام كثر الحديث عن المرأة العربية، حريتها .. نورها .. أدائها .. ومن خلال فضائياتنا العربية، تعقد الحوارات، ويكثر الجدل، في الصحف والمجلات حول المرأة .. حقوقها .. واجباتها .. تطورها .. تنميتها .. !!

ليس هذا فحسب، بل أمر المرأة قد دخل الى قاعات البرلمانات العربية .. واصبح ضمن أجندتها ..

بل ان كثيراً من الدول العربية أصبحت تتبارى في الحديث عن الدور الفاعل للمرأة .. وهي الآن في هذه الدولة أو تلك، هي وزيرة .. ووكيلة وزارة .. وسفيرة .. الخ .. كأنهم ينفون ويدفعون عن أنفسهم تهمة اسمها (تخلف المرأة في البلاد الاسلامية والعربية).

لكن ترى هل طوفان (النظام العالمي الجديد) .. الطاغى الآن سيقف عند هذا الحد .. هذا الحد المتواضع لدور المرأة - حسب رأيهم - .
(مؤتمر المرأة) .. الذي عقد في مجموعة من الدول الافريقية والعربية والاسيوية، حتى بلغ

الحكومة الالكترونية

هذا الانموذج المصغر، هل بإمكاننا تطبيقه على كل ادارات الدولة ..

متى وكيف يستطيع الواحد منا مراجعة مصالحه وانمام اجراءاته من غير ان يسمع (عدي علينا بكرة ياسيد) .. ومن غير ان يسمع (الموظف المختص في اجازة) ..

بطبيعة الحال، لا نطمح ان يكون الامر هكذا في كل شيء .. لكن لنجلم بأن بعض شيء من هذا سوف يتحقق ..

أو أن (يتصلح) أمر البشر .. !!
الحكومة الالكترونية يكثر الحديث عنها في زماننا هذا .. وتبقى الأيام خيلين بالكثير ..

سعيد الجبريل - أبها -

(عدي علينا بكرة ياسيد) ؟!!
قمة (البيروقراطية) و(السلفاوية) في الادارات العربية .. بطء الايقاع في الحياة العربية بعامة، تبعه بطء مماثل في حركة الأداء في اداراتنا ومكاتبنا .. كل ذلك تبعه تعطيل لمصالح الناس وأعمالهم ..
.. هل من بديل ؟!!

دعونا نأخذ البنوك أنموذجاً .. الآن، تؤدع وتسحب، تسدد فواتيرك، تتعامل مع الأسهم والبورصات، وأعمال أخرى .. كل ذلك، من غير أن تقف في صف طويل، ومن غير أن تنتظر الموظف حتى ينهي محادثته ..

التقنية الالكترونية منحتنا كل هذه السرعة، واراحتنا من كل ذلك العناء ..

آراء

في
الهم
العربي

هذه زاوية

نفتحها لقراء

السهل

ومحبها

يسجلون فيها

أفكارهم

وأرائهم

ومقترحاتهم

في الشأن

العربي العام

إذ هو هم

الجميع، وهو

الوطن الأكبر

للجميع

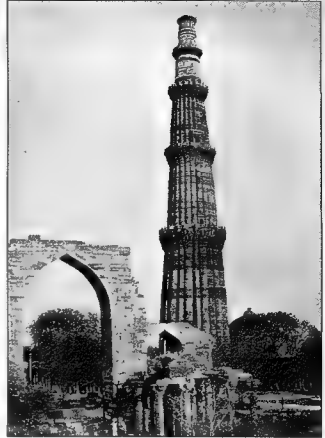
الجميع يحلم

أن يراه فوق

السحاب

وظهرت المرحلة المهمة الأولى من الفن الاسلامي خلال مدة حكم «محمود» من «غزنة» في أفغانستان (٩٩٨ - ١٠٣٠) الذي ضم جزءا كبيرا في شمال غربي الهند والبنجاب الى امبراطوريته الكبيرة في آسيا الوسطى. وبدأ الفن الإسلامي بالتحول ليصبح جزءا مكملًا للفن الهندي بعد مجيء البدو الاتراك و«الغزنيين» وال«سلطانيين» و«الغوريين» الى الهند في أواخر القرن الثاني عشر وظهور حكام وسلاطات حاكمة من العبيد في بداية القرن الثالث عشر. وفي عام ١١٩٢ أصبحت «دلهي» العاصمة لامبراطورية اسلامية هندية موحدة وتحت حكم «قطب الدين أيبك»، وحكم «الخلجيين» و«الطوغلاكيين» الجزء الجيد من الهند ابتداءً من نهاية القرن الثالث عشر وإلى بداية القرن الخامس عشر. ثم تلاشت سلطنة «دلهي» بعد القيام بنهب «دلهي» من قبل «تيمور» في عام (١٣٩٩). وبعد ذلك تم احتلال الهند من قبل «الموغاليين» أحفاد الأمير «بابور» التيموري في بداية القرن السادس عشر.

وكانت الفترة الأولى من الحكم «الموغالي» (١٥٢٦ - ١٥٤٠) قصيرة ومضطربة، وقام «همايون» ابن «بابور» بتسليم مقاليد الحكم لقادة عسكريين أفغانين وذهب مغتربا الى مدينة «تبريز» الصفوية في إيران خلال المدة (١٥٤٠ - ١٥٥٥). وعاد «همايون» الى دلهي في عام (١٥٥٥) ليموت فيها



جامع «قوات الإسلام» في دلهي بناه «قطب الدين أيبك» في قلعة في «لاكنو» قرب دلهي القديمة في عام ١١٩٣ م.

كان العرب قد احتلوا أجزاء من الهند في القرن الثامن وقد تعزز هذا الاتصال الأول. وفي أواخر القرن السادس عشر أصبح الجزء الأكبر من الهند تحت حكم ال«اباطرة» «الموغاليين» المنحدرين من «التيموريين» في آسيا الوسطى، ثم نشأت حضارة موحدة هندية اسلامية.



الفن الاسلامي

بتدمير «لاهور» والعديد من قصور «البنجاب» الأولى.

وأول جامع هندي مشهور بقي قائماً هو جامع «قوات الإسلام» الذي بناه «قطب الدين أيبك» في قلعة في «لالكوت» بالقرب من دلهي القديمة في عام (١١٩٣). وقد استخدمت في بناء ذلك الجامع ذي الساحة والإيوان صفوف الأعمدة التي كانت في معبد «جاين» المهتم ومواد المباني المفككة الموجودة في المعابد الهندية المجاورة. وتم كذلك بناء واجهة جديدة أمام ساحة المعبد «جاين» واستخدم الصحن الرئيسي في المعبد ليكون مركزاً لأقامة الصلاة، وشيد محراب ليكون في الجدار الأخير. وأهم سمة في هذا الجامع هي منارته الضخمة البالغ ارتفاعها مائتان وأربعون قدماً والتي تم تشييدها في عام (١١٩٩). والمنارة في هذا الجامع هي برج مضلع ومؤلف من خمسة طوابق من الأحجار الصمراء ومزخرف بكتابات منقوشة نقشا جميلاً وبأحزمة زينية زهرية، وتضم هذه المنارة أربع شرفات ذات تصميم دقيق ومتقن، وواجهة الجامع تحتوي على نقوش حجرية نائفة (زليفي). ويعتبر هذا المبنى

بعد ذلك بعام واحد تاركا أمبراطوريته التي مازالت غير موحدة لابنه «أكبر» (١٥٥٥ - ١٦٠٥).

وخلال مدة حكم «أكبر» ومدة حكم «جهانجي» و«شاه جاهان» (١٦٠٥ - ١٦٥٨) اللذين اعقبا «أكبر» برز الأسلوب الفني «الموغالي» في الهند المسلمة متفوقاً على كل أسلوب فني كان قد ظهر سابقاً في الهند. ففي مجال الرسم مثلاً برز مستوى جديد من الامتياز وظهرت مدرسة فنية هي من أرقى المدارس في فن الرسم الإسلامي.

الفن المعماري :

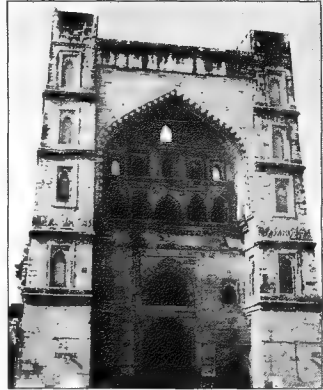
في البداية كان الفن الإسلامي في الهند تحت التأثير الكامل للأشكال الفنية الهندية ولواد البناء الهندية، ثم تم تحويل المعابد الهندية إلى جوامع أو أنه كان يجري هدم المباني الهندية وتشبيد جوامع ذات دعائم حجرية من المواد المفككة. ولم يبق لنا سوى القليل جداً من تلك المباني الأولى ومن زخرفتها لأن السلاطين «الفوريين» كانوا يدمرون المدن الأفغانية - التي كان يسكنها «الغزنويون» في الهند - وقام «المغول» في غزوتهم للهند في عام (١٢٤١)

حي في الهند

الحجري الضخم والمحتوي على زخرفة متمثلة بالنقوش الجميلة هو الشكل القياسي للفن المعماري الاسلامي في الهند .

وبالإضافة الى الجوامع، تعتبر الأضرحة والقصور هما الشكلان الرئيسيان من الفن المعماري . ففي القرن الثالث عشر ظهر التصميم المتمثل ببناء غرفة حجرية كبيرة مربعة الشكل أو مضلعة لايواء الضريح . وتكون هذه الغرفة عادة ذات قبة مشيدة بالاسمنت وبكسارة الحجارة ومزخرفة في جميع سطوحها بنقوش ومنحوتات فائقة وتجريدية وجميلة . وتصميم الجدران الملتوية الموجودة في ضريح «غيث الدين طوغلراك» في «طوغلراك آباد» ، داخل شبكة من الجدران المحصنة تحصيناً متيناً ، ربما يكون مشتقاً من تصاميم أصلية مصدرها آسيا الوسطى . وهنا أيضاً يبنى بمزيد من تطور هذه السمة استخدام الاحجار البيضاء في الكوى الزخرفية المصمتة (غير النافذة) وفي الاحزمة الزينية الموجودة في الجزء الأعلى من الواجهات الأربعة .

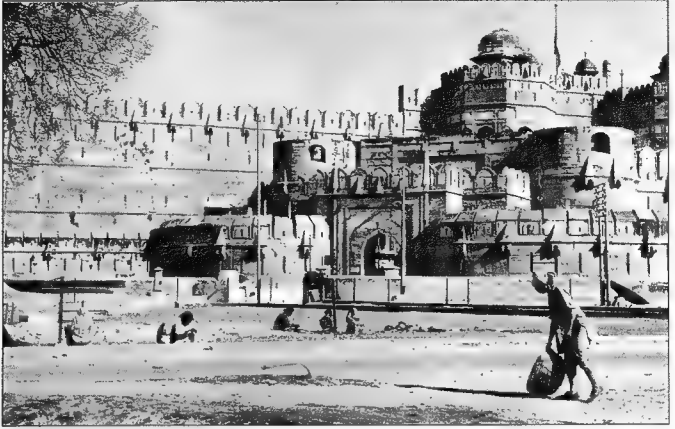
وفي «جوينور» المستقلة عن سلطنة دلهي المركزية لمدة تزيد على قرن من الزمان ، والتي لم يتم الاستيلاء عليها إلا في أواخر القرن الخامس عشر، أضيفت الى الشكل المتمثل بفخامة بناء الجوامع تقاليد التحصين الهندية وتصاميم المعابد السابقة للإسلام ومع استخدام اصيل جداً للقبب والمداخل المرتفعة التي لا تختلف عن هياكل القاعات والأواوين في الجوامع السلجوقية ذات الساحات والأواوين . ومما كان كثير الاستخدام في تلك الجوامع الاشكال الزخرفية في الكوى المصمتة وكذلك الاحزمة الزينية



الإيوان الرئيسي في جامع «علا الله» في «جوينور» في الهند . تم تشييده في عام ١٤٠٨ م .



ضريح السلطان «شيرشاه» في مدينة «ساهرام» في الهند ، تم تشييده خلال (١٥٤٠ - ١٥٤٥ م) .



منظر لبوابة دلهي في القلعة الحمراء في «أكرا» عام ١٦٣٥م.

منتصف كل جانب من الغرفة المقببة، وهناك غرف كثيرة الأضلاع وشبيهة بالمقصورة في كل ركن وتكون محاطة بسرادق صغير ومقبَّب.

وترتفع القبة المركزية الرئيسية فوق هيكل اسطواناني الشكل ومرتفع وينكسر المرء بالقبب التيمورية في آسيا الوسطى، والمبنى بأكمله يقوم فوق دكة كبيرة، ويستخدم هنا تصميم الأروقة المقنطرة والمحتوية على كُؤى (جمع كُؤَة) مدببة، وهو التصميم التقليدي في الفن المعماري الإسلامي الشرقي في واجهات الضريح من الدكة، ويشاهد ذلك بصورة واضحة في تصميم الطوائف المزودة في المقاصير (جمع مقصورة) الزكنية. ومن العناصر الممتعة جدا الاستخدام المتقن للبرمر الأبيض «الزخرفة بالتطعيم» في واجهات الدكة،

التي تقسم واجهات البوابات الى ثلاثة طوابق وتحدد أطر الكُؤى والمداخل، وهي أنماط مستخلصة من الأنماط التي كانت في دلهي في القرن الثاني عشر. وهناك مبان أخرى وخاصة مباني الأضرحة التذكارية استفادت من الشكل القديم للمقاصير (جمع مقصورة) الذي يشيع فيه تعدد القبب. وأبرز مباني الأضرحة هذه هو مبنى ضريح السلطان «شير شاه». ويوجد أيضا نظام القبة المركزية المحاطة بقبب صغيرة ثانوية وكما في ضريح الإمبراطور «همايون» في دلهي والذي انتهى العمل فيه في عام (١٥٧٢).

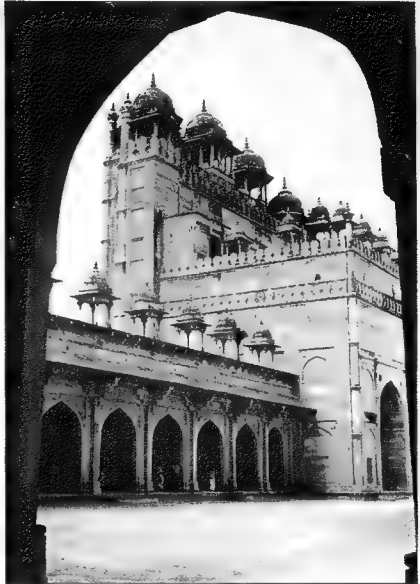
وقد تم استبدال القاعة المكشوفة وذات الدعامات في ضريح «شير شاه» بهيكل معقد ومؤلف من أربعة مداخل ضخمة كل واحد منها يكون في

مبنى «تاج محل» في «أكرا» والذي شيده «شاه جاهان» لزوجته «ممتازي محل» (جوهرة القصر) في عام ١٦٢٩. وقد شيد هذا المبنى، وهو أحد أشهر المباني في الفن المعماري العالمي وأشهر مبنى في الفن المعماري الإسلامي في العالم الشرقي، وفق تصميم مماثل تقريباً لتصميم ضريح «همايون»، والمبنى بأكمله يقوم فوق دكة مزينة بكُوى (جمع كُوة) مصمتة وغير نافذة. وفي المبنى أربع منائر عالية وقائمة في أركان هذه الدكة، والبوابة الكبيرة التي تزينها زخرفة متقنة تكون أمام الجدار الذي هو سياج المبنى.

وأبرز سمة في مبنى «تاج محل» هي زخرفته الباهرة التي تتفوق كثيراً على الزخرفة في ضريح «همايون» والمبنى بأكمله مغطى بمرمر أبيض مطعم بأحجار ملونة ومن جميع الأنواع وبأشكال تجريدية وزهرية جميلة، وهذه التقنية مستخدمة أيضاً في الأجزاء الداخلية من المبنى وخاصة في زخرفة

الضريح والحواجز المحيطة به وفي أجزاء واسعة من سطوح الجدران، والتأثير الذي يتولد عن ذلك كله هو نفس التأثير المتولد عن شيء نفيس كالأقداح الذهبية المرصعة بالمينا التي أنتجت لـ «شاه جاهان» في ورشات قصره والتي تعتبر من بين أجمل ما في العالم الإسلامي.

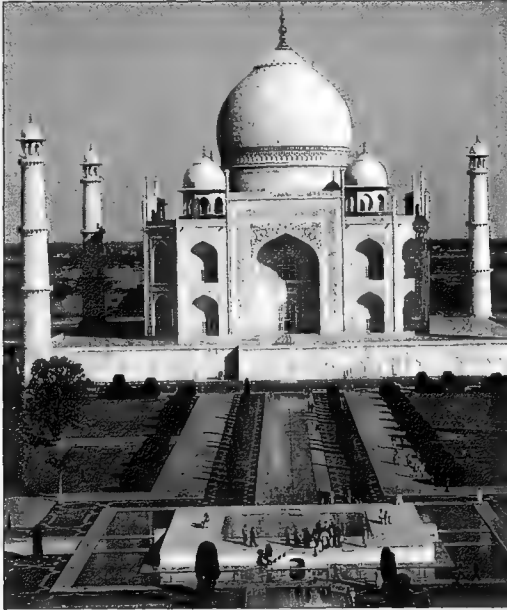
وهناك أيضاً أعمال من المرمر المتصالب والمصنع في «تاج محل» ولو أن هذه الأعمال قد



ساحة المدخل الى «فاتحپور سيكري» قرب «أكرا» شيدها «أكبر» خلال الاعوام (١٥٦٩ - ١٥٧٢م).

وبشكل أحزمة زينية أفقية وجميل، وفي المبنى الرئيسي أيضاً، ويشيع هنا استخدام المرمر الأبيض بحيث يصبح جزءاً مكملًا للتصميم بأكمله، وهذا هو أول مثال واضح على الفن المعماري المنطوي على زخرفة بألوان متعددة والذي أصبح يميز الفترة «الموغالية» بأكملها.

ووصل الفن المعماري «الموغالي» النزوة في



«تاج محل» هو ضريح «ممتاز محل» زوجة «شاه جاهان».
بناه الامبراطور في «أكرا» في عام ١٦٣٥م.

وصلت ذروة تطورها في
ضريح «اعتماد الدولة»
في «أكرا» المشيد من
قبل ابنته «نور جاهان»
زوجة «جهانجير» خلال
الاعوام (١٦٢٢ -
١٦٢٨).

وتضم المدينتان
الملكيّتان، وهما
«فاتحبور سيكري»
المشيّدة من قبل «أكبر»
في عام (١٥٧٥)
و«القلعة الحمراء»
الكبيرة في «أكرا»
والمشيّدة من قبل «شاه
جاهان» بعد مرور قرن
تقريباً على ذلك، تضمان
جميع أنواع المباني
والتصاميم المعمارية
المختلفة وكل أنواع
الزخرفة المعمارية التي
كانت في ذلك الزمن.

وتلخص تلك التصاميم والزخارف مطامح
الامبراطورية «الموغالية» في مرحلتها الأولى وما كان
«أكبر» يصبو إليه من الجمع ما بين كل التقاليد
الحضارية الهندية والوصول الي تطبيق ممتاز
للحضارة الإسلامية في الهند.

ومدينة «فاتحبور سيكري» ، المشيدة بالقرب
من «أكرا» في الأعوام (١٥٦٩ - ١٥٧٢)، تضم

مجمعاً من المباني المؤلفة من عدد كبير من
السرادقات والشرفات والجوامع ومباني الأضرحة،
وكلها مبان شديدة التنوع من حيث التصميم
والزخرفة، وفي تلك المباني استُخدمت بحرية تامة
التقاليد الفنية الهندية والتقاليد الفنية الإسلامية،
وكانت النتيجة تركيب ناجح جداً من أساليب واشكال
متباينة وكثيرة جداً، وهناك أيضاً مبان مشتقة

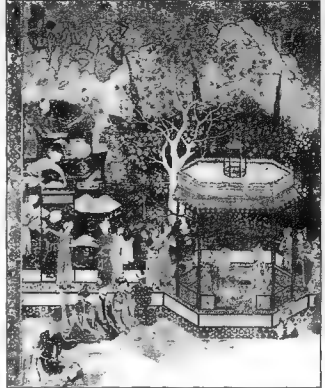
وقائمة فوق سلسلة من دكات مترابطة وبنون سند لها أو تدخل من بيئة طبيعية. والزخرفة في هذه المباني مليئة بما يذكر المرء بأشكال في الطبيعة وخاصة الزهور. ويشكل مجرد ارتفاع مدينة القصور عن مستوى الأرض التي تقوم عليها إنجازاً بالغ الأصالة.

وبينما أن المجمع القصري في مدينة «فاتحبور سيكري» قد شيد من أحجار حمراء وزخرف بنقوش بارزة ومسطحة وبأعمال زينية أفقية وتجريدية بصفتها سمة رئيسية فيه، هناك أجزاء عديدة من «القلعة الحمراء» في «أكرا» نجد أن زخرفتها الباذخة قد تمت باستخدام أنماط متقنة ومتعددة الألوان من التلطيم والترصيع. وقد تطرقنا قبل قليل إلى ذكر مبنى ضريح «اعتماد الدولة» والد زوجة «شاه جاهان»، وتصميم هذا المبنى بسيط نسبياً عند مقارنته بالهياكل الأخرى المعاصرة له أو التي سبقتها غير أن المبنى بأكمله مغطى بالمرمر الأبيض ومطعم بأحجار متعددة الألوان ومشكلة مع المرمر الأبيض أشكالاً تجريدية وأشكالاً زهرية.

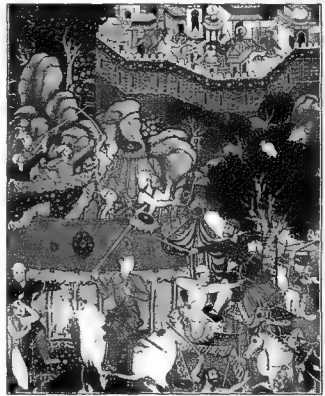
وهناك أعمال زخرفية متصالية وجميلة جداً ومستخدمة في جميع الدرابزينات والحواجر التي تحيط بغرفة الضريح، وهناك أيضاً أعمال تلطيم وترصيع ذات ثراء عظيم وهي تزخرف الأجزاء الداخلية جاعلة من هذا المبنى ما يشبه مبنى «تاج محل».

فن الرسم والفنون الزخرفية :

يبدأ فن الرسم «الموغالي» بدعوة رسامين كبيرين هما من أساتذة مدرسة «تبريز» (في إيران)



لوحة دابطرة وأمراء بيت تيمور، رسمت في عام ١٥٥٥م للامير الطور دهمايين، في الهند من قبل الرسامين التبريزيين المشهورين مير سيد علي، و عبد الصمد.



لوحة من المخطوط حمزة نامه، وهي بعنوان «أسعد ابن كريبه يهاجم جيش إيران ليلاه» رسمت في الهند عام ١٥٧٥م.



ضريح «همايون» في دلهي في الهند - عام ١٥٦٥م.

المعماري، غير أنها ليست من الطراز الفارسي بالتأكيد وإنما هي تمثل المدرسة الواقعية من حيث التفاصيل وشدة العاطفة في ما يتعلق بالأشخاص وبالتكوين العام للجماعات المنهمكة بنشاطات مختلفة: وهو شيء لا نظير له في فن الرسم الفارسي.

وهناك عدد من الرسوم التي تسبق التقاليد الفنية الفارسية ويستطيع المرء أن ينسب بعضها إلى الرسام «عبد الصمد». وتلك الرسوم، التي تعكس عملاً دقيقاً جداً من أعمال الفرشاة الصغيرة في حجمها والجميلة في رسم الأشخاص، زُودت المدرسة «الموغالية» بنماذج لمنمنات عديدة وهي تبين صوراً من حياة الامبراطور. وأبرز تلك الرسوم اللوحة المسماة «بيت تيمور» وهي لوحة كبيرة جداً ويشرت

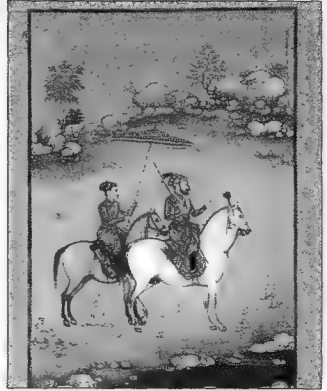
إلى «كابول» حيث كان «همايون» يحتفظ بقصر له قبل عودته إلى الهند.

ويبدو أن «عبد الصمد» و«مير سيد علي» كانا الرئيسان لجماعة من الرسامين الذين جمعهم الإمبراطور ليقوموا بمشروع فني طموح جداً متعلق بانتاج الكتب. ويعتبر مخطوط «دستاني أمير حمزة» الضخم أكبر مخطوط إسلامي معروف ومزود برسوم كبيرة الحجم تستوعب صفحة كاملة. واستلزم الأمر مدة خمس عشرة سنة للانتهاء من إعداده، ويمكن اعتباره حقاً أعظم عمل من أعمال المرحلة المبكرة من المدرسة «الموغالية». وبالرغم من أن المنمنمات الواردة في المخطوط تعكس تقاليد فنية فارسية، وخاصة في ما يتعلق بالهياكل المعمارية والعناصر الزخرفية في مجالات المناظر الطبيعية والفن

بالحجم الكبير جداً لمخطوط «أمير خمزه»، ومع ذلك احتفظت هذه اللوحة بجميع خصائص اللوحة الصغيرة ففي اللوحة المذكورة حظي المشهد الطبيعي بعناية كبيرة وخاصة في ما يتعلق بالتفاصيل المعمارية في مقاصير الحديقة، ومع ذلك فالأشخاص لهم أهمية أيضاً وموضوع اللوحة - وهو أمراء وحكام بيت «تيمور» برهان بحد ذاته على تنامي الاهتمام برسم الأشخاص - وبالرغم من أن هذه اللوحة هي ذات مظهر عام ذي طبيعة فارسية واضحة، غير أنها تمثل بداية فن جديد في الرسم أصبح ممكن التمييز.

وكان الأسلوب الفني «الموغالي» قد تطور أولاً على أساس فارسي وثانياً بتأثير قوي من التقاليد الفنية المحلية السابقة للتقاليد «الموغالية» في الهند. وما لا شك فيه أن البعض من أكبر الرسامين في المدرسة «الموغالية» المبكرة، مثل الرسام «بسوان»، كانوا يتدربون في التقاليد الفنية الهندية. ويمكن ملاحظة هذا التماس مع التقاليد الفنية المحلية في الهند في كل مراحل تأريخ فن الرسم «الموغالي» ومع تبادل تأثيرات المدارس الفنية المحلية في تلال «راجبوت».

ويوجد في بعض المخطوطات الصغيرة البعض من أجمل الرسوم التي تنسب إلى المدرسة «الموغالية» الفنية التي أصبح أسلوبها فائق الكمال خلال مدة حكم «أكبر». فقد كان يستخدم في الرسم الورق الصقيل والناعم جداً وكثيراً ما تزخرف الحواش برسوم دقيقة في لوحات فنية تمثل مناظر طبيعية ذهبية ومحتوية على رسوم لحيوانات وأزهار.



لوحة بعنوان «شاه جاهان يخرج راكبا جواده بصحبة ابنه». رسمت اللوحة في عام ١٦٣٠م.



عنوان اللوحة مجهول يسكن بصورة والده أكبر. مرسومة من قبل «أبو الحسن» في الهند خلال الأعوام (١٥٩٩ - ١٦٠٥م)



عنوان اللوحة «شيران تسحب المدافع للهجوم على القلعة في (رانثامهره) في (راجستان)».
مرسومة من قبل «باراس» للمخطوط «أكبر نامه» عام ١٦٠٠م، ومصممة من قبل «مسكن».

وكان يستخدم أيضا شكل أنيق من الخط اليدوي الذي كان ينافس ، في روعته واتسجامة، الاتقان في تلك اللوحات الفنية، وكان الأباطرة الثلاثة الكبار - وهم «أكبر» و«جهانجير» و«شاه جاهان» - شديدي الإعجاب بمخطوطات «حيرات» وجامعين لتلك المخطوطات. ومن الممكن أن كان لبعض تلك المخطوطات تأثير حاسم على تكوين هذا الجانب من الأسلوب «الموغالي». وإذا تتبعنا الاتجاه العام نحو الواقعية في مجال فن الرسم، نجد أن «فن الرسم التاريخي والحكاكي» قد أخذ ينمو في تلك الفترة، وهي ظاهرة لم تكن معروفة إلا من الفترة العثمانية، وهكذا ظهرت رسوم تصور مشاهد المعارك، والحياة في القصور، ومناظر صيد، ورسوم تصور الامبراطور وحريره أو عائلته، ورسوم أشخاص حقيقيين، وكلها تسجل الحياة الواقعية للباطرة وأزمانهم. وسعى الامبراطور «أكبر» الى انتاج المخطوط «أكبر نامه» المزين بعدد كبير



سجادة «موغالية» الهند
يعود تاريخها الى أواخر القرن السادس عشر.

مجال الفنون الزخرفية - يجد نظيرا له في فن الرسم باستخدام ألوان زخرفية قوية وموروثة من التقاليد الهندية وكذلك باستخدام الذهب، استخداماً متقناً، في فن الرسم «الموغالي» في مرحلته المتأخرة ويعتبر فن الرسم «الموغالي» واحداً من أنجح تطبيقات المبادئ الإسلامية على تقاليد فنية هي ليست إسلامية من حيث الأساس. ويعتبر تطور الواقعية، التي قطعت شوطاً بعيداً بحيث أنها أصبحت تشتمل على فن رسم الأشخاص، أمراً فريداً حتى ضمن التنوع الواسع للأشكال التصويرية في الاسلام.

بتفاصيل صور حقيقية. ويتصف السجاد «الموغالي» العائد للامبراطور «جهانجير» والامبراطور «شاه جهان» بدرجة عظيمة من الجمال والأصالة بسبب جماله العظيم من الناحية الفنية واستخدام مادة الحرير في صنعه في كثير من الأحيان. وكثيرا ما يستخدم اللون الأحمر الباذخ للأرضية والألوان المختلفة للأشكال الزهرية والتشكيلية.

ويبدو أن الأباطرة «الموغاليين» كانوا شديدي الولع بالمعادن الثمينة، وبالذهب المزخرف بالنل والمينا، والفضة، والأحجار الكريمة. ومن بين الأشياء الكثيرة والنفيسة التي بقيت محفوظة، تبرز مجموعة من نقوش على أحجار كريمة، وهنا أيضاً يبدو أن «الموغاليين» ساروا على غرار أسلافهم «التيموريين» لأنه ليس هناك سوى القليل من النقوش الحجرية وفق الأسلوب «التيموري» يحمل أسماء أباطرة «موغاليين». وبعض القطع ذات الشكل المتصنف بدقة عظيمة وزخرفة بنقوش بارزة زهرية هي قطع تحاكي أشكال الفواكه أو القواقع البحرية، والبعض منها يحتوي أيضاً على رؤوس حيوانات كمقابض. وهناك أيضاً قطع أخرى تكون مكسوة بمجوهرات وبخيوط ذهبية.

استنتاج:

من أهم العناصر التي تميز الفن الهندي الإسلامي هو اندماج التقاليد الفنية الهندية والإسلامية ومقارنة بأجزاء أخرى في العالم الإسلامي حيث أن هناك تمثلاً كاملاً للتقاليد الفنية السابقة للإسلام. والاتجاه العام نحو الثراء في الزخرفة - سواء في مجال الفن المعماري أو في

دور الكتب النبوية في التسامح ونشر الإيمان

(قراءة في فقه السيرة ودبلوماسية الإسلام)

الأعجمي، ويألفون النشاط التجاري[١] ليوصلوا كتبه إلى الملوك داعين إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

فماذا إذن عن دور المكتبة في نشر الإسلام وإشاعة التسامح بين الناس؟ وماذا عن أثر الكلمة المسطورة في الهداية والتوجيه؟

وكيف كان عاقبة أصداء تلك الكتب التي بعث بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أمراء الدول، وأئمة الكفر في ذلك العهد؟

وهل اكتفت بتهيئة الأجواء وتمهيد السبل أمام دعوة الحق، أم إنها أعقبت في نفوس الناس إسلاما رفيعا وأتت أكلها ثمرا طيبا إيمانا بالله وجهادا في سبيله؟

ذلك ما نأمل أن نجيب عنه سريعا من خلال ثلاث نقاط أساسية نرتبها في ما يأتي:

أولا: المحددات الأساسية :

وخلالها سنعمل على استنطاق العنوان وتبيان دلالاته المختلفة منبهين إلى أهمية الكتاب من المنظور الإسلامي ميرزين دوره الفاعل في نشر العلم وتنقيف الناس، موضحين للقارئ في هذا الجانب جهود رسول

قبل الدخول في الموضوع بالصميم نبه إلى أن المجتمع المكي عرف الكتابة قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) معرفة يسيرة، وعندما نزل القرآن الكريم دفع بهذه المعرفة شوطا بعيدا، فعلم بالقلم ورفع من شأن التسطير قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة / ٢٨٢)، وقال جل من قائل: ﴿وَ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم / ١).

ومع انطلاقة الدعوة الإسلامية بدأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرأسل زعماء العالم فكانت مكاتباته لمعاصريه من ملوك الدول مرحلة هامة من مراحل الدعوة الإسلامية، وأسلوا جديدا في التعامل مع أولي السلطان، ومنهج في التعريف بالإسلام والانفتاح على الأمم المستكبرة في الأرض يومئذ، ففي أعقاب الصلح الذي وقعه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع مشركي مكة بالحدبية سنة ست من الهجرة طفق الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وبدأت الدعوة الإسلامية تسترجع أنفاسها فارتأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يتخذ إستراتيجية جديدة تقوم على محاورة الأديان، ومراسلة الملوك والأمراء، فانتدب لهذه المهمة الصعبة لفيقا من الصحابة يعرفون اللسان

د. محمد بن أحمد بن المحبوب

موريتانيا

على المشاركة من فعل تسامح الذي يدور على معاني السهولة ولين الجانب يقول: «سمع العود استوى وتجرد من العقد، وسمح فلان بذل في اليسر والفسر عن كرم وسخاء» [٢].

والمقصود من هذا المجرور مرونة الشرع ودبلوماسية الإسلام، وميله الى الرفق واللين في التعامل مع الآخرين أما التركيب الإضافي الأخير «نشر الإيمان» فقد ورد للتعبير عن جهود الكتب والمخطوطات في إشاعة دين الحق وإذاعته بين الناس بكل ما تعني كلمة «نشر» من بسط وامتداد يقال نشر الشيء نشرًا أي انتشر [٤].

فالعنوان جملة يقضي بفاعلية المكتوب في زرع روح الأخوة والتسامح بين الناس، وتأثيره البالغ في ضمان انتشار الدعوة الإسلامية وسيورتها بين العالمين.

ب- أهمية الكتاب والمراسلة :

لا شك أن الإسلام أنزل الكتب منزلة عالية وأحاطها بسياج من الهيبة والاحترام، فقد أقسم الله سبحانه بالمكتوب في محكم كتابه، فقال جل من قائل: **﴿إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾** (القلم/ ١) كما سمي القرآن المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) كتابًا، بل هو الكتاب الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فحيث أطلق هذا اللفظ انصرفت نجوه الأذهان، وأشرأت إليه الأعناق. فهو العلم بالغة وهو ضمان الجسم والأقنعة قال تعالى: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾** (الكهف/ ١) ، وقد تردد لفظ الكتاب ستة وأربعين مائتي مرة في القرآن الكريم مما يدل على الاعتناء به والاهتمام بشأته.

فالكتاب من المنظور الإسلامي بالغ الأهمية والتعظيم لذلك ذهب المالكية إلى أنه لا يجوز الاستعلاء

الله (صلى الله عليه وسلم) حيث اتخذ من مراسلة الملوك قناة لنشر الإسلام وجسرا لتبليغ رسالات الله. فماذا عن هذه المحددات:

أ- استقطاع العنوان :

إن عنوان هذا الموضوع «دور الكتب النبوية في التسامح ونشر الإيمان» (قراءة في فقه السيرة ودبلوماسية الإسلام) يوحي بما يمكن أن يكون للكتاب من تأثير بالغ في العملية الدعوية، ومن نشر لروح التسامح بين الأمم والشعوب. فماذا عن دلالات الوحدات المعجمية المؤسسة لهذا العنوان جملة وتفصيلا؟

إن هذا العنوان يتألف من تركيبين إضافيين «دور الكتب» و«نشر الإيمان» يفصل بينهما جار ومجرور «في التسامح» فالتركيب الإضافي الأول مؤلف من كلمتي «دور» و«الكتب» فالدور لغة يعني العامل الفاعل والعنصر المؤثر الذي يشكل لصمة الشيء وسداه. والكتب جمع كتاب وهو: لغة مصدر كتب يقال كتب الشيء يكتبه كتابا وكتابا. وفي الاصطلاح هو المصنف الذي يشتمل على جملة من المسائل في فن من الفنون ويطلق أيضا على الصحف المجموعة وعلى الرسالة: جمعه كتب [٢] والصفة النبوية نسبة الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فالمقصود من التركيب الإضافي التنبيه إلى أن الكتابة طريق إلى التوثيق وإفهام المراد، وسبيل إلى التعويض بالرسم والتسطير عن المشافهة والتعبير.

فالكمة المكتوبة في جانب الدعوة الى الله تعد أبلغ رسول، لذلك اتخذ منها (صلى الله عليه وسلم) معبرا الى قلوب الملوك من العجم وجسرا إلى أئمة الأمراء من العرب. وجاء الجار والمجرور «في التسامح» ليكشف عن جانب من حضور الرأفة والرحمة في الخطاب الإسلامي فالتسامح مصدر دال

بكتب السحر والفلسة لحرمة الحروف ولشرفها، قال الأجهوري: الحروف لها حرمة سواء كانت بالعربي أو بغيره [٥]، وللتأكيد على دور الكتاب في نشر الإسلام والانفتاح على الأمم الأخرى نذكر أن المالكية والشافعية والحنابلة وبعض فقهاء الحنفية أجازوا مس المشاركة للكتب ولو كانت فيها آيات من القرآن بدليل أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كتب إلى هرقل كتابا فيه آية [٦].

فالكتاب يعد آلية شديدة الفعالية والتأثير على القراء والأميين فالكتابة المكتوبة من أقصر الطرق إلى قلوب المتعلمين، وأنجع السبل إلى إبلاغ المقصود وتحصيل المراد أصلا في تهذيب الأفئدة والعقول. فالتراسل خير عوض عن التواصل، والمكاتبة أحسن بديل عن المشافهة، فإذا عز اللقاء وامتنع الوصال جاءت الحروف شفيعا وجيها بين المتباعدين، ولعت العبارات فوق الطروس وسيطا ناطقا يكشف عن خفايا النفوس والهموم، يبلغ أحوال المتكلم وخوارج نفسه الى الغائب المقطع. فكم كان المكتوب رسولا آمينا وهاتفا جوالا يختصر المسافات ويخفف من تكاليف السير والانتقال، ويعوض تذاكر السفر والارتحال. وذلك ما أتركه النبي (صلى الله عليه وسلم) منذ فجر الدعوة الإسلامية فأرسل رسله الى الملوك مبشرين ومنذرين ثم إن المكتوب مرة مصقولة تنعكس عليها أحوال المتكلم، ويقرأ فيها الغائب حياة الكاتب ويتعرف على خواطره وهواجسه، فهي منبر التقيف وأساس التبليغ بل هي أكثر من ذلك عماد للتنمية والوعي ومحو كامل للامية والجهل.

ثانيا: الرسائل النبوية ودورها في نشر الإسلام :

نشير هنا إلى أن الرسائل النبوية أهمية بالغة في نشر الدعوة وتوسيع دائرة الإسلام، فقد عرفت الملوك والأمراء على الدين الحنيف، وأطلعتهم على نبيله وسماحته، كما نهتهم إلى مرونته ودبلوماسيته فجعلتهم يستجيبون لرسل نبيه الكريم الذي أقسمت الآيات البينات على عظيم خلقه، فهو النور المبين في

الأرض والرحمة المهداة إلى العالمين.

وستعرض لهذه الرسائل النبوية عبر نقطتين أولاها تروم الحديث عن ظروف الإرسال وطبيعة الرسائل، وثانيتهما تعرض لردود أفعال الملوك.

أ - التعريف بالرسائل وظروف الإرسال :

يعد صلح الحديبية فاتحة عهد جديد، فقد أعطى الدعوة الإسلامية دفعا متميزا، وأشاع في المنطقة جوا من الأمن والسلام، كما أضعف من جانب آخر سلطة قريش فانفتحت الأبواب بذلك واسعة أمام الداخلين إلى دين الله فأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) يوجه رسله الى الملوك تمهيدا للتواصل مع الآخرين، وتجسيذا لمبادئ التحاور والإقناع، ففي أعقاب رجوعه (صلى الله عليه وسلم) من صلح الحديبية أواخر السنة السادسة من الهجرة كتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام ويحذرهم من الإعراض والاستكبار. ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الرؤساء جمع أمره مستفيدا من تجارب الأمم المحيطة به في الإدارة والتوثيق مسترشدا بأراء مستشاريه الذين نصحوا له باتخاذ خاتم يوقع به رسائله الى الملوك عسى أن ينصاعوا لها ويذعنوا، فقد ثبت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما أراد أن يكتب إلى الملوك «قل له يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون الكتاب إلا مختوما فاتخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومئذ خاتما من فضة فصبه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وختم به الكتب» [٧].

وقد اختار (صلى الله عليه وسلم) رسله على أساس خبرتهم باللسان الأعجمي ومعرفتهم بالطريق، فأرسل دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر (هرقل) ملك الروم (٦٤١م) وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة (ت ٦٤٠م) وحاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس ملك مصر (ت ٦٤٠م) وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس (ت ٦٢٨م) وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبيد بني الجلندي ملكي عمان، وسليط بن عمرو العامري إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنظليين ملكي اليمامة والعلاء بن الحضرمي إلى

المنذر بن سواى العبدى ملك البحرين وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام وغيرهم. وذلك ما أوضحه عبد العزيز اللطفي [٨] في منظومته قرعة الأبطال قائلا [٩] :

بيان رسل المصطفى لمن ملك
صلى عليه الله ما دار الفلك
إلى النجاشي النبي أرسل
عمروا فبجل الكتاب وتلا
فمات مسلما وصلى المصطفى
عليه مع أصحابه أولى الصفا
وبحياة إلى هرقل أرسل
فشح ثم ابن حذافة إلى
كسرى فمزق الكتاب مزقا
وحاطب إلى المقدوق ارتقى
فغارب الإسلام حتى أهدى
جاريته لدلا وعبيدا
ثم إلى من ملكا عمنا
عمروا فسلموا له ودانا
ولليمامة سليطا أرسل
فلم يفز صاحبها إذ سالا
من النبي جعل بعض الأمر له
ثم إلى البلق شجاعا أرسله
وأرسل العلاء إلى البحرين
فسلم المنذر دون من
والاشمري ومعاذ لليمن
فسلموا دون قتال وقت

ب- اختلاف ردود أفعال الملوك :

لقد تبينت آراء الملوك في ردودهم على كتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غير أنها عادت على الإسلام بالخير العميم وهيأت له أسباب الانتشار بسرعة، فمهدت السبل أمام الفاتحين، وأزالت الكثير من حجب الأبهة والاستكبار عن ملوك الأرض يومئذ، كما فتحت الباب على مصراعيه للتواصل مع الأمم والتحاور مع الأديان. والقارئ لهذه الرسائل

وسياقاتها التاريخية يمكن أن يصنف أصحابها انطلاقا من ردودهم إلى ثلاثة طوائف أساسية هي:

(١) طائفة الاستعلاء والاستكبار :

وأصحاب هذه الطائفة قليلون جدا وقد أبدوا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) تعنتا وجبروتا فغضبوا وردوا بغضب وكثير، ومن أبرزهم كسرى ملك فارس والحارث بن أبي شمر الغساني أمير الشام، فالأول تهدد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلا - عليه لعنة الله - عبد من رعيتي يكتب اسمه قبلي فلما بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال «مزق الله ملكه» فكان كما قال فقد قام إليه ابنه شرويه فقتله وأخذ الملك لنفسه ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة [١٠].

وبذلك انعكس الكيد على الساحر وانقلب السحر على الساحر فانتشر الإسلام بالربوع الإيرانية انتشارا عظيما على عكس مقصود كسرى، فكان من بينهم أئمة في العلم والدين وعباقره أفذاذ صدق فيهم قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لو كان العلم بالثريا لتناولوه أناس من أبناء فارس» [١١]

(٢) طائفة الاحترام والتقدير :

وهذه الطائفة استقبلت رسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باحتفاء واحترام وردت على دعوته بلطف ودبلوماسية وتودد كقيصر (هرقل) ملك الروم الذي أجاز حامل الكتاب بكسوة ومال واحتفظ بأصله متيامنا به وملتمسا بروكته فوضعه «في قسبة من ذهب تعظيما له ومازالوا يتوارثونه كابرا عن كابر في أرفع صوان وأعز مكان» [١٢].

ويؤكد علماء السيرة بقاء هذا الكتاب إلى القرن السابع الهجري قال القرافي: «وكتابه عليه السلام - يعني إلى هرقل - محفوظ عندهم إلى اليوم في بلاد الروم عند ملكهم يفخرون به» [١٣].

وصرح ابن تيمية أيضا بتواتر وجود هذا الكتاب عند ملك قشتالة فقال «وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باق في الأندلس عند ألفونس صاحب قشتالة وبلاد الأندلس يفخرون به وهذا أمر مشهور معروف» [١٤].

١٨٦٧م في صعيد مصر قاعتني بها الخليفة العثماني وأمر بحفظها في صندوق ذهبي وصارت اليوم في متحف قصر باب المدفع في استانبول في الغرفة المحتوية لما نسب للنبي (صلى الله عليه وسلم) [٢٠].

(٢) طائفة المناصرة والتأييد :

وهي أكثر الطوائف وأعظمها شأنًا، وقد تلقت الكتب بالترحاب والرضى والقبول والإذعان، وسارعت إلى الدخول في دين الله. ومن أبرز أصحابها النجاشي ملك الحبشة الذي أخذ كتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأمره على وجهه ووضعه على عينيه ونزل عن سريره له على الأرض تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت أستطيع أن أتبعه لأتبعه [٢١]. ثم احتفظ بنص الكتاب ووضعه مع كتاب آخر سبق أن ورد إليه من النبي (صلى الله عليه وسلم) وهدم بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال لا تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها [٢٢]، ومن الأمثلة كذلك على الاحتفاظ بهذه الكتب ما ذكر عن عمير ذي مران الهذلي الذي احتفظ بكتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال من بعده إلى أحفاده فقال أهدم مخبرا عن وجود ذلك الكتاب عندهم «كتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى جدي وهذا كتابه عندي» [٢٣]

ومن الذين أسلموا إثر هذه الرسائل ودانوا دين الحق المنذر بن ساوى الذي أخذ في دعوة قومه إلى الإسلام مرسلا بذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكذلك الأميران جيفر وأخوه عبد ابنا الجلندي اللذان أمنا بالله وصديقا بالنبي (صلى الله عليه وسلم).

فتأثير هذه الطوائف الثلاثة على نشر الإسلام كان بالغًا ومؤثرًا وإن اختلفت مستوياتها، فالطائفة الأولى خدمت الإسلام من حيث لم ترد، ذلك أن كسرى تهدد النبي (صلى الله عليه وسلم) فقصمه الله ومزق ملكه شر ممزق فعاد ذلك على الإسلام بالخير الكثير فسارع الفرس إلى الدخول في الدين الجديد على عكس مراد كسرى، فيمكن القول إن كسرى أراد

ولم يقتصر نبأ وجود الكتاب النبوي إلى هرقل لدى نصارى الأندلس على مجرد الخبر المسموع بل إن جماعة المسلمين في فترات تاريخية مختلفة تهيات لهم رؤيته عند أولئك النصارى، ومن هؤلاء عبد الملك بن سعيد [١٥] أحد رجال الأندلس وقادتها في أواخر عصر المرابطين، فقد رآه عند حاكم قشتالة الفونس السادس المتوفي سنة ٥٥٢هـ، قال عبد الملك: «فأخرجه إليّ واستعبرت وأردت تقبيله وأخذ بيدي فمعتني من ذلك صيانة له وضنا عليّ» [١٦]، ونقل ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) عن غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ (ت ٦٩٦هـ) أن السلطان المملوكي القلاوون أرسل أحد رجاله إلى الغرب (المغرب) فأرسله هذا الأخير إلى ملك الإفرنج في شفاعته وعند حلوله هناك أتخفه ملك النصارى بالنظر إلى كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل قال ابن الصائغ: «حدثني سيف الدين قبيل المنصورى قال أرسلني الملك المنصورى قلاوون إلى ملك الغرب (المغرب) بهدية فأرسلني ملك الغرب إلى ملك الإفرنج في شفاعته فقبلها وعرض عليّ الإقامة عنده فامتنعت فقال لأتحفك بتحفة سنية فأخرج لي صندوقاً مصفوحاً بذهب فأخرج منه مقلمة ذهب فأخرج منها كتاباً زالت أكثر حروفه وقد التصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر ومازلنا نتوارثه إلى الآن وأوصانا أبائنا أنه ما دام هذا الكتاب عندي لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا» [١٧].

أما المقوقس ملك مصر فإنه احتفى بالكتاب وأظهر تعاطفاً ولينا وأهدى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) جارتين وكسوة ويغلة، فالجارتان هما : مارية وسيرين فالأولى اتخذها النبي (صلى الله عليه وسلم) سرية وهي التي ولدت له إبراهيم، أما سيرين فأعطاهما لحسان بن ثابت [١٨]. وقد ورد أن المقوقس لما قدم عليه كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذه «فجعله في حق من عاج وختم عليه» [١٩] وقد اكتشف المستشرق الفرنسي بارتليمي نص هذه الرسالة عام

{صلى الله عليه وسلم} سفراءه إلى ملوك العالم وكان كل سفير منهم يعرف لغة القوم الذين أرسل إليهم كي يتمكن من القيام بالدعوة على الوجه المطلوب، وذلك يكون الإسلام قد هباً للدعوة منذ أيامه الأولى وسائل الامتداد بسرعة وأسباب الانتشار بيسر وسهولة، حيث أمر الدعاة إلى الله يتعلم لغات الأمم الذين سيحاولونهم في شأن الإسلام عسى أن يقتنعوهم بفاعليته وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون. وطبقا لذلك انتشر الإسلام بسرعة لاثنتين الفطرة، فقد دعا إلى السلم قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة} (البقرة/ ٢٠٦).

وضمن حرية للمعتقد قال تعالى: {لا إكراه في الدين} (البقرة/ ٢٥٥). وأمر بالعدل والإحسان. وفي هذا السياق جاءت المكاتبات النبوية لتحمل معها تأثيرا إعلاميا كبيرا يراعي الأحوال والمقامات فلما كان كسرى مجوسيا غير كتابي عامله النبي {صلى الله عليه وسلم} بمقتضى ذلك فقدم اسمه قبل اسم الله وقاية كما فعل سليمان عليه السلام إذ كتب {إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم} (النمل/ ٣٠). فكتاب النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى كسرى فيه «إلى كسرى ملك فارس بسم الله الرحمن الرحيم» فقدم اسم كسرى وقاية لاسم الله. ولما كان الملوك الآخرون من أهل الكتاب قدم اسم الله تعالى لأنهم يؤمنون بالله ويعظمونه» [٢٤].

ومن العوامل التي ضمنت للإسلام الانتشار عبر هذه الرسائل صدوره {صلى الله عليه وسلم} ضمنها عن استراتيجية عسكرية سياسية تقوم بإقرار الملوك على عروشهم إن هم أسلموا. كما تعتمد أيضا أساليب الترغيب مثل استعمال التعبير «يؤتلك الله أجرك مرتين» وأكثر من ذلك علمت هذه الكتب النبوية على مخاطبة الملوك بعبارات الاحترام والتقدير (عظيم الروم، عظيم الحبشة، عظيم القبط، عظيم الفرس...) وذلك لمكانتهم بين قومهم وتآليف قلوبهم وجذبهم إلى

عمرها وأراد الله خارجة. أما الطائفة الثانية فتتجلى خدمتها للإسلام عبر مواقفها المسألة، إذ لم تقف في سبيل الدعوة بل إنها على العكس من ذلك أظهرت احتراما وتقديرا منزلة رسائل النبي {صلى الله عليه وسلم} منزلة عالية محفظة بها في أعز المحاف وأجمل الصناديق الذهبية. ويبلغ تأثير هذه الرسائل ذروته مع الطائفة الثالثة التي أعلنت للعالم إسلامها وصرحت بإيمانها رغم ما يكلفها ذلك من عناء وتبعات، فإسلام هذه الطائفة ليس بالأمر الهين، فهو يعني ضمنا إعلان المصالحة مع المسلمين وفتح الباب أمام مواطني هؤلاء الملوك ليدينوا دين الحق وينتقلوا من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ثالثا: دور الكتب النبوية في نشر الإسلام:

لا شك أن مكتبة الملوك خارج جزيرة العرب يعد منهاجا دعويا شموليا يعرب عن عالمية الرسالة الإسلامية وأميتها، فرسائل النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى قادة العالم يومئذ تعتبر تطبيقا وتصديقا لقوله تعالى {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا} (سبا/ ٢٨). ولقوله أيضا {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} (الاعراف/ ١٥٩). وانطلاقا من هذا التوجيه الرباني العالمي أرسل النبي {صلى الله عليه وسلم} كتبه إلى الأمم والأديان لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. وسنعمل على إبراز دور هذه الكتب النبوية في نشر الإسلام من خلال نقطتين نعرض لهما في ما يأتي:

١ - المكتبة عنوان للعالية والامتداد :

تشير هنا أولا إلى عدم تماسك النظرة القائلة بالتدرج في الدعوة من الإقليمية إلى العالمية تبعا لاتساع النفوذ الإسلامي فالآيات البينات قد أوضحت هذا الإشكال منذ العهد المكي معلنة شمولية الرسالة الإسلامية. قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الانباء/ ١٠٧). وبذلك تكون صفة العالمية قد تقررت والمسلمون بمكة مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس. وسعيا إلى تجسيد هذه العالمية وجه الرسول

الإسلام. كما حذرتهم هذه الرسائل في الوقت نفسه من الإثم الذي سيلحق بهم إن هم منعوا رعيتهن من نور الإسلام [٢٥].

ب- المكتبة آية للتسامح والحوار :

ننبه هنا إلى أن الرسائل النبوية إلى الملوك جاءت لتكشف عن جانب من سماعة الإسلام ومرونته في التعامل مع أهل الديانات الأخرى، فاستعملت أساليب الحكمة واللين، ومالت إلى عبارات الشكر والاحترام والرافة والاستعطف (عظيم الروم، عظيم الفرس، عظيم القبط) بعيدا عن أنماط السخرية والاستخفاف. كما نبهت هذه الرسائل أيضا إلى بعض نقاط التقاطع بين المسلمين وبين أهل الكتاب مما يتجلى بشكل واضح في خواتم الرسائل الموجهة إلى ملوكهم فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يهتمها بتلك الآية الكريمة التي تقيم عليهم الحجة وتدعوهم إلى التفاوض والحوار، كما تأمرهم بإخلاص العبادة لله الواحد الأحد لئتم التقارب بين الفريقين فيصودروا جميعا عن إيمان واحد وكلمة سواء مؤمنين بالله غير مشركين به شيئا.

قال تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا آرياء من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} (آل عمران/ ٦٣). فهذه الآية الكريمة أعلنت مبدأ التحاور بين الأديان، ومشروعية التفاوض مع الذين أوتوا الكتاب بشكل خاص مؤكدة أن ذلك ينبغي أن يتم تحت مظلة الإيمان بالله وفي سياق الدعوة إلى الخير والتعاون على البر والتقوى.

وفي النص القرآني آيات أخرى تأمر بالرحمة والتسامح والإحسان إلى الناس بعيدا عن كل مظاهر التعصب والتشج، وبذلك يكون الإسلام قد فتح باب الحوار السلمي مع أبعاد الناس عن عقيدته، قال تعالى: {وقولوا للناس حسنا} (البقرة/ ٨٢) كما أرشد إلى العطف ولين الجانب في الدعوة والتوجيه محذرا من الجدل الذي لا يتبع سبيل الحسن، قال تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} (العنكبوت/

٤٦)، فالقارئ لهذه الرسائل النبوية يدرك سر أنسياب الإسلام في الأرض وسرعة انتشاره يعفوية وبتلقائية لأنه دين الفطرة، ولأن نبية (صلى الله عليه وسلم) كان على جانب من المرونة والحكمة عظيم هيأة لأن يكسب ود الآخرين وعطفهم في فترة قياسية. وذلك ما أكدته الخصوم وشهدت به الأعداء فقد قال «أدوار مونتييه» أستاذ اللغات الشرقية بجامعة جنيف في مقدمة كتابه لترجمة القرآن: «إن إصلاحات محمد (صلى الله عليه وسلم) قد حققت تقدمات ذات أبعاد غير متناهية وذلك لدرجة تجعل محمدا (صلى الله عليه وسلم) في عداد أكبر العظماء الخادمين للإنسانية» [٢٦].

ثم إن أساليب النبي (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة والمراسلة كانت تقوم على أساس من الخلق العظيم والقعدة الحسنة مما جعل الإسلام يدخل إلى القلوب من غير سابق إنذار ولا تأشيرة مرور، فامتد بسرعة إلى أقاصي البلاد وأعماق الجزر والفيافي، وأدغال الغابات والصحاري دون خطط مرسومة، ولا سيوف مسلولة. وبهذا الصنيع العفوي تغلب الإسلام على جميع الديانات، وامتص أحقاد الأمم الأخرى بعبقريته الفذة وبلبماسيته النادرة، فكان أبنائهم يقرنون أهل الديانات المنزلة على دينهم إن هم أحببوا ذلك، ضامنين لهم حقوقهم بعهود ومواثيق لم تعرف في تاريخ الأديان من قبل [٢٧].

والمتمعن لهذه الرسائل النبوية يعلم علم اليقين أن الإسلام قد بهر الأمم بسماحته ورحمته وحسن سيرة أفرادها لما يتشبهون به من عدل وسماحة وقيم فاضلة، لذلك صرح المستشرق جوستاف لوبوين في كتابه حضارة العرب قائلا: «إن الإسلام من أكبر الديانات تهذيبا للنفوس وحملا على العدل والإحسان والتسامح» [٢٨]. وهذه المعاني جلية واضحة في رسائل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك كما هي بيّنة أيضا في أنماط التعامل والسلوك.

وبالجملة فإن الرسائل النبوية أدخلت في الإسلام أمما كثيرا وشعوبا، وأعقبت في نفوس الملوك إيمانا رقيقا مقيمة في العالم دولا وحضارات عديدة، تقودها

(١٠) المبارك فوري: الرحيق المختوم، المكتبة العصرية، بيروت ط: ٢٠٠٠ ص ٣٢٤.

(١١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٢٩٦.

(١٢) السهيلي: الروض الأنف تحقيق عبد الرحمن الوكيل، ط ١/ مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٩٩٠، ٣٦٥/٧.

(١٣) د. محمد بن صالح أبا الخيل: أصول كتب النبي (صلى الله عليه وسلم) ويقاؤها بعد عصره، مجلة التاريخ العربي المغرب الرباط، ٢٠٠٢، العدد ٢٢، ص ٥٢.

(١٤) المرجع السابق والصفحة.

(١٥) عبد الملك بن سعيد من ذرية عمار بن ياسر كان وزيراً ليهي بن غانم المرابطي في غرناطة ت ٥٦٢هـ.

(١٦) السهيلي: الروض الأنف، مرجع سابق ٧/٣٦٥.

(١٧) ابن حجر، عمدة القارئ: شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٩٩/١.

(١٨) المبارك فوري: الرحيق المختوم، مرجع سابق ص ٣٢٤.

(١٩) محمد بن صالح أبا الخيل: أصول كتب النبي (صلى الله عليه وسلم)، مرجع سابق ص ٥.

(٢٠) المرجع السابق ص ١٢.

(٢١) محمد سليمان المنصور فوري: رجمة للعالمين، دار السلفية، بومباي الهند ط ١٩٨٩م، ١/٧٥.

(٢٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/٢٩٥.

(٢٣) محمد بن صالح أبا الجليل: أصول كتب النبي (صلى الله عليه وسلم)، مرجع سابق ص ٥٠ نقلاً عن ابن طولون.

(٢٤) أبو بكر الجزائري: هذا الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) يا محب ط ٥، ١٩٩٢م، ص ٣٥٥.

(٢٥) الدكتور أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٤، ١٩٩٣م، ٢/٤٦٠.

(٢٦) الدكتور محمد معروف النوايلي: أثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية، من أعمال المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، قطر ١٩٨١م، ٧/٢٠٧.

(٢٧) المرجع السابق والصفحة.

(٢٨) المرجع السابق ٧/٦١١.

أجيال ريبانية تؤمن بالله وتعتصم بحبله وتستمسك بسنة رسوله الأمين (صلى الله عليه وسلم). فقد مثلت هذه الرسائل الجهد الأساس في الدعوة الإسلامية فعملت على جس نبض الملوك لتستميلهم نحو الدين الحنيف بلطف ودبلوماسية، مستعملة أساليب مؤثرة وجذابة تسترعي الانتباه وتستميل القلب. فالتعابير في هذه الرسائل استعطافية، والخط رفيع والحبر براق، والحجم مناسب (أربعة أصابع عرضاً/ وشبر واحد طولاً) والحروف واضحة مقروءة فقد سطر على شرائح من الجلود قابلة للمقاومة والصمود مما ضمن لها الديمومة والاستمرار وهياً لعظمها أسباب الصيانة ولبعضها الآخر البقاء إلى اليوم.

الهوامش:

(١) يذكر في هذا السياق أن رسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اتقنوا اللسان الأعجمي في وقت قياسي وبأسلوب خارق للعادة «فأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين أرسل إليهم من غير مضي زمان يمكن فيه التعلم معجزة له (صلى الله عليه وسلم) حتى يفهموا ما يقال، ولا يتنافى هذا مع دعاء بعض الملوك الترجمان لأنه من تعاطم العجم انظر الشريف قاسم: نشأة الدولة الإسلامية في العهد النبوي ص/ ٣٥.

(٢) إبراهيم أمين: المعجم الوسيط، القاهرة ١٩٧٢ - ٧٧٤/٢.

(٣) المرجع السابق: ١/٤٤٧.

(٤) المرجع السابق ٢/٩٢١.

(٥) الموسوعة الفقهية: الكويت: ٣٤/١٨١.

(٦) المرجع السابق والصفحة.

(٧) انظر الترمذي الشمائل ص ٧٥، وابن حجر: فتح الباري ١٠/٣٢٤، وابن سعد في طبقاته ١/٢٨٥.

(٨) هو عبد العزيز بن عبد العزيز اللطفي (ت ٨٨٠هـ) المكناسي اليمعوني المالكي نسبة إلى لط من قبائل البربر بقلصى المغرب نزل المدينة المنورة له ألفية في النحو وتقايد على مختصر خليل، وقررة الأبصار في سيرة المشفع المختار. انظر الأعلام ٤/٢١.

(٩) محمد الحسن بن أحمد الخديم: بغية الأبرار من شرح قررة الأبصار، مطبعة الكرامة، الرباط ٢٠٠٠، ص ٨٤.



القصة النبوي

إرم ذات الحماد

وأثارهم شاهدة عليهم :

يتحدث القرآن الكريم في كثير من المواضع عن ضرورة السير في الأرض لمشاهدة آثار الكافرين من الأمم السابقة الذين كذبوا الرسل، فكانت عاقبتهم الهلاك والتدمير، ونجاة رسل الله ونصرة المؤمنين.

قال تعالى [١]: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

ويوسف ومحمد وغيرها .

وقد حدد القرآن الكريم في بعض النصوص هذه الآثار الباقية كسفينة نوح: ﴿وجعلناها آية﴾ والقرية التي أمطرت مطر السوء: ﴿ولأنكم لتمررون عليهم مصبحين﴾ {وعادا وشهودا وقد تبين لكم من مساكنهم}، {وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم}، {فاليوم نتجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية}، {سأريكم دار الفاسقين} وغير ذلك كثير لمن يطيل النظر.

وفي مقامنا هذا تدل الآثار لقوم عاد على ما كان لهم من حضارة تعبر عن قوتهم ويطشهم وتجبرهم مما سبق ذكره .

وقد ذكر المؤرخون والمفسرون وأصحاب السير

قال ابن كثير: يسيروا في الأرض بأفهامهم وعقولهم ونظريهم، وسماع أخبار الماضي، أي كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم أيها المبعوث إليهم محمد {صلى الله عليه وسلم} وأكثر أموالا وأولادا، وما أوتيتم معشار ما أوتوا، ومكنوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه، وعمروا فيها أعماراً طويلاً، فعمروها أكثر منكم، واستغلوا أكثر من استغللكم، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات، كذبوا بالحق لما جاءهم، وفرحوا بما أوتوا، أخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من إله من واق، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس الله .

ويكرر ابن كثير هذا القول في الآيات التي جاءت بمثل هذه الألفاظ . كما في سورة غافر وفاطر



أ. د. عبد الباسط حمودة

مصر

بالعمد، قال في الصحاح: والعماد الأبنية الرفيعة، تذكر وتؤنث، قال عمرو بن كلثوم:

ونحن إذا عماد الهي خرت

على الإخفاض نمنع من يلينا

وقال عكرمة: هي دمشق، وقال محمد بن كعب: هي الاسكندرية. وقيل: الإرم الهلاك.

ومما قيل في (إرم ذات العماد) قصص تكاد تكون من نسج الخيال، نذكرها ثم نورد التعليق عليها، حتى لا يتوهم القارئ في أمهات الكتب صحة ذلك.

ذكر صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب [٢]:

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، في كتابه المترجم (ببواقيت البيان في قصص القرآن) عن منصور بن سفيان عن أبي وائل: أن رجلا يقال له: (عبد الله بن قلابة) خرج في طلب إبل له قد شردت، فبينما هو في بعض صحارى عدن، إذ وقف على مدينة عليها حصن، حول ذلك الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال، فنزل عن ناقته وعقلها، وسل سيفه ودخل من باب الحصن، فإذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما، ولا أطيب رائحة، وإذا خشبهما من أطيب عود، وعليها نجوم من ياقوت أصفر، وياقوت أحمر، ضوؤها قد

كلما كثيرا عن (إرم ذات العماد) واتصل ذكرها بعماد، ورأينا أن نتحدث عنها في هذه القصة من باب العلم والوقوف على أقوال السابقين فيها.

إرم ذات العماد:

أورد القرآن الكريم في باب العظة والعبرة ما حدث للأمم السابقة، كقوم عاد، وثمود وفرعون، وقارون، وغيرهم. وقرن ما حدث لعاد بذكر (إرم ذات العماد) فقال تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد).

وإرم: قيل اسم بلدة عاد، كانت أبنتهم عالية، أو من الخيام ذات العماد [١].

وقيل: إرم [٢]: اسم القبيلة، لأن عاد بن إرم بن سام بن نوح، وقال مجاهد: إرم أمة من الأمم، وفي هذا المعنى يقول قيس بن الرقيات:

مجدا تليسا بناه أولهم

أدرك عمادا وقبيله إرم

ومعنى (ذات العماد) ذات القوة والشدة، مأخوذ من قوة الأعمدة. وقال مقاتل: ذات العماد يعني طولهم.

كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعا، ويقال: رجل طويل العماد، أي القامة.

وقال (ابن زيد): ذات العماد يعني إحكام البنیان

ملا المكان؛ فلما رأى ذلك عجب، ففتح أحد البابين، فإذا هو بمدينة لم ير الراعي مثلها قط، وإذا هو بقصور تتعلّق تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت، وقوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والزبرجد وعلى كل باب من أبواب تلك القصور مصراع كمنصراع باب المدينة من عود طيب قد نضبت عليه الياقوت، وقد فرشّت تلك القصور باللؤلؤ، وينادق المسك والزعفران، ولم ير هناك أجداً، ثم نظر إلى الأزقة فإذا في كل رزاق منها أشجار قد أثمرت، تحتها أنهار تجري، فحمل من لؤلؤها وينادق المسك والزعفران، فأخذ منها ما أراد، وخرج ثم سار يقفوا أثر ناقته حتى رجع إلى اليمن، فأظهر ما كان معه، وأعلم الناس بخبره، وباع ذلك اللؤلؤ، وكان قد اصفر وتغير من طول الزمان الذي مر عليه.

والقصة تقول: فشا خبره وبلغ معاوية، فأرسل إلى صاحب صنعاء وكتب بإشخاصه، حتى قدم على معاوية وسأله عما عين فقص عليه أمر المدينة فاستعظم ذلك وأنكر ما حدث، ثم قال يا أمير المؤمنين: معنى من متاعها اللؤلؤ والينادق، فأمر ببندقة منها فدقت، فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصده عند ذلك.

وتقول القصة: فأرسل معاوية - بناء على رأى بعض جلسائه - إلى كعب الأحبار وأحضره ثم قال له: يا أبا إسحاق إني دعوتك لأمر رجوت أن يكون علمه عندك، فقال له: يا أمير المؤمنين (على الخير سبقت) فسلني عما بدا لك، فقال له: أخبرنا يا أبا إسحاق، هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب

والفضة، عمدها زبرجد وياقوت؟ قال: والذي نفس كعب بيده لقد ظننت أن سانتوسد يميني قبل أن يسألني أحد عن هذه المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين، ولن هي؟ ومن بناها؟ أما المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين، وعلى ما وصفت له.

وأما صاحبها الذي بناها فشداد بن عاد. وأما المدينة فهي إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد.

فقال معاوية: يا أبا إسحاق، حدثنا بحديثها. يرحمك الله. فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين إن عادا كان له ابنان، يسمى أحدهما شديدا، والآخر شدادا، فهلك عاد، فبقيا وملكا وتجرا، فقهر أهل البلاد وأخذها عنة وقسرا، حتى دان لهما جميع الناس. ومات شديد بن عاد وبقي شداد فملك وحده. فكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكلما مر فيها بذكر الجنة دعت نفسه لتعجيل تلك الصفة لنفسه الدنية عتوا على الله وكفرا، فلما قر ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التي هي إرم ذات العماد وأمر على صنعها مائة قهرمان، مع كل واحد ألف من الأعوان. وأعملوا مدينة من ذهب وفضة وياقوت. وأجروا فيها الأنهار حتى تكون تحت تلك الأشجار جارية فإني أسمع في الكتب صفة الجنة، وإني أحب أن أتخذ مثلها في الدنيا، أتعجل سكنائها. انطلقوا إلى كل موضع فيه معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة. ثم انظروا إلى ما في أيدي الناس من ذلك فخذوه.

وإلا سوف يدخلها، وسيدخلها أهل هذا الدين في آخر الزمان: الخ.

حفيرة شداد بن عاد:

وما يتصل بما تقدم ذكر أبو إسحاق الثعلبي عن الشعبي أن رجلا من أهل حضرموت يقال له إسقاطم قد وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت مطل على البحر: .

ويتحدث عن تلك المغارة ويصف طولها وعرضها، ويقول: فأقضيها إلى أزج عظيم محفور في الجبل: . وفي صدره سرير من ذهب مفصص بأصناف الجواهر، وفوقه رجل عظيم الجسم، وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة: . وإذا على رأس السرير لوح من ذهب فيه كتاب بالمسند فقلعناه: .

قال: فانطلقنا بما معنا من تلك القضبان من الذهب، وحملناها مع ذلك اللوح الذهب الذي كان عند رأس السرير: . فكث ذلك اللوح عندى حولا وأنا لا أجد من يقرؤه، حتى أتانا رجل حميري من أهل صنعاء يحسن قراءة تلك الكتابة، فقرأه فإذا فيه مكتوب هذه الأبيات:

اعتبر ربى أيها المـ

رور بالعمـ

أنا شداد بن عاد

صاحب المصن العتيد

وأخو القسوة والبـ

سباء والملك الشـ

وكان عدد الملوك تحت يد شداد مائتين وستين ملكا، أخذ ما في يدهم من الزبرجد: . فخرج القطعة: . والقهارمة: . فوقعوا في صحراء عظيمة نقية من الجبال والتلال: . فبنوها على الصفة التي يراها في الكتب: . واستغرقوا في بنائها ثلاثمائة سنة، وكان عمر شداد سبعماية سنة.

وقال كعب: إنهم لما أتوه فأخبروه بقراعهم منها قال: انطلقوا واجعلوا عليها حصنا، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف علم، ويكون في كل قصر وزير من وزرائي: . وأمر من أراد من نسائه وخدمه بالجهاز إلى إرم ذات العماد: . ثم سار الملك شداد بن عاد بمن أراد: .

قال: فلما استقل وسار ليسكن فيها، وبلغ منها موضعا بقي بينه وبين دخوله إليها مسيرة يوم وليلة، بعث الله - تعالى - عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا: . ولم يدخل شداد ولا من كان معه إرم ذات العماد: .

قال كعب: فهذه صفة إرم ذات العماد، وأنه سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك ويرى ما فيها، فيحدث بما عاين، ولا يسمع منه ولا يصدق، فقال معاوية: يا أبا إسحاق، فهل تصف لنا؟ قال: نعم هو رجل أحمر أشقر قصير، على حاجبه خال، وعلى عقبه خال، يخرج في طلب إبل له ندت: . والرجل جالس عند معاوية، فالتفت كعب فرأى الرجل، فقال: هو هذا يا أمير المؤمنين قد دخلها، فأسأله عما حدثك به، فقال معاوية: يا أبا إسحاق، إن هذا من خدمي، ولم يفارقتي، قال كعب: قد دخلها

ويذكر الثعلبي: إن شدادا لما هلك هو ومن معه بالصيحة، ملك بعده مرث بن شداد، فأمر بحمل أبيه إلى حضرموت، فحمل مطليا بالصبر والكافور، فأمر أن تحضر له تلك المغارة، واستودعه فيها على ذلك السيزر الذهب.

ومقتضى هذا السياق فيه دلالة على أن شداد بن عاد هذا المذكور أنفا وابنه مرث بن شداد وخبر إرم ذات العماد، كان قبل مبعث هود - عليه السلام - .

هذه القصة - باختصار شديد - كما أوردها التوير عن أبي إسحاق الثعلبي وهي قصة تكاد تكون من نسج خيال واسع ولا تخضع للأثار الإسلامية الصحيحة. وسنورد ما قاله أئمة التفسير في شأنها حتى يقف القارئ على مثل هذه القصص التي ترد في كتب التفسير والسيزر والتاريخ دون تحقيق أو تمحيص.

التعليق على إرم ذات العماد وشداد بن عاد :

تورد أخبار في بعض كتب التفسير والسيزر والأدب والتاريخ تشيع بين الناس ويتوهمون صحتها، ومما يقوى الوهم ورودها في كتب قديمة مثل: (يواقيت البيان في قصص القرآن) و(قصص الأنبياء، المسمى بالعرائس) لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ - ١٠٢٥م ويسند رواياته إلى كعب الأحبار أو وهب بن منبه أو إلى أفراد غير معروفين. وتتقل عنه بعض الكتب الأدبية والتاريخية وغيرها، وربما ردد هذه القصص والحكايات بعض المحدثين.

ولذا نعرض التعليق على ما جاء في الأخبار عن (إرم ذات العماد) و(شداد بن عاد) ولا ننكر ما كان لقوم عاد من حضارة وعمارة وتقدم في الصناعات والعلم وبسطة في المال والجسم والقوة. كل ذلك في ضوء ما جاء به القرآن الكريم والقصص النبوي الصحيح. قال عبد الوهاب النجار في (قصص الأنبياء): وموضع بلادهم اليوم رمال، ليس بها أنيس بعد العمران والنعيم المقيم، ولم يتعرض أحد من الأوروبيين الباحثين والمثقفين إلى الكشف عن بلادهم، ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة في عالم الآثار، وأبان عن مدنية عظيمة مطمورة تحت تلك الكثبان. وقد أخبرني السيد عبد الله بن أحمد بن عمر بن يحيى العلوي، من أهل حضرموت، أنه قام في جماعة إلى إحدى المدن البائدة في شمال حضرموت، ونقب فيها وعثر على بعض الأتية من المرمر، عليها كتابة بالخط المسماى، ثم ترك التنقيب لمضايقه البدو له، وإثقال كاهله بالمطالب المالية.

ويقول عباس محمود العقاد في كتابه (الثقافة العربية): «فمن الثابت أن جنوب الجزيرة كان مأهولا قبل ثلاثة آلاف سنة، وكانت له عمارته ومبانيه التي لا تنتشأ في قرون قليلة».

وابن كثير في تفسيره وفي قصص الأنبياء يذكر ما كان لعاد من البنيان الضخم الشاهق والبروج المشيدة كما جاء في قوله تعالى: (أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون)، قال ابن كثير: يقول لهم: أتبنون بكل مكان مرتفع بناء

عظيما هائلا كالقصور ونحوها، تعبتون بيناتها؛ لأنه لا حاجة لكم فيه، وما ذاك إلا لأنهم يسكنون الخيام. ولكن ابن كثير ينكر ما قيل عن إرم ذات العماد، وأنها مبنية من ذهب وفضة (ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة، وهي تنتقل في البلاد، فقد غلط وأخطأ وقال مالا دليل عليه...).

ونقل ابن كثير في تفسيره (إرم ذات العماد) عن قتادة بن دعامة والسدي: إن إرم مملكة عاد. وهذا قول حسن جيد وقوي. وقوله تعالى: {التي لم يخلق مثلها في البلاد} قال: وأما قتادة وابن جرير فأعادا الضمير على القبيلة، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم، وهذا القول الصواب. وأورد عن ابن أبي حاتم عن المقدماء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه ذكر إرم ذات العماد فقال: (كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحى فيهلكهم).

ويعلق ابن كثير على ما قيل في (إرم ذات العماد) مبنية بلبن الذهب والفضة. الخ فيقول: فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين، ومن وضع بعض زنادقتهم ليختبروا عقول الجبهة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

ويقول: وما ذكره الثعلبي وغيره أن رجلا من الأعراب وهو عبد الله بن قلاب، في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت. الخ، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال. فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس

كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته. وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجبهة والطامعين والمتخيلين من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطر الذهب والفضة وألوان الجواهر والياقوت واللآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فياكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاير ونحو ذلك من الهذيان.

والذي يجزم به أن في الأرض دقائن جاهلية وإسلامية، وكنوز كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها فكذب واقتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله - سبحانه وتعالى - الهادي إلى الصواب.

وقال الشوكاني في (فتح القدير) وزاد الثعلبي في تفسيره فقال: إن عبد الله بن قلاب... الخ، وهذا كذب على كذب، واقتراء على اقتراء. وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهاء، وفاقرة عظمى، ورزية كبرى، من أمثال هؤلاء الكذابين البجائين الذين يجترئون على الكذب، تارة على بنى إسرائيل، وتارة على الأنبياء، وتارة على الصالحين، وتارة على رب العالمين، وتضاعف هذا الشر بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها ومن موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز... فأنخلوا هذه الخرافات المختلقة، والأقاصيص المنحولة، والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرقوا وغيروا وبدلوا.

العقاد وملامح المنهج النفسي

فانطلاقاً من العشرينيات، ظهرت ثلاثة مؤلفات مهمة:

(الدويان): للعقاد والمازني، (في الأدب الجاهلي): - لطف حسين، ثم (الغريال): لميخائيل نعيمة. هذه الأخيرة، شكلت قطيعة مع النقد اللغوي والبلاغي الذي مثله كتاب - الوسيلة الأدبية - لحسين المرصفي - خاصة - إن هذه البداية، تشكل نقداً عربياً جديداً، يتغذى من النقد الغربي. مما جعله يرتبط أحياناً بالشك الديكارتي. كما هو الشأن عند طه حسين. وأحياناً أخرى بهازيلت أو كولردج.

وفي بداية العقد الثاني من القرن العشرين، ظهرت داخل الرابطة القلمية في المهجر الشمالي الأمريكي حلقة أدبية شكلت على إثرها حركة نقدية، أرست قواعدها في كل من: مصر، لبنان، سوريا، .. الخ. حركات انفتحت على الغرب باعتبارها مصدراً معرفياً ومنظراً للإبداع. لكنها اتخذت من بداياتها بُعداً ايديولوجياً مما أدى في أغلب الأحيان، إلى صراعات واصطدامات. تجلت في صراع العقاد والرافعي. وما عرفه كتاب (في الأدب الجاهلي) لطف حسين، من حملات. وكذا ما وجهه كل من العقاد وميخائيل نعيمة لأحمد شوقي. وقد أوضح طه حسين ذلك، في كتابه (خصام ونقد).

وفي نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات، برزت حركة نقدية عربية استقطبت معرفة شاملة ومكثفة تجلت - على سبيل المثال لا الحصر - في مجلة (الأداب) البيروتية بدعوتها إلى الفكر الوجودي. فيما أخذت مجلة (الثقافة) الوطنية تدعو إلى الفكر الماركسي. أما مجلة (شعر) فكان همها الدعوة إلى الحضارة المتوسطة. وفي هذا الإطار، أصبح حضور

من أهم القضايا التي تثار حالياً في المجال النقدي العربي، تعامل المنهج أو النظرية النقدية مع النص الإبداعي العربي. بمعنى البحث عن مدى تفاعل آليات هذا المنهج مع النص. إن أغلب النقاد المعاصرين، قد دأبوا على استقطاب مناهج ونظريات نقدية غربية. والعمل بها في مقارنة النصوص الإبداعية. إلا أن هذه العملية، قد طرحت - وما تزال - عدة قضايا نظرية ومنهجية. ويرجع ذلك، لكون هذه المناهج والتصورات قد نشأت في محيط ثقافي خاص أكسبها مميزات خاصة لكونها تأسست على نصوص ومتون لها خصوصيات ثقافية وحضارية غربية.

إن المنهج وعملية تطبيقه، ليس سوى مجرد قراءة معينة تختلف باختلاف النصوص.

إن تطور الدراسات النقدية، جاء نتيجة تطور شتى العلوم: تجريبية، بيولوجية، ... الخ. امتد هذا التطور من هيبوليت تين H.taine وسانت بوف S.Beuve، وصولاً إلى نظرية تحليل الخطاب والدراسات السيميائية، ... الخ. وقد كانت لهذه التيارات أمضاء في العالم العربي، على الرغم من تأخرها. أثر ذلك على مسار النقد العربي مما جعله يعرف مساحات وتطورات بارزة. تجلّى ذلك في اللحظات البارزة من تاريخه. تبعاً للثوابت والمتغيرات التي عرفها.

د. سعيد بو عيطة

المغرب

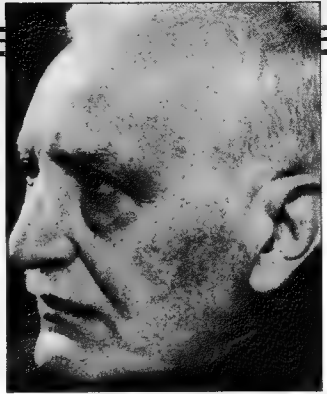
خاصة مع العقاد والنويهي : إن هذا التصور المنهجي عند العقاد، سنحدده في حدود ما تخوله لنا مؤلفاته - العبقريات - .

لقد اتجهت أغلب الدراسات النقدية الى رصد خصوصيات الأجناس الأدبية والبحث عن الثابت والتحول فيها: الشعر، القصة، الرواية، المسرح... أما السيرة الذاتية، فقد ظلت تنفرد الى هذا التحديد. وإن وجد شيء من ذلك، فإنه يتميز بأحكام عامة مع نهج المادة التاريخية. من هذا المنطلق، اعتبر العرب القدامى الكتابة عن الأشخاص، جزءاً من كتابة التاريخ.

يقول المؤرخ الفرنسي برناركلي: «إن السيرة هي وحدها كانت قادرة على تحسيس المؤرخين بالزمان الذي عاشه البشر» [٢].

إن هذا التصور، يتسجم مع ما كتبه العقاد في مؤلفاته العبقريات، حيث وظف المادة التاريخية (أحداث، وقائع، أخبار... الخ) - مادة تتعلق بشخصية من شخصيات عبقرياته - لكنه لا يُعنى بالوقائع من حيث هي وقائع، ولا بالأخبار من حيث هي أخبار، بقدر ما يُعنى برسم صور - معينة من خلال هذه الوقائع والأخبار.

يقول العقاد : «لا أعني بالوقائع من حيث هي وقائع ولا بالأخبار من حيث هي أخبار، لكنني قصدت رسم صورة نفسية» [٢].
إن رسم هذه الصورة، لا يتأتى إلا بالاعتماد على الأخبار التاريخية، لذا اهتم بها العقاد. إن السؤال الذي يطرح نفسه ونحن نتحدث عن تجربة العقاد هو: ما هي الأسس الموضوعية والمنهجية التي استند إليها العقاد؟



مباس محمود العقاد

العرب أكثر عمقا. وذلك عن طريق تفكيكه لا الخطاب النقدي فقط، بل للخطاب الفكري عامة. من ثمة، تبرز أهمية كتابين هما: (في الثقافة المصرية) لمحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، و(دراسات في ضوء المنهج الواقعي) لحسين مروة.

العقاد وملامح المنهج النفسي :

على الرغم من أن حركة طه حسين وجيله (العقاد، ميخائيل نعيمة، المازني، شكري،... الخ) قد وصلت الى حدود لم يعد لها عطاء إلا أنها شكلت محطات نقدية أساسية في مسيرة النقد العربي.

وإذا كان ما قام به العقاد في المجال النفسي عبارة عن محاولات ساذجة لا ترتبط بالتحليل النفسي، وإنما بفهم نفسية ابن الرومي فإنه يظل حلقة أساسية من حلقات النقد العربي التي لا يمكن تجاوزها. رغم أن بعض النقاد ينعتونها بالتقميش والبعد عن التحليل النفسي كإدانة كلية وشاملة [١]. لأن الهدف (في أغلب الاحيان) ليس إثبات نتائج التحليل النفسي، بقدر ما هو تطوير النقد العربي ورسم حدوده وأفاقه.
الى حدود الخمسينيات، ساد المنهج النفسي،

لقد ألف العقاد - العبقريات - كاستمرارية لمشروعه الفكري العام. يقول: «في تقديم كتابي هذا عن أبي بكر الصديق، أقول ما قلته في - عبقرية محمد - وعبقرية عمر - وكل كتاب من هذا القبيل» [٤].

نتساءل إذن، عن الدافع الى تأليف هذه العبقريات؟ يجيب الناقد عبد الفتاح كليطيان أسباب كتابة السير - عامة - تكمن فيما يلي: [٥].

أ - الاعتراف بالذات (في هذا الشأن، يربطها ميشال فوكو، بالعادة المسيحية حيث يعترف المرء بما ارتكب من معاص).

ب - الرغبة في وضع تقليد أو سنة إن الذي يترجم لنفسه يتقدم كنموذج يحتذى به فتكتسي الترجمة صبغة تعليمية.

ج - الاعتقاد بأن الأحداث التي عاشها صاحب الترجمة، مثيرة وجذابة لأن الذي يكتبها يسعى الى اثبات وحدته، من ثمة نقول: إن كتابة السيرة لا يمكنها أن تكون إعادة أمينة لمجمل تفاصيل حياة صاحبها. إنها توفق دائماً للاحتفاظ بوجود مستمر، وتجديد ودفع آخر

لمراحل الحياة الماضية، إن حديث العقاد عن شخصيات عبقرياته، ليس سوى حديث عن نفسه. يظهر ذلك مما يلي:

١ - الإحباط والإخفاق السياسي للعقاد.

٢ - النظر بوعي أو بدونه لشخصيته (العقاد العبقري). وهذا ما يسمى في علم النفس بالانسقاط حيث تتحول فيها السيرة الغيرية الى سيرة ذاتية وتكون الشخصية المترجم لها مجرد قناع.

٣ - الحط من قيمة الأنظمة الحديثة.

٤ - فساد نظام الحكم في عصره. مما جعله يشير الى هذا الحل الخلاص [٦].

يشير بعض الباحثين الى أن اختيار العقاد لكتابة هذه العبقريات، يرجع الى إيمانه بالفرد (الفردانية) فيما يرى البعض الآخر، أنها تدخل ضمن اهتماماته بالفكر العربي عامة. وتأثره بالأدب الانجليزي الذي ضم باحثين اهتموا بما تعلق بالبطولة: توماس كارليل، صاحب كتاب - الأبطال - علما بأن العقاد من أكثر الأدباء العرب، استفادة من الأدب الإنجليزي، كما أن مرجعيته الأساسية، تستند الى العالم الإيطالي المومبروزو، ومدرسته. خاصة فيما يتعلق بالعبقرية. كما تأثر بعالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت. إلا أنه من المؤكد أن طروحات المومبروزو، بعيدة عن علم النفس. الشيء الذي لم يمه العقاد [٧]. لأنها أقرب الى علم الإجرام. يقول العقاد مشيراً الى هذه المرجعية: «إن العالم الإيطالي لومبروزو ومدرسته التي تأثر برأيها. يقررون بعد تكرار التجربة والمقارنة أن للعبقرية علامات لا نخطئها على صورة من الصور في أحد أهلها» [٨].

إن العقاد قد عمّم مفهوم العبقرية وزاده ضبابية. مرد ذلك الى اختلاف مفهوم العبقرية بينه وبين مرجعه. ونبين ذلك كالتالي:

* لومبروزو - العبقرية - علم الاجرام - الاجرام.
* العقاد - العبقرية - علم النفس - البطولة.

مناهجنا
الأدبية
والفكرية
أسست على
مفاهيم الغرب
باعتبارها
مصدراً
معرفياً
ومنظراً
للابداع

أ - الإنتقائية فيما يتعلق بالمادة التاريخية حيث الوقوف عند محطات بارزة في التاريخ العربي. والشيء نفسه فيما يتعلق بالمنهج، حيث الاكتفاء ببعض الأدوات والمفاهيم البسيطة.

ب - عدم ممارسة أية قراءة نقدية على المصادر والمراجع، سواء التاريخية أو ما يتعلق بعلم النفس. على الرغم من هذه الملاحظات، فإن العقد قد ساهم في إغناء الثقافة العربية، وتحريك الوعي الثقافي العربي. في مرحلة بدأ فيها هذا الوعي شق طريقه مع مجموعة مفكرين من قبيل: طه حسين، إبراهيم المازني، عبد الرحمن شكري، عبد الحليم المصري، الخ. إذ عملوا على تأصيل قواعد تجديدية سواء فيما يتعلق بالتجربة الشعرية أو القضايا الفكرية العامة.

الهوامش :

- (١) التحليل النفسي والنقد الأدبي، حوار مع: جورج طرابشي، مجلة: دراسات سيميائية أدبية، (المغرب)، ع ٣ صيف / خريف ١٩٨٨، ص: ٩.
- (٢) آيت أوشان (علي)، قراءة نقدية لعبقريه الصديق، البيان الثقافي، ع ٢٢، ٢٧ يناير ١٩٩٢م.
- (٣) عباس محمود العقاد، عبقريه الصديق، (ب ط)، دار الهلال، ١٩٤٣م، ص ٣٢.
- (٤) المصدر نفسه، ص ٢٣.
- (٥) كليطو (عبد الفتاح)، الحكاية والتأويل، ط ١، دار توتيقال، الدار البيضاء ١٩٨٨م، ص ١٣.
- (٦) البيان الثقافي (مراجع سابق).
- (٧) المرجع نفسه.
- (٨) الناظوري (الدريس)، البطولة والعبقرية، سلسلة: دراسات تحليلية، ط ١، دار النشر المغربية، ١٩٨٤م، ص ٣٦.
- (٩) عبقريه الصديق (مصدر سابق)، ص ٢٢.
- (١٠) المصدر نفسه، ص ٢٣.
- (١١) احسان عباس، فن السيرة، ط ٢، دار الكتاب، مصر، ١٩٧٢م، ص ١٠٢.

وفي الوقت الذي بدأ العقد اهتمامه بمفهوم العبقرية، فإن هذا الأخير قد تم بحضه وتجاوزه. ولعل هذا ما يبين أن العقد قد أساء تناول بعض المفاهيم. لأنه وظفها في غير مكانها وزمانها، عكس ما يذهب إليه بعض النقاد في كون العقد قد سلك طريقة تحليل ومنهج نفسي سليم. إن جل مقدمات عبقرياته، والتي يحدد فيها أسسه المنهجية، لم تعط مفاهيم وأدوات واضحة. واكتفى ببعض الإشارات التي تشي الى مجال علم النفس. وعلى الرغم من أن العقد ليس غريباً في هذا المجال، فإنه يكتفي فقط برسم تلك الصورة النفسية.

يقول : «إنني لا أكتب ترجمة للصديق ولا أكتب تاريخاً لخلافته، ولكنني قصدت رسم صورة نفسية»[٩].

لقد وظف العقد مصطلحات تتعلق بعلم النفس: حدة المزاج، العصبية، النموذج، الخ. استقى هذه الخصائص استناداً الى المادة التاريخية.

يقول: «ومهما يكن حق الدراسة التاريخية في هذا الموضوع، فحق الدراسة النفسية يساويه. إن لم يكن يزد عليه أو ربما كان حق الدراسة التاريخية مطلوباً لما ينتهي إليه من هذه العجيبة النفسية التي هي غاية العلم الذي نصبو إليه»[١٠].

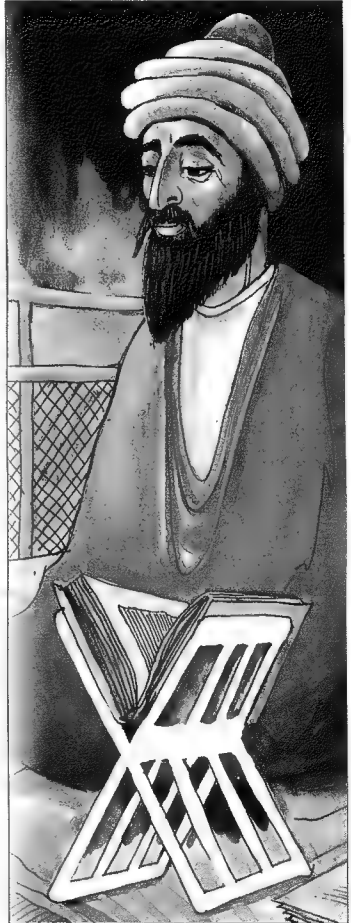
إلا أن محاولة المزاوجة بين النفسي والتاريخي والأدبي، جعل الوحدة تغيب سواء على مستوى الموضوع أو المنهج مما يجعلنا نقول، إنه من الصعب الحديث عن منهج متماسك عند العقد (إن هذا ما جعلنا ننتعه بملامح المنهج النفسي). وفي هذا السياق، يقول احسان عباس: «ما كتبه العقد، ليس سيرة بالمعنى الدقيق. ولكن تفسيراً لبعض مظاهر الشخصيات، على قاعدة شبيهة بالتحليل النفسي وليس هو (...) هي لباقة في العرض ومهارة في اللمح والتفسير»[١١].

وعلى الرغم من ذلك، فإن أهم ما يمكن اثارته فيما يخص ما قدمه العقد:

❖ الإسلام والعلم :

من المعروف أن الحركة العلمية لدى العرب المستعربة قد نشطت نشاطاً لا سابق له بفضل ظهور الإسلام وانتشار الدعوة الإسلامية وإقبال المسلمين على حفظ القرآن الكريم والتفكير في آياته. فقد كانت أول سورة نزلت على الرسول «صلى الله عليه وسلم» هي سورة العلق التي أولها: «اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم» (العلق / ٥-١).

ويلاحظ في هذه السورة الربط المحكم بين خلق الإنسان وتعليمه، وكان إنسانية الإنسان تتوقف على تعلمه، وكان قيمته الحقيقية تكمن في علمه ومعرفته، فبدون المعرفة لا قيمة له، ويخيل إلى أن الإمام علي بن أبي طالب قد استلهم من هذه السورة وغيرها مقولاته الشهيرة: «قيمة كل امرئ ما يحسن».



مفهوم العلم في العقل العربي



د. علي القاسمي

- الرباط -

ومسلمة، ويقول الأصوليون (علماء أصول الفقه) إن طلب العلم قرض عين وليس فرض كفاية، أي لا يكفي أن يقوم به بعض المسلمين نيابة عن بقيتهم، وإنما يجب على كل واحد بعينه.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تحث المسلمين جميعاً على التفكير والتأمل وإعمال العقل في الكائنات والطبيعة والكون كله وحبب الرسول (صلى الله عليه وسلم) العلم إلى النفوس في مناسبات مختلفة وأحاديث كثيرة، فروي عنه أنه قال: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أراهما معا فعليه بالعلم»، وقال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».

** مكانة العلم والعلماء :

وبفضل هذه المبادئ الثلاثة، تبوأ العلم والعلماء في العقل العربي أعظم درجة وأسمى مكانة.. وقد بين القرآن الكريم الفرق الكبير بين منزلة أهل العلم ومنزلة غيرهم بسؤال تقريرتي استتكري: [هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟] (الزمر/ ٩)، وأصبح طلب العلم أفضل من نوافل العبادات الأخرى بحيث يُقَدَّم العالم على العابد كما يُقَدَّم النبي على بقية الناس، بل كما يفضل النبي أدنى الناس. وهو ما أفصح عنه الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بنفسه حين قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، وفي رواية أخرى: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب)، وفي حديث آخر يؤكد فضل العالم على العابد: «فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة».

ويحكم النظام المعرفي في الإسلام ثلاثة مبادئ أساسية:

الأول: إن العلم لله العليم وليس للإنسان من علم إلا ما علمه الله تعالى: [سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم] (البقرة/ ٢٢). ولا يمكن للإنسان أن ينال شيئاً من علم الله إلا بمشيئته: [ولا يُحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء] (البقرة/ ٢٥٥).

وتكمن أهمية هذا المبدأ في أنه يلغي احتكار العلم إلغاء شاملاً، ويلغي كل وصاية عليه، مهما كان نوعها أو مصدرها. فما دام العلم لله، فإن لجميع خلق الله الحق في نيل شيء منه. فكما أن الملك لله فالأرض أرضه والماء مأذو والهواء هواؤه ويحق لجميع عباده أن يستثمروها، فإن العلم كذلك مشاع للجميع لا ينحصر في فئة مهنية معينة كالكهان والسحرة، ولا يقتصر على طبقة اجتماعية اقتصادية محددة كالنبلاء والأغنياء.

الثاني: مبدأ لا محدودية العلم. فنحن مهما بلغ علمنا لا نعرف إلا الشيء الضئيل جداً: [وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً] (الإسراء/ ٨٥)، لأن [فوق كل ذي علم عليم..] (يوسف/ ٧٦). وهذه متواليات لا متناهية تؤكد لا محدودية المعرفة من ناحية، وفتح باب البحث العلمي على مصراعيه، من ناحية أخرى، فما دام هنالك كثير من العلم غير المكتشف، فإن باستطاعتنا الكشف عن بعضه، والوصول على شيء منه، والاستفادة من نتائجه.

الثالث: مبدأ وجود التعلم، إذ أن (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكل مسلم تعني - بالتغليب - كل مسلم

من الصائم القائم المجاهد - وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه».

العلم والمال :

وطلب العلم أفضل من الاستثمار في الأعمال التجارية وكسب المال - ويشتمل تراث العرب الأدبي على نصوص كثيرة تتناول المقارنة بين العلم والمال، لعل أشهرها وصية الإمام علي بن أبي طالب لتميذه كميل حين قال له:

«يا كميل! العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال - العلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تتقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق - مات خُرَّان الأموال، وبقي خُرَّان العلم: أعيانهم مفقودة، وأشخاصهم في القلوب موجودة».

فالأثرياء ينتهون بموتهم أما العلماء فيبقى ذكرهم حياً بعد وفاتهم، بفضل ما يخلفونه من أفكار ونظريات ومؤلفات - كما أن صاحب المال يفقد منزلته

وطلب العلم في الإسلام أفضل من نافلة الصلاة، كما هو واضح من قوله [صلى الله عليه وسلم] «لأن تغبو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة».

ومن فضل العلم أنه «يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة».

وطلب العلم أفضل من نافلة الصوم، لأن الصوم يستطيعه معظم الناس أما العلم الحقيقي فلا يحمله إلا قلة قليلة منهم ويصعب تعويضهم عند فقدانهم، وهذا ما يفهم من كلام الإمام علي بن أبي طالب: «العالم أفضل

المال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق



بين الناس بفقدان ماله، بعكس صاحب العلم الذي لا يفقد علمه فتظل مكانته مصونة دوماً، كما يقول الفضل بن سلمة:

**قد يذهب الجاه إذا المال ذهب
ويثبت الجاه إذا العلم مُحِبٌ**

والعلم والعلماء - في العقل العربي - أفضل من السلطة والسلطين؛ فالسلطان حين يمارس مسؤولياته يحتاج الى فكر العالم وأرائه ونظرياته. وهذا ما يدل عليه كلام الإمام جعفر الصادق حين قال: «الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك».

فالعرب يؤمنون بأن الله تعالى رفع مكانة العلماء درجات مصداقاً لقوله تعالى: [يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] (المجادلة/ ١١)، وهكذا تبوأ العلماء، في الثقافة العربية، مكانة أسمى من مكانة العباد، والقائمين، والصائمين، والتجار، والملوك. وليس هنالك أرفع من تلك المرتبة إلا منزلة الأنبياء. والأتبياء لا يورثون النبوة ولكنهم يورثون العلم والمعرفة. ولهذا أصبح «العلماء ورثة الأنبياء» كما ورد في حديث متفق عليه.

هذه المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها العلماء تجعلهم أكثر الناس معرفة بالله وأعظمهم خشية منه: [إنما يخشى الله من عباده العلماء] (فاطر/ ٢٨)، والعلماء يعرفون ما لا يعرفه عامة الناس، بل يعلمون أشياء تخفى على الناس ولا يعلمها إلا الله: [وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم] (آل عمران/ ٧). وهذه أعظم منزلة يمكن أن يتصورها العقل.

هذه المنزلة الرفيعة التي تبوأها العلماء في الثقافة العربية هي التي أطلقت عدداً من الأقوال السائرة التي تنوه بأهمية العلماء، مثل: «إذا زل العالم زل برزته عالم» و«قتل أرضاً عالمها، و قتلت أرض جاهلها».

هذه المكانة السامية التي تبوأها العلماء هي التي

أوجبت علينا توقيرهم وإجلالهم مهما كان مظهرهم متواضعاً وعيشتهم بسيطة، لأن المخبر أهم من المظهر. وفي هذ يقول أبو عثمان الجاحظ الذي كان وجهه الدميم لا يضاهي عقله العظيم: «لا تزدرين العالم وإن كان حقيراً، ولا تعظمن الأحمق وإن كان كبيراً».

فالعالم يرفع قدر الإنسان وإن كان لا ينتمي الى أسرة عريقة أو طبقة اجتماعية مترفة، بعكس الجهل الذي يحط قيمة الإنسان ويلحق بصاحبه الهوان، حتى إذا كان من علية القوم حسباً ونسباً وثراء وسلطة: العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

- أو كما يقول دجيل الخزازي:
**العلم ينهض بالخصيس الى العلا
والجهل يقعد بالفتى المنسوب**

- أما احمد شوقي فيذهب الى أبعد من ذلك، إذ يرى أن الإنسان الجاهل هو إنسان مريض بلا دواء، فالعلم ضرورة حياتية:

**ترك النفوس بلا علم ولا أنب
ترك المريض بلا طب ولا أس**

ولا تقتصر أهمية العلم على إمداد الإنسان البسيط بالغذاء الروحي والدواء الفكري ورفع منزلته الى منزلة العظماء فحسب، وإنما بالعلم تتقدم المجتمعات وترتقي الأمم كذلك، كما يقول معروف الرصافي:

**بالعلم تنظم البلاد فإنه
لراقي كل مدينة مرقاة**

ولهذا كله أصبح العلم أنفس شيء، «أعز ما يطلب»، كما ورد في عنوان كتاب لمحمد بن تومرت الذي أوصله تضلعه في العلوم الى حكم المغرب

الأقصى وتأسيس دولة
الموحدين فيه.

هذه المنزلة السامية
التي يحتلها العلم هي التي
جعلت الكثيرين يدعونه
ويتسبون الى طائفة العلماء،
أو كما قال الإمام علي بن
أبي طالب: «كفى بالعلم شرفا
أن يدعيه من لا يحسنه،
وفرح به إذا نُسب إليه،
وكفى بالجهل صنعة أن يتبرأ
منه من هو فيه ويغضب إذا
نُسب إليه».

تواضع العلماء :

ومع هذه المنزلة الرفيعة
التي يتبوؤها العالم، فإنه يظل
متواضعا لا يتباهى بما
يعرف، بل يعتقد، بكل
إخلاص، أنه لا يعرف في
حقيقة الأمر شيئا يذكر وأنه
مجرد طالب علم. وهذا
الشعور بالجهل ضرورة
لتحصيل شيء جديد من
العلم المتنامي اللامتناهي،
كما يستفاد من قول الرسول
(صلى الله عليه وسلم) «لا
يزال الرجل عالما ما طلب
العلم، فإذا ظن أنه قد علم
فقد جهل».

فمن يدعي تمام علمه
فإنما يبرهن على جهله وقلة

معرفة بحقيقة العلم، لأنه سيتوقف عن اكتساب ما
يستجد من العلوم في ميدانه وسرعان ما يصبح
متخلفا عن ركب العلماء بحيث يحق لغيره أن يصنفه
في طائفة الجهلاء. ويقول فيلسوف العرب الكندي في
هذا: «إن العاقل من يظن أن فوق علمه علما، فهو أبدا
يتواضع لتلك الزيادة. والجاهل يظن أنه قد تنهى
فتمتته النفوس». «فادعاء العلم دليل على الجهل، كما
يقول أبو العتاهية:

أشدد الناس للعلم ادعاء

أقلهم بما هو فيه علما

ويقول الإمام الشافعي :

كلما أبني الدهر

رُأراني نقص عتلي

وإذا ما ازدبت علما

زأنتي علما بجاهلي

وإذا توقف العالم عند حد معين دون أن يضيف
الى ما لديه ودون أن يعدل ويطور فيه ، أصبح - بمرور
الزمن وتطور العلم - في عداد الجهال، ولهذا قال
النفري: «العلم المستقر هو الجهل المستقر».

تحصيل العلم : الزمان والمكان :

ونظرا لهذه المكانة السامية التي يتبوأها العلم في
الثقافة العربية الإسلامية، فقد أصبح تحصيله فرضا
واجبا على كل فرد. ولا يتقيد هذا التحصيل بزمان
معين ولا بمكان مخصوص. فالعمر كله وقت تحصيل،
والإنسان يتعلم في جميع مراحل حياته: في الطفولة
والشباب والكهولة والشيخوخة، طبقا لتوجيه الرسول
(صلى الله عليه وسلم) «اطلب العلم من المهد الى
اللحد». وهذا ما يسمى في وقتنا الحاضر بـ «التربية
المستديمة» أو «التعلم مدى الحياة»، فلا يكفى التخرج

لا يزال
الرجل
عالما ما
طلب
العلم...
فإذا
ظن أنه
قد علم
فقد
جهل

من الجامعة بأعلى الدرجات الأكاديمية وإنما يحتاج الفرد الى دورات تدريبية متواصلة، وإعادة تأهيل، وتثقيف واطلاع دائمين دائنين. وهذا ما تلخصه مقولة الإمام أحمد بن حنبل الشهيرة: «مع المحبرة الى المقبرة».

والتعلم مدى الحياة مقولة لها تطبيقات وأمثلة كثيرة في الثقافة العربية الإسلامية، إذ تروي لنا كتب التراث، مثلاً، أن أبا الريحان البيروني، أكبر علماء عصره، سأل - وهو على فراش الموت - أحد عواده عن مسألة حسابية كان مجمع العلوم الذي يرأسه البيروني يحاول حلها، فأتى عليه أحد الحاضرين ذلك، فقال له البيروني: «يا هذا، أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها؟!».

ليس لتحصيل العلم وقت معلوم من أوقات الليل والنهار، فطالب العلم نهم لا يشبع من غذاء الفكر، يواصل الإقبال عليه بتلذذ، وينغمس فيه بلهفة، لا يشبهه في ذلك إلا من افتتن بجمع المال وتكديس الملايين، فإذا جمع مليونه الأول تلف لجمع الملايين الثاني وأغرق في ابتداء السبل لتحقيق ذلك. ولهذا قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا/ مال».

ويتطلب تحصيل العلم منا المثابرة والجد ومواصلة الليل بالنهار، صيفاً وشتاءً، ربيعاً وخريفاً، دون أن نتشكى من حر الصيف ولا نتذمر من برد الشتاء، ودون أن يلهينا جمال الربيع ولا تشغلنا تقلبات الخريف، كما يقول أحمد بن فارس، الذي مكته جده ومثابرته من تصنيف معجمين هما (المجمل) و(مقاييس اللغة):

إذا كان يؤنيك حر الصيف

فوكرب الخريف ويرد الشتاء

ويلهيك حسن زمان الربيع

مع، فلخذك للعلم، قل لي متى؟!

ومن ناحية أخرى، ليس للعلم مكان محدد أو محل مخصص. ولا يقتصر تحصيله على المدرسة فقط، لأن كل مكان يصلح لطلب العلم واكتسابه، فـ «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها» كما يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهي كلمة جسد معناها وترجمها عمليا ذات مرة أحد أحفاده هو زين العابدين على بن الحسين الذي قيل له إنه سيد الناس فلم يجلس في حلقة زيد بن أسلم وهو عبد أسود، فأجاب بتواضعه الذي يضرب فيه المثل: «إنما يجلس الرجل حيث يتتبع، وإن العلم يُطلب حيث كان»، ولا يتوقف طلب العلم على المدينة التي يقطنها المرء أو البلاد التي يستوطنها، وإنما يطلب أينما كان مهما بعد المكان، تأسياً بماثور القول: «اطلبوا العلم ولو في الصين».

ونتيجة لذلك، فقد عرفت الثقافة العربية الإسلامية تقليداً طويلاً حافلاً يُسمى «الرحلة في طلب العلم»، وكانت تلك الرحلة شاقة في زمن لم تيسر فيه وسائل المواصلات ولا الطرق الممهدة، ولكن «من احتاج الى العلم رحل إليه وطلبه»، كما يقول أبو العلي اليوسي، الذي جال في المغرب حاضره ويأديه في طلب العلم حتى أصبح من الأدباء والعلماء المشاركين وصنف المؤلفات الكثيرة ومنها كتابه المشهور «زهر الأكم في الأمثال والحكم».

ولخص الغزالي لنا عزمه على الارتحال والتغرب في طلب العلم في بيت واحد:

سألتغرب في طول البلاد وعرضها

أأطلب علماً أو أموت غريباً

ويفسر لنا أبو علي القالي، في مقدمة كتابه «الأمالي» الذي يعد من مصادر الأدب العربي، السبب في كثرة رحلاته في طلب العلم بقوله: «فلاني لما رأيت العلم أنفس بضاعة، أيقنت أن طلبه أفضل تجارة،

أن يستطيع حفظها عن ظهر قلب؛ فـ «العلم في الصدور لا في السطور» كما يقول المثل السائر. وأنشد عبد الملك الأصمعي الذي يعدّ من أشهر رواة الشعر العربي، بيتاً في هذا المعنى:

استودع العلم قرطاساً فضيعة
ويئس مستودع العلم القراطيس

فالعالم الحقيقي، في العقل العربي، هو الذي يحفظ علمه في صدره ويستحضره أينما كان، قريباً من كتبه أو بعيداً عنها، كما قال الإمام الشافعي:

علمي معي حيثما يمتدّ يتبعني
قلبي وعاء له، لا بطن صندوق
إن كنتُ في البيت كان العلم معي
أو كنتُ في السوق كان العلم في السوق

وتذهب الثقافة العربية الى أبعد من ذلك. فإذا درس الرجل درساً فإن العلم هو ما حفظه فقط. وهذا ما يدلّ عليه القول المأثور: «ما العلم إلا ما وعاه الصدر».

شروط تحصيل العلم :

ولكن هذا الحفظ يتطلب توفر شروط معينة ويقتضي اتباع خطوات محددة، يبينها لنا المختصون، ونظمها الشعراء شعراً تيسيراً لحفظها .

ويحدد ابن قتيبة في كتابه الذائع الصيت «عيون الأخبار» هذه الخطوات بقوله: «أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس النشر».

ويذهب النمري القرطبي هذه الخطوات ويصنّفها ويضيف إليها شرطاً أساسياً هو النية، التي تعني توفر الرغبة في التعلم والعزيمة على اكتساب المعرفة لوجه الله تعالى، فيقول: «أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم

فاغتريت للرواية، ولزمت العلماء للدراسة».

وتستند الرحلة في طلب العلم الى عدد من الأحاديث النبوية منها: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» ومنها: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة».

تقييد العلم وحفظه :

على الرغم من أن الثقافة العربية توصي بتقييد العلم بالكتابة خوفاً من ضياعه وتيسيراً لنشره ووصول الآخرين إليه، فإنها في الوقت نفسه لا تعتبر الرجل عالماً ما لم يحفظ عن ظهر قلب المعارف التي درسها، وتسخر ممن يمتلك المعرفة على شكل كتب ووثائق ولكنه لا يعرف ولم يحفظ محتوياتها:

وعند الشيخ
كتبٌ من أبيه

مصفاة

ولكن ما قراها

كما تهزىء بطالب العلم الذي يعتمد على دفاتره التي يسجل فيها محاضرات شيخه أو آراء أستاذه دون

لا تتعلموا
العلم
لتباهوا به
العلماء
ولتماروا
به السفهاء
ولتصرفوا
به وجوه
الناس
اليكم

الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر».

ويرى الإمام الشافعي أن من شروط تحصيل العلم أن يكون الطالب على قدر من الذكاء والحرص والاجتهاد، وأن يصحب استاذاً قديراً لمدة طويلة:

أخي لن تنال العلم إلا بسترته

سأقبلك عن تفصيلها ببيان:

نكاه وحرص واجتهاد وبلغ

وصحبة أستاذ وطول زمان

ويضيف الطوسي، إلى ما تقدم من شروط وخطوات، شرطين آخرين: أولهما، أن يتمتع الطالب بصحة جيدة تساعد على صفاء الذهن وانسراح القريحة، وأن يتوفر على ما يقيم أوده من سكن ولباس وطعام؛ وثانيهما، الاغتراب في سبيل العلم عند الضرورة، فيقول نظماً:

بعشر يُنال العلم: قوتٌ وصحةٌ

وحفظٌ وفهمٌ ثابتٌ في التعلم

وبرسٌ وحرصٌ واغترابٌ وهمةٌ

وشرحٌ شباب واجتهادٌ معلّم

زكاة العلم :

من جوامع الكلم وروائع الحكم قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) «**العلم يزكو على النفقة**».

وتجلى عبقرية هذا القول - إضافة إلى معناه العام وأهدافه الإنسانية السامية - في استعمال الفعل «يزكو» ، فهو مشترك لفظي له دلالات ثلاث تتكامل فيما بينها، وهي: زكا يزكو زكواً وزكاء وزكاة فهو زاك: - الشيء: (١) نما وزاد، (٢) صلح وحسن، (٣) صار طاهراً (كالمال بعد أن تدفع عنه الزكاة).

ونفقة العلم، هي الأخرى، تتمثل في صور متعددة: قيام العالم بالتدريس، والمناظرة، وبالتأليف، وينشر علمه بأية وسيلة من وسائل النشر، وبإخراجه

في تطبيقات عملية، وبإجابة من يسأل، الخ.

ومن خبرتي المتواضعة

في التعليم الجامعي، تاکد لي

أنني استوعب معلوماتي

بشكل أفضل حين أقوم

بتدريسها لطلابي أو إعدادها

في محاضرة عامة أو حديث

إذاعي . وكنت أفهم تلك

المعلومات بشكل أحسن إذا

خضعت للمناقشة والتدارس

مع طلابي أو زملائي . وهذا

ما جعل إسحاق التادلي

الرباطي يقول: «ليس العلم

بكثرة التأليف ولكن بالمداولة

والمناقشة» . وقد يعى هذه

الحقائق نابغة عصره الظليل

بن أحمد الفراهيدي فقال

يوصي أحدهم: «اجعل

تعليمك دراسة لله، واجعل

مناظرة المتعلم تنبيهاً لما ليس

عندك» .

هذه النفقة الواجبة على

العلم كوجوب الزكاة على

المال، التي أكدها الرسول

(صلى الله عليه وسلم) في

حديثين آخرين: «لا تمنعوا

العلم أهله، وكنتم العلم يلعنه

كل شيء»، إنما هي في

مصلحة العالم أولاً، والعلم

ثانياً، والآخرين ثالثاً،

لا تكن
ممن
يجمع علم
العلماء
وطرائف
الحكماء
ويجربى
في العمل
مجربى
السفهاء

والإنسانية جمعاء بعد ذلك .
فهي في مصلحة العالم لأنه
يستوعب علومه بشكل
أفضل . أما مصلحة العلم
فتصورها كلمة ماثورة للإمام
علي بن أبي طالب: «كل شيء
يعز إذا نُرِّ، ما خلا العلم» .
فانتشار العلم يؤدي الى علو
مكانته وتغلغله في حياة
الناس فيزدادون محبة به
وتعظيماً له . وإذا كانت
البضائع الأخرى ترتفع ثمنها
بقلتها في السوق، طبقاً لبدأ
العرض والطلب، فإن بضاعة
العلم على العكس من ذلك إذ
يزداد الإقبال عليها كلما
كثرت . فالمجتمع الجاهل لا
يقبل على اقتناء الكتب
وقراءتها، بل المجتمع المثقف
هو الذي يشجع العلماء
ويعزهم .

وزكاة العلم هذه هي
في مصلحة الناس جميعاً
لأنهم هم المقصودون بعبارة
«أهل العلم» التي وردت في
الحديث، ونصه الكامل يدل
على ذلك: «لا تمنعوا العلم
أهله، فإن في ذلك فساد
دينكم والتباس بصائرهم» ثم
قرأ: (إن الذين يكتمون ما
أنزلنا من البينات والهدى من

بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله
ويلعنهم اللاعنون) .

وقد ردد أئمة الفكر وقادة الرأي حديث الرسول
(صلى الله عليه وسلم) «العلم يزكو على النفقة» بعده
في صور متعددة واستثمروه في مجالات كثيرة . فقد
مر بنا حديث الإمام علي الذي ورد فيه « ١٠٠ المال
تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق» . ويحث
الغزالي على إنفاق العلم بطريقة بلاغية جميلة فيقول:
«من أصاب علماً فاستفاد وأفاده كان كالشمس تضيء
نفسها وبغيرها وهي مضيئة» .

هذه الفكرة المتجذرة في العقل العربي القائلة
بوجوب إباحة العلم وتحرير كتمانها أو منع الآخرين من
الإفادة منه هي التي جعلت كثيراً من الدول العربية
تتلكأ في توقيع الاتفاقات المتعلقة بحقوق الملكية الفكرية
أو حقوق المؤلف، ما يستدعي ضرورة التوفيق بين
الحقوق التي تعود للمؤلف لقاء جهده وعرق جبينه وتلك
الحقوق التي تعود للجمهور لتمكينه من الإفادة من
المعرفة أيأ كان مصدرها، بحيث يكون العلم مشاعاً
كالماء والهواء .

العالم والجهال :

لفظ «الجاهل» في اللغة العربية يعني إما السفه
غير الحليم وإما غير العارف، ويزخر التراث العربي
بقصص وطرائف وأمثال وأقوال ماثورة عن علاقة
العالم بالجهال بحيث نرثي لحاله ونأسف عليه .

قد يحاول العالم تعليم الجاهل السفه الذي لا
استعداد له للتعلم ولا رغبة له فيه، فيتعالى ذلك الجاهل
على العالم الذي يصاب بالإعياء والإحباط كما يقول
صالح عبد القدوس:

وإن عناء أن تعلم جهلاً

فيحسب جهلاً أنه منك أعلم

*** كاتم
العلم
يلعنه
كل
شيء .
*** علم
لا ينفع
ككنز لا
ينفق
منه

وقد يجهد العالم نفسه في تعليم السفه ولكن هذا الأخير لا يفيد منه ويتذهب جهود العالم هباء ولا يضارعه في حاله إلا من منع الراغبين في التعلم منه، كما أشار الإمام الشافعي:

**ومن منح الجهال علماً أضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم**

وقد يجد العالم نفسه بين مجموعة من الجهال الذين لا يقدرون علمه ويستهنون به ويناصبونه العداة ويكيلون له الأذى، طبقاً لقاعدة «الناس أعداء ما جهلوا» أو تبعاً لبيت يُنسب إلى الإمام علي:

**وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء**

فيتألم ذلك العالم لما يفعله أولئك الجهال بأنفسهم ومجتمعهم: «فـ الجاهل يلعب بنفسه كما يلعب العدو بعدوه»، كما ورد في القول المأثور. وفي هذه الحالة يستحق ذلك العالم الرثاء أو كما روي عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] «ارحموا عالماً ضاع بين جهال».

ويروى أنه كان للعقبوري الخليل بن أحمد الفراهيدي ولد بطيء التعلم قليل الفهم. ودخل هذا الولد على الخليل يوماً فقرأه يردد بيتاً عدة مرات وينقر على آلة بيده، فظن أن أباه قد جنّ، ولم يعلم أنه كان يقطع البيت لتحديد وزنه، فقال الخليل:

**لو كنت تعرف ما أقول عذرتني
أو كنتُ أجهلُ ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتني فعذلتني
وعلمتُ أنك جاهل فعذرتك**

إذا كانت أخبار التراث العربي تدلنا على أن الخلفاء والملوك والأمراء يقربون العلماء والأدباء

والشعراء ويفدقون عليهم الهبات، فإن المقصود بأولئك العلماء كبارهم ممن يبلغ علمهم مجالس أولى الأمر. أما طلاب العلم وصغار العلماء الذين لم يبلغوا مبلغ الشهرة فقد كانوا يعيشون عيشة الكفاف شأنهم شأن الطلاب في كل مكان وزمان حتى لو وفرت لهم الدولة الأقسام الداخلية أو المنح الدراسية. ولهذا تزخر الثقافة العربية بقصص وأخبار عما يقاسيه طلاب العلم من الفقر والعوز. وتلخص مقولة الإمام مالك ذلك، فقد روي عنه قوله: «لن يُنال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر».

ويضطر العالم الباحث أو الأديب المبدع إلى مزاوله مهنة تشغله عن علمه وأدبه بعض الوقت ليكسب قوت يومه، في حين يتمتع كثير من الجهال بالنعيم والخيرات والسلطة أحياناً، فيشعر العالم والأديب بالمرارة والظلم. وهذا ما حدث لأبي هلال العسكري، صاحب (كتاب جمهرة الأمثال) الشهير، ما جعله يقول:

**العلم
أكثر
من أن
يحصى
فخذوا
من كل
شيء
أحسنه**

يتحلى بها العلماء - فنعمة العلم قد تتحول الى نقمة ما بعدها نقمة إذا جانب العلم جادة الصواب ولم يلتزم بالقواعد الخلقية، كما يقول أحد الشعراء:

العلم أعظم نعممة لكنه

قد يستحيل لنقمة ويلاه

والعلم إن ضل السبيل فسأله

شرُّ على الدنيا من الجهلاء

وأول أخلاقيات العلم في الإسلام أن يكون العلم لله، وأن تكون نية المرء في التحصيل والدرس والبحث خالصة لوجه الله، أي بما يرضي الله، ويتفق مع مقاصد شريعته، وينفع عباده، ولا يضر بيئة الأرض التي استخلفهم عليها - وقد روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله: «من تعلم علماً لمغير الله، وأراد به غير الله، فليتبوأ مقعده من النار»، والعلم الحقيقي - في جوهر الأمر - لا يكون إلا لله؛ ولهذا قال الإمام الغزالي: «طلبنا العلم لمغير الله، فأبى أن يكون إلا لله». وثاني أخلاقيات العلم أن يطلب المرء العلم للعلم، لا لطمع في نفسه، ولا لمنفعة شخصية، ولا لمجرد التباهي به أو التعالي على الآخرين - وقد روي عن الرسول قوله: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولتماروا به السفهاء، وتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار» - وقد انتقد أحد الشعراء ذلك الصنف من الناس الذين يقولون على العلم للتباهي به ولتسخيره لظلم الآخرين وغشهم:

إني رأيت الناس في عصرنا

لا يطلبون العلم للعلم

إلا مباحاة لأصحابه

وعنده للغش والظلم

والعالم الحقيقي يخلو قلبه من الطمع فلا يتزلف

جلوسي في سوق أبيع وأشتري

ليليل على أن الأنام قـرود

ولا خير في قوم يُدَّك كرامهم

ويعظّم فيهم نذلهم ويسودّ

أما الشاعر أبو الحسين الجزار فقد هجر مهنة الأدب التي أذاقته العوز والفقر وامتهن القصابة فأصبح جزاراً موسراً وقال:

كيف لا أشكر القصابة ما عـشـ

ت حياتي، وأهجر الأداب؟

وبها صارت الكلاب ترجـ

ني، وبالشعر كنت أرجو الكلاب

وهذه المفارقة التي تتمثل في جوع العالم فقراً وتخمّة الجاهل غني، صورها لنا شاعر لا نعرف اسمه - مع الأسف - ولكن نحفظ شعره القائل:

تموت الأسد في الغابات جوعاً

ولحم الضأن يُرمى للكلاب

وإن جهل ينأى على حـرير

وإن علم ينأى على التراب

وقد تكرّم الأمة عالماً من علمائها أو شاعراً من شعرائها بعد وفاته، أي بعد فوات الأوان، كما يقولون، فينطبق عليه ما قاله عبيد بن الأبرص:

لا ألفسينك بعد الموت تنديني

وفي حياتي ما زوتني زادي

أخلاقيات العلم :

في الثقافة العربية الإسلامية ثمة ضوابط أخلاقية تقيد توجهات البحث العلمي، وتحدد استخدامات نتائجه، وتبين الخصال التي ينبغي أن



يجعل مهمة العلم خلقية في الأساس فيقول: «العلم الحقيقي هو التمييز بين الأخلاق وإظهار محمودها وقمع مذمومها». فمن استفاد من علمه أصبح على خلق كريم. وهذا يستدعي الى الذاكرة نصيحة الإمام الحسين بن علي: «لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء». ويتصل بمبدأ العلم للعلم مبدأ العلم للحقيقة. فغاية العالم الوصول الى الحقيقة والكشف عنها، كما يقول الحاجي خليفة في كتابه الموسوعي «كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون»: «ليس الغرض من الدرس تحصيل الرزق في هذه الدنيا، ولكن الغرض الوصول الى الحقيقة».

وحتى إذا وضع أحد العلماء فرضية ما، فإنه يجري البحث للتأكد من صحتها أو بطلانها. وبطلان

الأغنياء وأصحاب النفوذ، ولا يسعى بطمه الى أبواب الأمراء بغية منافع شخصية، لأن علمه يمنعه من ذلك. ولهذا دهش أبو هاشم الزاهد عندما رأى شريك القاضي يخرج من دار الوزير يحيى بن خالد، وعبر عن دهشته بقوله: «أعوذ بك من علم لا ينفع»، فقد كان يتوقع أن يمنع القاضي علمه من التردد على قصور الوزراء. فمن حق العلم على العالم أن يترفع عن الطمع كما يقول علي بن عبد العزيز الجرجاني:

**ولم أقض حق العلم إن كان كلما
بدا طمع صيرت لي سلما**

لأن ذلك الترفع والتعفف يسبغ على العلم هبة وجلالا ويعظمه في نفوس الناس:

**ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظموا
ولكن أهانوه، ونكسوا
محياء بالاطماع حتى تجهما**

وتذكرني هذه الصورة الشعرية البديعة في بيت الجرجاني الأخير برواية (صورة دورين غراي) للكاتب البريطاني العبقري أوسكار وايلد. وتدور هذه الرواية حول صورة شاب وسيم كريم الأخلاق، ولكنه تورط في أفعال لا أخلاقية، وكلما اقترب إثمًا ظهرت على الصورة لطفة صغيرة سوداء حتى اسودت الصورة وأمسك قبيحة.

إن، على طلاب العلم أن يتحلوا بالأخلاق الكريمة تكريما للعلم، كما قال أحدهم:

**يا صاحب العلم مهلا لا تنسه
بالموكلات فما للعلم من خلف**

ويربط الفيلسوف الفارابي العلم بالأخلاق بحيث

الاستفادة من علمه، غير أن الآخرين ينتفعون به، كما يقول الخليل بن أحمد:

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي

ينفعك قولاي ولا يضرك تقصيري

وهذا ما يعبر عنه المثل الفرنسي المعاصر: «افعل ما أقول ولا تفعل ما أفعل» *Fait ce que dis, ne fait pas ce que je fais.*

ويرى جابر بن حيان أن خطوات العملية العلمية تتلخص في ثلاث: البحث، والحصول على المعرفة، والتطبيقات العملية لتلك المعرفة. أو كما عبّر عن ذلك بقوله: «انظر، واعلم، ثم اعمل».

ويمكن تلخيص موقف الثقافة العربية من قضية النظرية والتطبيق ومسألة الأقوال والأفعال بالقول المأثور: «خير العلم ما نفع وخير القول ما اتبع». أما إذا لم تكن للعلم فائدة ملموسة في حياة الناس فإنهم سيزهدون فيه وينصرفون عنه كما قال الإمام علي بن أبي طالب: «إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم».

أنواع العلم :

لا نهاية للعلم ولا سقف له ولا قاع. يمتد امتداد الكون في اتساعه وعمقه وارتفاعه. ولا يستطيع فرد الإلمام بجميع أنواع المعارف مهما غظمت طاقاته الفكرية، ومهما طال عمره، ومهما اتسع وقته. ولهذا قال الإمام علي بن أبي طالب: «العلم أكثر من أن يحصى، فحفظوا من كل شيء أحسنه»، ونجد هذا المعنى منظوماً في بيتين ينسبان تارة للإمام علي وتارة للإمام الشافعي:

لن يبلغ العلم جميعاً أحداً

لا ولو حواطه ألف سنة

الفرضية جزء من العلم، لأن البحث أدى مهمته وتوصل العالم إلى حقيقة من الحقائق مفادها أن فرضيته ليست صائبة وينبغي العدول عنها، لأن «الرجوع إلى الحق خير من التعمد في الباطل» كما قال الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - .

والعالم الحقيقي يبحث عن الحقيقة مهما كان مصدرها ولا يستحي من أخذها من الأمم الأخرى، كما يقول الكندي في رسائله الفلسفية: «ينبغي لنا ألا نستحي من استحسان الحق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المبانية لنا، فإنه لا شيء أولى بطلب الحق من الحق».

والعالم الحقيقي لا يتعصب لرائيه، فهو مستعد للتخلي عنه بكل رحابة صدر إذا أثبت له الآخرون بطلان ذلك الرأي، لأن هدفه الوصول إلى الحقيقة ولا غير الحقيقة. وفي هذا يقول الإمام الشافعي الذي كان لا يتردد في تغيير آرائه عندما تتضح له حقائق جديدة: «ما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بآراءه على الله الحق على لسانی أو لسانه»، فالعلم للحقيقة وهدف العالم الوصول إلى الحقيقة والكشف عنها.

وأخيراً فإن من أخلاقيات العلم في العقل العربي، أن يكون العلم نافعاً للناس، أي أن تكون له تطبيقات عملية تنفع الناس وتؤدي إلى ترقية حياتهم الروحية والفكرية والمعيشية. أما إذا بقي العلم في صدور العلماء أو على رفوف المكتبات دون أن ينتفع به الناس، فينطبق عليه ما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) «علم لا ينفع ككنز لا يُنْفَق منه».

والعالم يعمل وفق معطيات العلم ويسير على هديه، لأن «الإنسان الذي لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة لا ثمر لها» كما يقول أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، أبو حيان التوحيدي - وقد لا تتاح للعالم ظروف

إنما العلم عميق بحره

فخذوا من كل شيء أحسنه

خاتمة :

إذا ما تركنا أقوال الفلاسفة العرب في تصنيفات العلم جانباً، ونظرنا إلى بقية الشواهد التي اقتطفناها من تراثنا الأدبي الأكثر شيوعاً بين الناس نخرج بانطباع مفاده أن العلم في العقل العربي هو نصوص لفظية تحفظ أكثر منه تجارب عملية تجرى، وأن الرواية أهم من الدراية، وأن الحفظ عن ظهر قلب خير من إعمال الفكر في حل المشكلات أو معرفة كيفية الحصول على المعلومات.

كما يتسالم المرء ما إذا كان تقدم العلم في الغرب هو نتيجة لسيادة النهج التجريبي الموضوعي الذي سلكه منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وارتباطه بالغاية المادية النفعية البحتة، وطلاقه من الأخلاق، فأصبحت مسيرته أسرع بعدما تخلص من حمولة الضوابط الخلقية وتجرد من التوجهات الروحية [*] [**].

[*] جميع الاستشهادات الواردة في هذا المقال مقتبسة من: علي القاسمي، معجم الاستشهادات (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون ٢٠٠١).

[**] لا نحسب بحال أن الضوابط الأخلاقية والروحية لها تأثير في (الخصول) و(الكسل) العلمي الذي أصاب المسلمين والعرب في زماننا هذا.. ونعلم أن هذه الضوابط كانت الدافع للمسلمين في قرونهم الأولى للإنتاج العلمي والعمل، حتى سادوا به الدنيا، ولا يزال العقلاء من الأوروبيين يؤكّدون على الدور الفاعل للمسلمين الأولين في الحركة العلمية التجريبية. والاحصاءات الحديثة تؤكد أيضاً أن عشرات الآلاف بل مئات الآلاف من علماء المسلمين والعرب يؤهّنون بوراً فاعلاً في الحركة التقنية في أوروبا.

المنهل

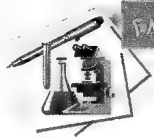
والعلم تصنيفات عديدة في الثقافة العربية، طبقاً للمركز الذي ينطلق منه التصنيف. فإذا نظروا إلى موضوع العلم صنفوه إلى صنفين أحدهما يتناول الطبيعة والآخر ما وراء الطبيعة، أو كما قال الإمام الشافعي: العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان.

«وإذا نظروا إلى العلم من حيث تطبيقاته العملية صنفوه إلى علم نظري وعلم عملي، أو كما قال ابن عبد ربّه في كتابه العقد الفريد: «العلم علمان: علم حُمل وعلم استُعمل».

«وإذا نظروا إلى العلم من حيث صحته وثباته صنفوه إلى علم يقيني وعلم ظني». وقال الإمام الغزالي: «إن العلم اليقيني هو الذي تتكشف فيه العلوم انكشافاً، لا يبقى معه ريب، ولا يقاربه إمكان الغلط والوهم».

«وإذا نظروا إلى طرق تحصيل المعرفة العلمية صنفوا العلم إلى علم عقلي وعلم نقلي أو إلى علم تجريبي يحصل بالتجربة والحواس وعلم عقلي يحصل بالنظر المنطقي».

ويقول الزمخشري: العلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني الرواية. ويذهب المتصوفة إلى أن المعرفة تحصل بطرق ثلاثة لا بطريقتين: عقلي وتجريبي وإلهامي. وفي هذا يقول الشيخ محي الدين بن عربي في مقدمة كتابه «الفتوحات المكية»: «العلوم على ثلاث مراتب: علم العقل، وهو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل.. وعلم الأحوال ولا سبيل إليها إلا بالذوق (التجربة الحسية).. وعلم الأسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث الروح القدس في الروح ويختص به النبي والولي».



الجملة الأدبية

الأسرار الدفينة في المكنسة التمنية

حدثنا ملك النحاة الحسن بن صاهي [١] قال:

كنت في داري بدمشق اهتبل الوقت في مدارس النحو والصرف، وأتذّبما حويا من شذا العرف، وأنق للمسائل العويصة، والشواهد النفيسة [٢] حتى التهمت كتاب سيبويه، وأصول ابن السراج، وجمال الزجاجي، ولُمع ابن جني، ومفصل الزمخشري [٣]، وصار النحو عندي أسهل من شرب الماء! وغصت الدار بمئات الأسفار، وتناثرت الأوراق في عرصاتها تناثر العلوج على الشواطىء والمروج!

الدرر مقشاة ننظف بها الدار، وأنت أبو النحو والفهم: ومن حوى النحو صار الفهم في يده طوعاً يحل به ماضمت الكتب!

قلت: حاجة صغيرة تطلب من رجل صغير، ولا تطلب من ملك كبير!

(وناديت بأعلى صوتي): يا جارية، خذي مائة دانق فاشترى بها مكنسة فاخرة من القش!

قالت: أيها الملك الأجل:

بئز جزر عفواً بئز جمهور [٤]، لقد تصرّم عهد القش والشّيح والبلاستيك كما تصرّم عهد الشباب المحب!

ليت وهل ينفعُ شيئاً ليت؟

ليت شباباً بوع فاشترى [٥]

قلت: وكيف ذاك أيتها الملكة كيلو كفتة، عفوا كليوباتر [٦]؟

قالت: إن جاراتي ينعمن بأفخر المكناس وأحلى الملابس، وقد حدثني عن المكنسة المسحورة التي تلتقط كل شائبة على السجادة، فلا تدع شاردة ولا واردة إلا

ولما رأْتُ زوجي تراحم الأوراق والغبار ضاقت نرعاً بهذا الحال، فجاعتني تمشي على استهجان، وقالت بلهجة تمثيلية ساخرة:

- مولاي، ملك النحاة، جئت أشكو إليك سيبويه وبيوتيه وأوراقيه وغبارويه!!
فقلت مقلداً الممثل عبد الله غيث:

- وما الأمر يا مولاتي؟ إنهم من صفوة رعييتي وخاصة بطانتي!

قالت: إنك يا مولاي، تدعو الى وطن أخضر بيئته سليمة وبيوته نظيفة، وهؤلاء يجتثون أشجاره، ويلتهمون ثماره، ويفسدون هواءه، ويدفنون النفايات النووية فيه!

قلت: إنه محض تخرص وافتراء، وإنما النحاة أهلة وضآة، وأسرجة وقادة:

إنما النحوي في مجلسه

كهلال لاح من بين الشُّرف

تخرجُ اللفظة من فيه كما

تخرجُ الدرة من بين الصُّدف!

قالت: أرجوك يا مولاي أن تشتري لنا بإحدى



د. أحمد عطية السعودي

- الأردن -

خشيت تلعتني [١٠]، فأعدت حقائني، ويمتُ شطر
المغرب، كائنني صارم في كف منهزم، وانطلقت وأنا
أحد:

لاستسهلن الصعب أو أترك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابم [١١]

حتى وطئتُ المغرب فإذا هي أرض ساحرة الجمال،
شاهقة الجبال، كثيرة الأنهار، غزيرة الأمطار، تغريك
بالسير فيها، والوقوف على ماضيها، فهنا على شاطئ
المحيط الأطلسي وقف عقبة بن نافع متضرعا الى ربه
قائلا: «يارب لولا هذا البحر لمضيتُ في البلاد مجاهدا
في سبيلك».

وهنا كان موسى بن نصير، وطارق بن زياد بطل



التهمتها كما تلتهم أنت ظل النحو وعوامل!

قلت : كائنك تريدني أن أشتري لبيتك كاسحة ألغام
تفجر ما في بطون كتبي من خلاف بين أهل البصرة
والكوفة!

قالت : إنما أريد ما أتباهي به على جاراتي ذوات
النثر المشعور والشعر المنثور!

قلت : من جاراتك اللاتي تقاصرت أمامهن
الخنساء بل الثريا والجوزاء؟!

قالت : نازك العراقية، وفدوى النابلسية وسعاد
الخليجية [٧]!

قلت : ومن وكيل هذه المكنسة الأعجوبة كما
يزعمن؟

قالت : رجل بمكناس في أرض المغرب يقال له ابن
مكنسة [٨]: يبيع الواحدة بألف درهم!

قلت : وكيف حصل على هذه المقشة الثمينة من
دوننا ونحن الخبراء باسم الآلة؟

قالت : إن جاراتي يقنن إن ابن مكنسة كان ذا بيت
كثير القمامة والغبرة فدخل ذات يوم على وزير الصحة
وشكا حاله، وذكر حاجته بأبيات ثلاثة:

لي بيتٌ كلفه بيتٌ شفر

لاين حجّاج [٩] من قصيد سخي

أين للعنكبوت بيتٌ ضعيفٌ

مثله، وهو مثل عقلي الضعيف

بقعة صدّ مطلع الشمس عنها

فأنا مدّ سكتتها في الكسوف [٩]!

فعرف الوزير قصده، وأهداه مكنسة مسحورة تدور
كسلحفاة كبيرة، فصار يلقب بابن مكنسة، وارتضى
اللقب والمهنة حتى غدا وكيل المكناس بلا منازع!
قال ملك النحاة : فانفجرت ضاحكا، وقطبت
زوجتي وجهها، وخشيت أن تصاب بجلطة حادة كما

قال : يا أبا نزار، ما حزت هذه المكتسة إلا بشق النفس بعد أن عشت خمسين حولاً أرجو نوال الوزير حتى رق لي لما قرأ شكواي فاهتز لارتعاشي وسوء معاشي!

قلت : عافاك الله من الداء الرعاش، وسلحك بالمدفع الرشاش، فما قلت للوزير المهيب؟
قال :

عشتُ خمسين بل تزيد
رقيماً كما ترى
أحسب المثل ينقأ
وكذا الملح سكر
وأظن الطويل من
كل شيء مـ
قد كبر بـ بـ
ت وعـ لي الى ورا
عجباً كيف كل شيء
أراه تـ
لا أرى البيض مسار يـ
إلا مـ
وإذا دق بالحـ
زجـ كـ[١٧]

قلت : ما أحوج زوجتي الى هذه المكتسة الثمينة، بل ما أحسنها لو كانت كأه الحليس:

أم الحليس لعـوز شـهـره
ترضى من اللحم بعظم الرقبـ[١٨]

قال : بل ما أحوجكم معاشر النحاة الى كنس الطل الثواني والثوات كما دعا ابن مضاء[١٩]!

أما أنت فلا تحزن:
عسى الكرب الذي أمسيت فيه
يكون وراـ فرج قريب[٢٠]!

قلت : لن أهناً ولن أهدأ حتى أقف على أسرار المكتسة الكهربائية وبينيتها الصرفية وعلها النحوية.

العنبر، ويوسف بن تاشفين، وعبد المؤمن بن علي، وعبد الكريم الخطابي بطل المجاهدين وداهر المستعمرين. وتجولت في ربوعها مفتوناً مأخوذاً بجبال أطلس وقمة طويق، ونهر أم الربيع ووادي درعة، واستمتعت بغابات الأرز والزان والبوط والصنوبر، وبخلت مدنها العاصرة: وجدة، وتطوان، وطنجة، والرباط، والدار البيضاء، وأغادير، وتازة، وفاس، ومليلة وسبتة.

وحظيت بقاء أعيانها وأنبائها: عبد الله كتون، وعلال الفاسي، وتقي الدين الهلالي، وعبد الهادي التازي، وعبد الكريم الخطيب، وعبد الله القباچ، وحسن الأمرائي. ولكن نفسي لم تهدأ حتى بلغت مدينة مكناس، فاستقبلني ابن مكتسة استقبال الأبطال الفاتحين، وأغرقني في بحر كرمه وضيافته، ولما أمعنت في النظر الى أركان بيته وجدته نظيفاً مرتباً، جميلاً مزخرفاً بزخارف الأندلس، فقلت:

- يا ابن مكتسة، أصبح ما رواه بعضهم عن مكانس المسحورة وأفعالها المنظورة؟

قال : بلى. ثم جاء بألة كالقنر المدورة لها خرطوم كثفي الأصلة[١٢]، وعصا غليظة كعمود الخيمة، ودس حبلها في الجدار فانطلقت تصوت، وتترن[١٣] كأنها النائحة التلكي، فبهتوا وخشيت أن تعض أطرافها!

فقال :

يا بن الكرام ألا تمنو فتبصر ما
قد حدثوك فما راء كمن سمعا[١٤]

قلت : ما تسمون هذه الدابة بأرض المغرب يا أبا طاهر المكتسي؟

قال :

هذه آية بهـ
ظهر الحسن واشتهر[١٥]

وليست بدابة أرضية بل هي مكتسة كهربائية:
قلت :

لعل الله فـضلكم علينا
بشيء أن أمكم شـريم[١٦]

- (٥) ابن حجاج: شاعر الهزل والسخف والهجاء وأمير الفحش اسمه حسين بن أحمد البغدادي، ت ٢٩١هـ.
- (٦) الأبيات لابن مكثمة. وفي كلمة الكسوف تورية وهو يقصد معناها العامي وهو الخجل.
- (١٠) يقال: خشيت تلغني: أي شر أقربائي.
- (١١) البيت من شواهد التحاة. والشاهد فيه قوله: «أو أتركه» حيث نصب الفعل المضارع بعد أو التي بمعنى حتى بأن مضمرة وجوباً.
- (١٢) الأصل: أفعى عظيمة خطيرة قد تبلع طفلاً أو ساق رجل، وهي معروفة في جنوب السودان.
- (١٣) أَرَتِ القُذْرَ: اشتد غليظها.
- (١٤) شاهد نحوي على نصب الفعل المضارع «تبصر» بأن المضمرة وجوباً بعد فاء السببية في جواب الغرض.
- (١٥) البيت لابن مكثمة نفسه.
- (١٦) شريم: هي المرأة المفضاة. والبيت شاهد نحوي على الجذ بلعل «لعل الله» على لغة عُثَيْلٍ وإعرابه: لعل: حرف ترج وجر شبيه بالزائد. الله: مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً.
- (١٧) الأبيات لابن مكثمة نفسه، ولا يخفى ارتعاشه في كلمة كبرت. المُثَلَّ: ثمر الدوم.
- (١٨) البيت شاهد نحوي على زيادة اللام في خبر المبتدأ «لعموز» وأصله: أم العليس لهي عوز.
- (١٩) ابن مضاه: هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن القرطبي، فقيه، نحوي، ت ٥٩٢هـ.
- دعا في كتابه «الرد على النحاة» إلى إلغاء نظرية العامل والعلل الثواني والثالث، وإبطال القياس.
- (٢٠) البيت لهدي بن خشرم العنزي. وهو شاهد على وقوع خبر عسي فعلاً مضارعاً مجرداً من أن المصدرية «يكون وراءه» وذلك قليل.
- (٢١) ابن مكثس: أبو الفرج فخر الدين، وزير وشاعر مصري، ولي الوزارة بمصر ودمشق له ديوان شعر، ت ١٢٩٢م.
- (٢٢) ضرب المكثس: كتاب للاستاذ عمر العناني يحكي فيه عن يومياته وكيف ضرب بالمكثسة الغليظة أحد الإنجليز المعتدين وحاصره في المدرسة وذلك في قرية بصيرا بجنوب الأردن عام ١٩٢٩م.
- (٢٣) العَفَقُ: ضرب من السير. البيت لأبي النجم العجلي. وهو شاهد نحوي على نصب الفعل المضارع بأن مضمرة وجوباً بعد فاء السببية «فنستريحاً» والألف للطلاق.

قال: فعد إذن إلى مصر تلق الوزير أبي الفرج عبد الرحمن بن مكثس [٢١]، فعنده خبر الحكاية الطريفة «ضرب المكثس» [٢٢] وما جرى فيها من تعارك وتشاكس!

فامتثلت نصحه، وتوجهت إلى مصر أسوق ناقتي وأشدو:

يا نائقُ سيري عَفَقاً قسيحاً
إلى سليمان فنستريحاً [٢٣]!

ولما دخلت القاهرة، وسألت عن «معالي» الوزير ابن مكثس قيل لي إنه قد مات، ودفنت معه أسرار المكثسة المسحورة! ثم إني عدت إلى دمشق، وصنفت في الطريق كتابي «المسائل العشر المتعبدات إلى يوم الحشر» وجعلت أول مسأله المعضلة المعقدة: «الأسرار الدفينة في المكثسة الثمينة»!

الهوامش:

- (١) ملك النحاة: هو أبو نزار الحسن بن صافي، فاضل، شاعر من كبار النحاة، لقب نفسه بملك النحاة، فقيه شافعي، له ديوان شعر ومقامات، وله كتاب مشهور في النحو سماه: «المسائل العشر المتعبدات إلى يوم الحشر» ولد ببغداد، وتوفي بدمشق ٥٦٨هـ - ١١٧٣م.
- (٢) اهتبل: اغتتم. الشذا: الرائحة القوية. أنق: أعجب وأسر.
- (٣) هؤلاء من أشهر النحاة حتى عهد الحسن بن صافي ثم جاء بعدهم ابن مالك وابن عقييل وابن هشام، والسيوطي، والأشموني، والفاكهي، وخالد الأزهرى.
- (٤) بزرجمهر: ملك قديم.
- (٥) البيت لرؤية بن العجاج، وهو شاهد نحوي على (بوع) المعتل العين المبني للمجهول المخلص ضم فائه.
- (٦) كليوياترا: ملكة سليلة البطالمة في مصر ماتت منتحرة.
- (٧) نازك الملائكة: شاعرة عراقية ابتدأت الشعر الحر ١٩٤٧م، فدوى طوقان: شاعرة من فلسطين (توفيت بمدينة نابلس بعد منتصف ليلة الجمعة الموافق ١٢/ ديسمبر/ ٢٠٠٣م). سعاد الصباح: أدبية كويتية.
- (٨) ابن مكثس: أبو طاهر اسماعيل بن محمد، شاعر فكه مكثر من أهل الاسكندرية بمصر، ت ٥١٠هـ - ١١١٦م.

ابن النقيب

شاعر الطبيعة الدمشقي في العهد العثماني

مراحل حياته :

شرح الخلاصة لابن الناظم .

هو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد الحسيني الملقب بـ (ابن حمزة) وبـ (ابن النقيب) وقد ولد في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٠٤٨هـ، وهو سليل الإمام علي بن أبي طالب أما سبب تسميته بـ (ابن النقيب) فهو أن أباه كان نقيب الأشراف في بلاد الشام وكان أبوه ذا مكانة سياسية واجتماعية ودينية هامة في العصر العثماني، وكان بسبب ذلك يتردد الى دار السلطنة فيقدم له كل احترام وتبجيل يضاف الى ما تقدم أنه كان مقرباً من مشايخ الإسلام وقضاة السلطنة وكان يمدحهم ويخص صدور الدولة بقصائد فائقة، لكنه لم يطب له التغرب طويلاً فرجع الى بلاد الشام وولي النقابة الكبرى بدمشق وقسمته العسكر ودرس بالمدرسة التقوية بالإضافة الى أعماله الكثيرة. . ويجدر بنا أن نذكر هنا أن أباه بعد أن انعقدت له صدارة الشام في النيابة الكبرى أصبح قبله الأنظار ومحط الرجاء فقصده الناس لقضاء الحاجات كما أُنْزِعَ عنه أنه صنف تأليف متعددة منها (حاشية على

امتزج الشاعر بأبيه الشريف النقيب والصنبر والشاعر، فقد كان أهم مدرسة في حياته لأنه نهل من ثقافته الدينية واللغوية والأدبية، لقد أحرز الشاعر ثقافة عميقة شملت الآداب وغيرها كما توضحت معالمها الكثيرة في ديوانه، ولعل تعليقاته الشعرية على بعض الكتب التي اطلع عليها أو التي طلبها على سبيل العارية، تعطينا أصدق فكرة عن ثقافة الشاعر، وخاصة من خلال شعره نفسه .

استكمل الشاعر ثقافته في وقت مبكر فتضلع من كل علم بطرف لاتساع مدى الثقافة العامة في ذلك العصر ونال الإجازات المختلفة على عادة القدما من مشاهير العلماء الأعلام حضوراً أو غياباً في دمشق وغيرها ويبدو أن جل اعتماد الشاعر في استكمال ثقافته كان على المتن والأصول، لأنه كان يكره معاناة الحواشي، وقد توضح لنا هذا الاتجاه فيما أورده جامع الديوان في بعض أخباره ، إن قضية المتن والحواشي تولف في أدب هذا العصر شيئاً هاماً تعتمد عليه الثقافة فليس من باب



خلالها بالأعلام المشهورين في بلاد الشام وكان يشهد الأندية الأدبية والمجالس الاجتماعية التي كانت تعقد ويتصدرها أبوه.

كان ابن النقيب لين الملتوى ضعيف البنية كما صرح هو ولعل هذه الصفة الخلقية كانت من عوامل وفاته مطعوناً في ريق الشباب.

يقول:

وإني على ما في من لئِن مُلِّتَوِي
جليدٌ على حملِ الهمومِ كَتُمُوها

كما كان معتداً بنسبه العربي يجل بين جنبه

المصادفة أن يشغل هذا الشاعر وهو في ريعان صباه وفي غرض رقيق من أغراض الشعر بقصة المتون والحواشي ويوصي المتألم وينصحه فيما يجب أن يلتزم به في الكتابة والحفظ والاستشهاد.

استكمل الشاعر ثقافته ولما يتجاوز العشرين، كما حظي بالرعاية والتثقيف من أبيه بعد أن لاحظ نبوغه في الأدب، وعرف عنه أنه يعاني الإنشاء ونظم الشعر وتزوج وهو صغير ورزق بابن وحيد هو سعدي وكان يراً بأبيه.

أسهم الشاعر بشكل ملحوظ في النشاط الثقافي، لا سيما أنه كان يعيش في بيئة علمية يلتقي



نفساً أبيّة يقول معبراً :

ما كُنْتُ أَنْ اسْتَمَامَ رِيحُ تَوَاسُلْ

بمِثْلَةٍ هِيَ صَفْقَةُ الْخَسْرَانِ

وَمِنَ الرَّدَى أَنْ ارْتَدَى بِمِثْلَةٍ

وَحُلَّتْهُ تَعْلُو عَلَى كَيَوَانِ

أَيْسَاقُ لِي كُسُ الصَّدُودِ فَتُخَشِي

لُحْظَةً فِي نَيْلِ بَعْضِ أَمَانِ

والاصالة وحظي بالثقافة والمعرفة، زوجه أبوه في وقت مبكر لكنه لم تكتمل له سعادة البقاء، فقد أقل كوكبه النير في أوائل العقد الثالث من حياته، ولما يتمتع بعد بالشباب النضر، ذلك أن شبح الطاعون انتشر في دمشق وكان الشاعر ممن أصيبوا به، فمات مطعوناً نهار الإثنين في الثامن من شهر ربيع الثاني سنة إحدى وثمانين وألف هـ، ودفن بمقبرة الفراديس (مقبرة الدحداح) غربي قبر أبي شامة، ولعلنا لاحظنا أن ولادته ووفاته كانتا في شهر ربيع الأول والثاني ولما يتجاوز الثالثة والثلاثين وهو بعد في ربيع شبابه وربق حياته.

آثاره الأدبية :

لم يعمر الشاعر طويلا حتى يتمكن من جمع

إنها حقاً تمثل إباء الشاعر وكبرياه حتى في حبه، وهو بعد هذا وذاك سليم السريرة عرف بالود لأخلائه.

تلك هي شخصية الشاعر الحقيقية فهو شاب معتد بشبابه أوتي الفراغ والحدة وورث النبل

إحداهما قوله:

لله من السفح ظلال الوقف
واتبع أثرًا لمادح فيها واقف
أوقفتُ على جدولها طرفي من
أطلقتُ به عنان ذاك الوقف

أيضاً تجد فيه مقطوعة من المواليا وهي الوحيدة
في ديوانه:

لورحت أبكي بكث لأجلي القلوب القسي
أوبتُ أشكي للآنت لي الصخور القسي

ألف الشاعر ملحمة غنائية كبرى تقع في تسعة
عشر ومائة بيت وهذه الملحمة تجمع بين أعلام الغناء
القديم، ويبدو أن هذه الملحمة الغنائية كانت أثرًا
شعرياً مستقلاً ألفها الشاعر إعراباً عن فلسفته
الخيامية في الحياة وتصويراً حقيقياً عن ذاته أولاً،
وعن بعض أنماط الحياة الاجتماعية في التاريخ
العربي، وإن المقطوعات القليلة في ديوانه شيء يسير
مما نظمها الشاعر لأنها في الواقع تمثل حياته
الخاصة والعصر نفسه، وهناك مسرحية شعرية
تجمع بين الشعر والنثر، جرت أحداثها في حديقة
الورد وكذلك هناك مقامة أشير إليها في الديوان،
ورد ما كتب في ذيلها إلى الأمير حمزة الدفرتي،
وهي تجمع في الواقع بين أسلوب المقامة وأسلوب
المسرحية.

شعره وترتيب أغراضه في ديوان خاص كما يفعل
الشعراء الآخرون، وإنما قام بهذا الجمع ابنه
سعدي، وكان للمرحوم خليل مردم رئيس مجمع اللغة
العربية فضل السبق في الإشادة والتنويه به وإبرازه
إلى حيز الوجود فلقد نشر في مجلة المجمع مقالة
عرّفنا فيها بالديوان وأتبعها بملحمة الشاعر الغنائية،
ومما قاله: (والديوان من الدواوين النادرة من حيث
طرافة الموضوعات وكثرة المواقف الشعرية وقلة
الأغراض المشحونة بها دواوين الشعراء، فلقد تنزه
عن الهجاء، وخلا من الرثاء وكاد يخلو من المدح لولا
بضع قصائد هي أشبه بالإخوانيات منها بالمدح
المجهود في قصائد الشعراء).

وأغلب الظن أن ديوانه لا يجمع شعره كله كما
أنه لم يقتصر على الشعر القريض، وإنما رأيناه
ينظم في الفنون المستحدثة مما لم يعرفه العرب
القدماء، فنرى فيه مسمطاً رباعياً مطلعاً:

يا مؤثراً للهو طيب النعمة
ورافعاً فيه سُجوف العشمة

ونرى فيه موشحين عارض في أحدهما لسان
الدين بن الخطيب ومطلع:

يا ليالي السفح من عهد الصبا
يا سقى مفناك صوب الديم

وفيه أيضاً مقطوعتين من فن الدوبيت جاء في

أغراضه الشعرية :

نظم في المعاني التي تناسب طبيعته الشعرية الخاصة وتنسجم وفق نوازع نفسه وطبيعته حياته، أما أبرز الأغراض والمعاني التي نظم فيها فهي الأوصاف المختلفة والأغزال والخمرات الغنائية والمدح الإخوانية بالإضافة إلى فن الألفاظ والأحاجي والمعانيات والتأريخ.

الوصف : ووصف الطبيعة :

الأوصاف العامة :

وهي أبرز ما يميز شعره على الإطلاق ونستطيع من خلالها أن نوضح وصف الأحداث السياسية ووصف الأحوال الاجتماعية، ووصف الطبيعة الدمشقية، ويكاد النوع الأخير من الوصف يستوعب أغلب شعره على الإطلاق، ويندرج تحت ما يسمى بالأوصاف العامة ما تصوره من أحداث سياسية، ولها قصيدة واحدة نظمها الشاعر في فاتح جزيرة كريت الصدر الأعظم أحمد كوبرلي باشا، وقد خلد الشاعر هذا الحدث الكبير الذي جاء فيه قوله :

فَتَحُّوا بِقُنْيَةٍ مَعَاوِلَ أُرْتَجَّتْ

قَدَمًا عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ

وَأَفِي لَهَا الصُّدْرُ الرَّفِيعُ جَنَائِدُ

عِلْمُ الْغُرَاةِ وَمَكْمَدُ الْخُسَادِ

وأحوال اجتماعية وصف لنا الشاعر كثيراً من الأشياء التي تعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية

في العصر العثماني، فقد وصف لنا التبغ والرقص عند الرجال واللهو بالنرد والشطرنج ووصف لنا الختان وصفاً دقيقاً ورسم لنا صورة الإمام المحدث تحت قبة النسر في الجانب الشرقي من المسجد الأموي وغير ذلك، وأهمها صورتان صورة وصف التبغ وهذا استحدث في العصر العثماني، وقد استهواه طعمه ولا سيما أنه تَبَغَّى المزاج، فوصف النارجيلة، ولعل شعره فيها سابق غيره ومما قال:

أُعْذْتُ لِلتَّبَغِ وَتَرَشَّافِهِ

نَبْعَةً حُسْنُ كَلَّتْ بِالْجُمَانِ

مَا قَصَبَاتُ السُّبُوقِ إِلَّا لَهَا

فِي حَلْبَةِ حَلَّتْ مَحَلُّ السُّنَانِ

وصورة معروفة لدينا هي في وصف الختان والمختون ولعل الشاعر أيضاً أول من رسم لنا هذه الصورة الاجتماعية على الشكل الذي عرضه فقال يهنئ شيخ الإسلام يحيى المنقاري بختان ولده ويقول:

لَيْسَ تُبْرَى غُصُونُ

إِلَّا وَمَعَاتِ عَوَالِي

وَلَا اسْتَقَامَتْ نَصَائِلُ

إِلَّا رِيحَتْ نَبَائِلُ

هذه بعض الأوصاف الاجتماعية التي تبين بعض الجوانب الهامة من حياة الناس الخاصة والعامة، وهذا الاتجاه يعطينا فكرة عن الحياة العامة، والاتجاه الواقعي في الشعر في كل مكان وزمان.



الأوصاف الطبيعية:

إن شعر الطبيعة أجمل ما في الديوان، إذ يؤلف معظمه، وهذا يجعلنا نعتقد بأن الاتجاه الإبداعى الرومانسى ظاهر في شعره قبل قرن ونصف من انتشاره في القرن الثامن عشر، في الوقت الذي سيطر فيه الاتجاه الاتباعى في أوروبا بواعث وصف الطبيعة وهي أربعة أساسية:

أولها: مصدره حب الشاعر لطبيعة بلده دمشق وقد حلل المحيى نفسية ابن النقيب، وعلل ولعه الشديد بالطبيعة الدمشقية وحبه لها بعاملين هما غريزة الشاعر الفطرية التى جبل عليها، وطبيعة دمشق الجميلة.

الثاني: إقبال الربيع وحلول شهر آذار، ولم تكن

ربيعيات الشاعر قصيدة وحيدة في شعره، وإنما كان الربيع مجموعة من القصائد والمعاني يتكرر ذكرها في حين:

الثالث: هو أن الشاعر كان شاباً عاشقاً يملأ الحب جوانحه، ولم يجد أمامه غير الطبيعة ييئها بعض لواعجه، ويمتزج بها امتزاجاً كلياً، فلم يكن وصافاً للطبيعة، وإنما كانت بعض نفسه.

الرابع: هو أن الشاعر كان يحب الشعر الأندلسي، وكان مولعاً بنفح الطيب كما نظم بغض الموشحات عارض فيها لسان الدين بن الخطيب، ولعلنا استطعنا تلمس النفحة الأندلسية المضمخة بالفتنة الشامية. هذه هي البواعث الكبرى كما أضح من خلال الطبيعة الدمشقية وكما رأى الشاعر نفسه.

الغزل والنسيب:

استهل الشاعر بعض مدحه بالنسيب في بعض الأحيان، ولم يكن الشاعر لينهج منهج الشعراء القدامى في الأخذ بأسباب الهجاء التقليدي، وإنما كان صورة حية عن دمشق وأرياضها ومتنزهاتها، والملاحظ أن المقدمة النسيبية في وصف الطبيعة أطول نفساً من الموضوع المدحي نفسه، أما الغزل فظاهر في هذه المطالع التقليدية، وفي هذه القصائد الغزلية الخاصة التي نظمها الشاعر استجابة لنزعات مختلفة فلنستمع إليه يصف لنا حسناء رعبوية وعدته بالزيارة قبل الغروب:

لست أنسى رعبوية بقرتني

بازديار قبيل وقت الغروب

ثم أومت إلي أن لست أنسا

كولكن أخاف منك رعبية

ونلاحظ السهولة والانسجام في غزله، فقد كان في بعض الأحيان يختار الأوزان الخفيفة، والأبحر المجزوءة سعياً وراء الجرس الشعري. ويقابل هذه المجالس مجالس أدبية أخرى يبدو فيها الشاعر متسماً بزي الجد والوقار، وقد وصف لنا مجلساً عند بعض الأصحاب ممن اشتهر باقتناء نفائس كتب الأدب فأنشد:

نحن في روضة من الآداب

سقيت بالفهوم لا بالأسحاب

أما الغناء فكان جزءاً من المجالس التي أتيننا على وصفها من قبل، ولعل طبيعته المرحية وولعه بالغناء كانا عاملا من عوامل اهتمامه بذكر الآلات الموسيقية إذ عنصر الموسيقى يؤلف ركناً أساسياً في شعره، وقد نظم ملحمة غنائية عربية ذكر فيها كل من أحب الغناء من الخلفاء والملوك والساطين، ومنها قوله يصف الغناء والمغني:

عشقتني يا فاتني بالفنا

وكنت من قبل له عاشقا

ياما أحيلأ وأشهاه من

فيك إذا رمت به ناطقا

ونتجاوز ذكر الغناء والمغنين لنعرض ما ورد في شعره من ذكر للآلات الموسيقية، فله من ذكرها أوفى نصيب، نذكر منها العود والناي والرياب والمزمار والطبل والأرغن وغيرها، أما أكثر الآلات ذكراً وتكراراً فهو العود، فنرى الشاعر يقرنه بالناي تارة وبالرياب تارة أخرى، وبالأورغن ثالثة، وقد خصه بالأوصاف الكثيرة ووصف أوتاره وصفاً جميلاً. وصور الشاعر اصطحاب الأوتار ساعة الطرب فيقول:

نبهته سحراً والكأس فوق يدي

والعود مصطخب الأوتار يجليه

كانت الطبيعة تمتزج بالغناء والخمر وقد لاحظنا

نظريته في الشعر :

أما مفهوم الشعر عنده فهو يعتمد على القول:
«إن الشعر ضرب من التصوير» يورد فيه الشاعر
مختار المعاني المبتكرة ويوشحه بالأسلوب المرن
المدث، وهما ضروريان جداً لإبراز المعنى المبتكر.

أحسن الشاعر عرض فكرته من خلال قصيدة
ارتجلها أيام الربيع، وقد أشار فيها الى الجمع بين
أصالة الطبع في ارتجاله، والتصنع في الشعر:

فلمعري أشهى القريض الى الندف
س ولوع بنكر عيش مثاله
ولمعري إنني المبرز في القو
ل إذا ما علا مناط مناله
والي الأسجاع ثم القوافي
وافترع الأبرار يوم نضاله

يعترف الشاعر بصراحة أنه يحكم النسخ، وهي
سمة التصنع في هذا العصر، وهي أصيلة وقديمة
في أدبنا وأنه على الرغم من ذلك يجمع بين جمال
الطبع ورونق التطبع، بين حسن الصنعة وسحر
التصنع، وهذا الجمع في نظره لا ينقص من قيمة
شعره، لأنه في الواقع ينسجم مع المفاهيم النقدية
التي جعلته يلتزمها كل الالتزام.

الرقعة والانسجام :

كنا ننتظر من الشاعر مزيداً من التعقيد

ذلك فيما مر معنا من شواهد، ولا بأس أن نزامن
الشاعر صبيحة يوم الى روض تسمعنا فيه البلابل
طيب شدوها وتحملنا الرياح على أجنحتها:

الا خلّ يزاملني صيلاً
وتحملني وإياه الرياح
إلى مثناق روض عبقري
تساجلنا به الورق الفصاح
وتسمعنا البلابل طيب شرو
يمرك صوت أرغته الصباح

تلك هي صورة عن خمرياته وغنائياته، وقد
لاحظنا من خلال هذه النظريات الجزئية المنفصلة أن
الشاعر كان ينظر إليها نظرة كلية، ويجمعها في
إطار مشترك واحد وهنا كانت تكمن عبقرية الشاعر
الذي جمع بين الطبيعة والفزل، وبين الطبيعة
والخمرة، وبين الطبيعة والغناء والفزل معاً.

أسلوب الشاعر ومذهبه الفني

اعتداده بشعره :

كان الشاعر معجباً بشعره كل الإعجاب على
سنة الشعراء المتقدمين، وما أكثر ما وصف شعره
وتغنى به، ففي القصيدة المنظومة عنده تشخيص
طبيعي، وتمثيل حي، ولكن الشاعر لم يكن ليقصر
على التشخيص، وإنما نراه يختار لها الصفات
اللائقة بالنفس الإنسانية، والعلاقة بالوجدان الحي.

والإغراب والتصنع، بيد أننا رأيناها يحجم عن التعقيد والتصنع، فيختار اختياراً مطبوعاً، أو متعمداً الألفاظ الموحية ذات الجرس الشعري الرنان، قصدها لذاتها، وذلك سعيّاً وراء الفصاحة التي قصدها لذاتها، لقد كان الشاعر مرهف الحس، رقيق المشاعر، يختار متعمداً بعض الألفاظ التي تلائم طبيعته المرحّة، وتنسجم مع الطبيعة الحقيقية نفسها، ولعل طبيعة الشاعر الحساسة، أو لعل طبيعة المعاني الشعرية التي طرقها حتمت عليه هذا الاصطفاء الذاتي للكلمة الشعرية.

التكرار والالتزام :

فلقد رأينا الشاعر يكثر من تكرار ألفاظ بعينها، ومنها لفظة (كأن) ولم يأت تكرارها عرضاً وإنما كان استجابة لدواعي نظريته في التصوير الشعري، ولم يقتصر التكرار على (كأن) في التشبيه والتوكيد وإنما تراه يكرر بعض الكلمات الأخرى، ومنها تكرار (أين) الاستفهامية ثماني مرات في ختام ملحمة الغنائية، وتكرار (أم) أربع مرات بعد همزة استفهام، وتكرار (حنانيك) في مطلع أبيات ثلاثة من مقطوعة خماسية، وتكرار (بني عمنا) أربع مرات متواليات.

الحوار الشعري والمسرحي :

جنح الشاعر في بعض قصائده الى أسلوب

الحوار الرقيق ولا سيما في المواقف الشعرية التي يقتضيها البيان، ولدى الشاعر عبقرية مسرحية في بعض قصائده التي شغفت بالنتش بين حين وآخر وهذا يعنى أن الشاعر كان يمتلك هذه القدرة الفنية في بعد النظر، وفي المعرفة المستبصرة التي جاءت عفو الخاطر دون تأثر آخر، فكان أحد الرواد السابقين في هذا المضمار، تلك هي مميزات الحوار الشعري في نظمه، ولعلنا لاحظنا عبقرية الشاعر في استخدام هذا الأسلوب الذي نراه قليلا في شعرنا العربي عامة وفي هذا العصر خاصة.

التضمين والاقتباس :

لقد جرى ابن النقيب على سنة الشعراء القدماء، فرأيناها يضمن شعره بيتاً أو بعض البيت بما اشتهر من الشعر القديم، ومن الشعراء الذين أعجب بهم واستقى منهم بعض أبياته المضمنة: المتنبي، وابن المعتز، والحسين بن الضحاك الملقب بالخليع وغيرهم، كما تحدثنا من قبل عن قصة أبيه الذي قرأ بين يديه ما غنته الجارية (نُعْم) بين يدي المأمون من قصيدة مطلعها:

ولقد أخذت من فؤادي أنسه

لا مثل ربي كف ذلك الأخذ

أما الاقتباس فهو مقصور على تضمين الكلام شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف لا على أنه منه، فمن الاقتباس القرآني قوله:

وهو الرسول إليك مني ليعتني

كثت اتخنت مع الرسول سبيلا

وكثر الاقتباس من غير القرآن الكريم فقد رأيناه
يضمن بعض الأقوال المثورة، والأمثال المشهورة من
ذلك قوله:

فالحق يعلو وليس يعلو

عليه في كل ما يرام

وقوله :

رحمك ربي فالسيل قد بلغ الزبي

مني وأفشى ربي إليك المولئ

لم تكثر الصنعة في أسلوبه، لأن جهد الصنعة
لا يتلف مع جمال الطبع، فقد كان يعتمد الانسجام
والرقة والبعد عن التكلف، مما كان معروفاً في
عصره، وكان لا يجد حرجاً في الأخذ بالضرورة
الشعرية واستخدام الألفاظ الدارجة والأساليب
العامية السهلة في بعض الأحيان، فمن الضرورات
الشعرية قوله (حَتَّامٌ تسجي) وقد حذف نون الفعل
دون مسسوغ، هذا بالإضافة الى تجاوزه بعض
القواعد النحوية والعروضية من إقواء وغيره، كذلك
استخدام كلمة (الحواكير) وهي كلمة عامية يقصد
بها الأرض المزروعة شجراً، والتي تجاور البلدة أو
القرية والدوالي والماورد والنسبتان.

الخاتمة :

لقد كان الشاعر ذاتياً في معظم المعاني التي
نظمها، ولكنه لم يفلت تماماً من الأساليب المعروفة
في عصره، فقد ظهرت بعض الظهور في شعره، ذلك
أن في تجريد الشاعر من عصره، وتقويمه بميزان
الفقد الحديث ومفاهيمه، أكبر الظلم له ولعصره
بالذات.

ومهما يكن من أمر فابن النقيب الدمشقي
صورة أصيلة عن الشاعر العربي في العصر
العثماني، فقد استطاع بعبقريته الخاصة أن يعطينا
أجمل صورة عن دمشق، في مختلف مظاهرها
الطبيعية والاجتماعية، يضاف الى ذلك ظهور
الانسجام في شعره بشكل ظاهر، ولم يقتصر عليه،
وإنما تفتحت عبقريته عن أكام شاعرية فياضة، وقد
وقفت في هذا النمط من الحوار الشعري، والأسلوب
المسرحي.

ولم تكتمل لنا هذه الصورة الشعرية الإنسانية
لأن الشاعر احتضر في ريعان الصبا، ولم يتمتع
بالشباب وطول البقاء.

المصادر والمراجع :

«مصدر» ديوان، ابن النقيب (عبد الرحمن بن محمد بن
كمال الدين بن محمد الصيني، المتوفي ١٠٨١هـ.
تحقيق : عبد الله الجبوري، ط ١ أولي في مطابع الجمع
العلمي العربي بدمشق عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
«مرجع» موسى باشا، (الدكتور عمر) (ابن النقيب شاعر
الطبيعة الدمشقي في العصر العثماني) المكتبة
العباسية، دمشق، الطبعة الأولى ط١ لعام ١٩٧٠م
الموافق ١٣٨٩هـ.

التحنيط فن يولد الطبيعة

حوار مع الباحث / درويش الشافعي

في زيارة خاصة لـ (متحف التاريخ الطبيعي) التابع لجامعة اليرموك في الأردن، التقيت بالأستاذ الباحث درويش الشافعي، وهو من الكفاءات المتميزة في مجال التحنيط، ومجال دراسات البيئة ومتعلقاتها، وله في كل ذلك باع طويل، ودراسات وبحوث ومشاركات لها قدرها العلمي في مجالاتها.

ولقد شدني - حقيقة - رؤية تلك الحيوانات والطيور والزواحف المحنطة، مما دفعني لأجراء هذا الحوار العلمي الممتع والشيق مع الأستاذ الباحث (درويش الشافعي) .. وذلك لنستبين بعض أسرار التحنيط، ووظائفه، وما الفائدة العلمية المرجوة منه.

**** عن مضمون كلمة (تحنيط) يقول الأستاذ**

درويش الشافعي:

التحنيط بالانجليزية Taxi dermy وهي كلمة

يونانية من مقطعين:

Taxi وتعني ترتيب، Dermي تعني جلد،

أي إعادة ترتيب الجلد من جديد، والتحنيط في الماضي يختلف عنه في الحاضر، ففي الماضي كان المحنط يسعى للمحافظة على كامل أعضاء الجثة، وذلك باستعمال مواد مكونة من نباتات برية عطرية وملح الطعام ومادة

إضاءة

- متخصص في علم الكائنات الحية والتحنيط.
- يعمل بمتحف التاريخ الطبيعي بجامعة اليرموك.
- ساهم في تأسيس متحف



التاريخ الطبيعي في جامعتي مؤتة وجامعة آل البيت.

- له مشاركات علمية فاعلة في مجال الحياة البرية والبيئة القطرية، والحيوانات والطيور والزواحف، منها: دراسات في مجال الطيور البرية في الأردن - الحيات - قط الغاب - حالة المفترسات في الأردن - التنوع الحيوي في الأردن - ظاهرة انتشار فئار الحقل - ثدييات الارض ... الخ.

أجرى الحوار : محمد محمود السويركي

- الأردن -

٢ - الطريقة الثالثة وهي التجفيف، وهي أقدم طريقة عرفها الانسان لحفظ غذائه، وللمحافظة على جلود حيواناته، حيث تقوم على تجفيف الماء أو التخلص منه من المادة المراد حفظها، وأكثر ما تناسب هذه الطريقة الحشرات والحيوانات اللافقارية البحرية.

**** متى ظهر علم التحنيط؟**

* يؤكد الباحث أن علم التحنيط هو علم قديم

الشيء «الكس» والقطران، أما التحنيط في هذه الأيام فيركز على الجلد فقط.

**** أما عن طرق التحنيط والمواد المستخدمة فيه ، فإنه يوجزها في ثلاث نقاط أساسية :**
١ - يستخدم في عملية التحنيط مادة البوركس والشبة.

٢ - الحفظ بالمحاليل، وذلك باستعمال الكحول والفورمالين، حيث تحفظ العينات كالزواحف والبرمائيات والأسماك في وعاء زجاجي ويضاف إليها إحدى المادتين السابقتين أو كليتهما.



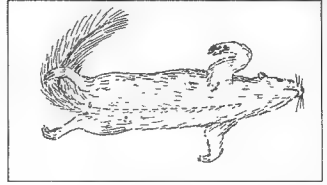
النورس الصغير - محنط

لازم الإنسان منذ نشأته على الأرض وذلك لحاجته الماسة لذلك. فقد اشتهر به قدماء المصريين «الفراغة» من خلال المومياء التي ظهرت، فكان التحنيط عندهم هدفا عقائديا أو دينيا، وذلك لىبقى الكائن البشري موجودا في الحياة الدنيا أطول فترة ممكنة عبر عملية التحنيط، وقد أتقن الفراغة هذا العلم بدليل بقاء هذه المومياء حتى هذا العصر، وقد وجد أكثر من (٢٥٠٠٠) طائر داخل المقابر الفرعونية.

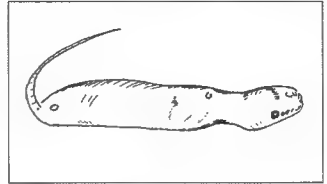
** ألية التحنيط **

* وعن ألية التحنيط التى تستخدم في تحنيط الكائنات الحية قال الباحث:
يتم سلخ الجلد بألة حادة، مع تنظيفه بشكل جيد وهذا ما يسمى بعملية «دباغة الجلد»، حيث يستخدم البوركس وهي مادة ملحية لتعقيم الجلد، والمساعدة في تجفيفه ومنع نمو الفطريات، وتستخدم الشبة للتدبيبات فقط بهدف تثبيت الشعر.

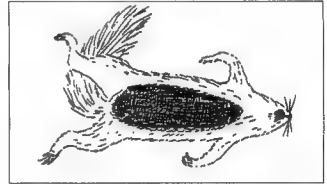
أيضا يعمل مجسم اصطناعي من القطن والقش يحاكي ويشابه الجسم الأصلي، ويوضع بداخل الطائر أو الحيوان، وتثبت السيقان والأجنحة بواسطة الأسلاك غير القابلة للصدأ، وتستبدل العيون الحقيقية بعيون زجاجية، وتغوص عضلات الوجه المنزوعة بمعجونة أطفال (Plastic Clay)، وتثبت العيون الزجاجية بدل الأصلية، ويملا فراغ الجمجمة بمعجون الأطفال أيضا.



وضعية ما قبل السلخ



الجسم الأصلي



الجلد



طريقة سلخ الذيل

طريقة سلخ حيوان صغير



فني يدهن رأس اليجمور - المحنط

أنفسهم عبر حياة فانية، في ظنهم أنها خالدة...
 بخلاف الأمم الحديثة التي تهدف الى التعريف
 بالكائنات الحية الموجودة في بيئة ما مثلاً، ولإجراء
 الدراسات والأبحاث ولإعادة تجميعها في مكان واحد
 أو فيما يعرف بالمتحف، وذلك لتشكيل مصدراً هاماً
 للترويج والثقافة، وهي أيضاً تعتبر عامل جذب
 سياحي اقتصادي، كما تشكل وسيلة تعليمية مثالية
 لدراسة الكائنات الحية.

** هل جميع الكائنات تحنط ؟

* كل حيوان له جلد يمكن تحنيطه، ولكن هناك
 خيارين لنا كباحثين يمكن التعامل معهما... فاما أن
 تكون العينة زاحفة مثلاً، حيث يكون الهدف دراستها

وإذا ما حفظت العينة المحنطة بعيدة عن الغبار
 ومحمية من الحشرات المتطفلة ووضعت تحت درجات
 حرارة منخفضة نسبياً، مع وضع حبيبات
 النفتالين... فإن الكائن المحنط سيبقى سليماً الى
 ما شاء الله سبحانه.

سر التحنيط عند الأمم السابقة :

** ترى ما السر الذي دفع بالأقدمين لعملية
 التحنيط؟ هل هو حرفة أم ترويج وتسلية، أم لأهداف
 أبعد وأسمى، أم ماذا؟

* يرى الاستاذ الشافعي أن سر التحنيط عند
 الأمم السابقة كان لغرض ديني بحت، وذلك لممارسة
 الطقوس والمعتقدات التي انتهجها الأقدمون ليخلدوا

تناسبها، كالصحراء أو الغابات أو السهول ويطون الأودية وسفوح الجبال، باختصار هو وضع الحيوان في البيئة المناسبة مع وضع ملصقات تبين الحياة الطبيعية للحيوان في الماضي والحاضر، والحيوانات التي انقرضت في الماضي في الاردن كالفيل ووحيد القرن، وذلك لتوضيح صورة الحياة في المستقبل، على ضوء الماضي والحاضر، وكذلك وضع ملصق يبين اسم العينة المعروضة، وتصنيفها العلمي، واسم الموقع الذي توجد فيه واسم الباحث الجامع وتاريخ الجمع.

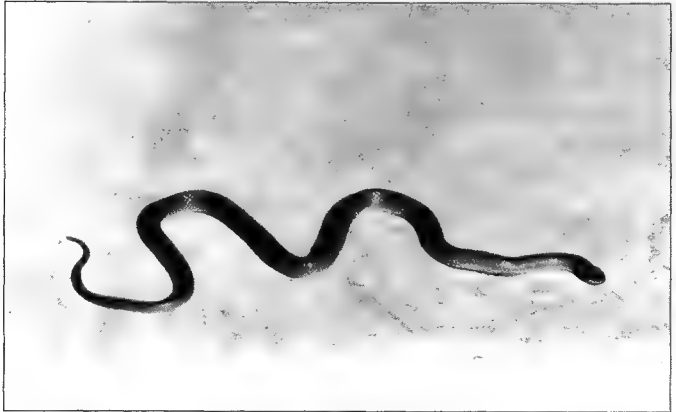
**** مدى تأثير العمل على شخصية وسلوك الباحث.**

دراسة تصنيفية دقيقة، ففي هذه الحالة يجب حفظها في مادة الفورمالين لأن التحنيط يغيّر من بعض معالمها التصنيفية، أما اذا كان الهدف هو التعريف بها لعامة الناس، فيمكن تحنيطها بما فيها الأسماك والزواحف وغيرها.

وخلاصة القول: فإن التحنيط للطيور مثلاً لا يغير من معالمها بخلاف الزواحف.

**** كيف يصبح المتحف وسيلة تعليمية تقنية؟.**

* يمكن توظيف المتحف وذلك بعرض النماذج الحيوانية بطريقة (الديوراما Diorama)، وذلك لاعطاء تفاصيل ناطقة عن الحيوان أو الطائر في بيئته الطبيعية، بحيث توضع الحيوانات في أماكن



ثعبان أسود الرأس

احتياجات المملكة، سواء كانت وسائل تعليمية أو تصنيفية أو دراسية، وذلك لخدمة أهداف المتحف .. أيضا أقترح دراسة الحياة الفطرية في الاردن بشكل دقيق، فالمملكة مكان خصب ومناسب للترويج والانسجام، خاصة اذا ما تم اقامة المتحف الوطني .. فهو سيفني ويشري الباحثين والدارسين وطلبة العلم بل سيكون

مزارا للجميع.



صائد السمك الأبقع - محنت

كثير من أصحاب المهن والحرف يتأثرون بطبيعة عملهم .. فالفنان التشكيلي مثلا ينظر لكل شيء حوله من زوايا ومربعات فنية حتى إن حديثه يصبح انعكاسا ومحاكاة لعمله .. بمعنى أن المهنة تؤثر في سلوك أصحابها ..

فماذا عن شخصية وسلوك الباحث الشافعي ومدى تأثره بطبيعة عمله كباحث فني ميداني وقناص ومحنت للكائنات الحية؟

* مع مرور الوقت أصابني نفور من صيد الحيوانات، وقد راودتني الفكرة أن أقوم بجمع الحيوانات وهي حية، ثم أقوم بإجراء الدراسات وأخذ المعلومات عنها وتصويرها، ثم إطلاق سراحها بدلا من قتلها .. وهذه ردة فعل طبيعية لدى كل صياد أو قناص يمارس الصيد لفترة زمنية طويلة، وذلك لأنه ليس من حق الإنسان التماذي في مطاردة الحيوانات وصيدها .

** اقتراحات

ماذا يقترح الباحث وماذا يقدم لأصحاب العلاقة وأهل الاختصاص من واقع مهنته كباحث وصياد ومحنت وخبير كائنات حية؟

* أقترح إنشاء متحف وطني عام يغطي

وبعد :

إن عالم الكائنات الحية « البرية والبحرية»، الصغيرة والكبيرة، عالم غني بالاسرار .. يستحق منا المزيد من الإصرار والفوص والابصار .. بل يستوجب علينا جميعا .. من مؤسسات وأفراد الدعم والموازنة لطلبة العلم والباحثين والعلماء .. لكشف المزيد من المكونات .. وخاصة فيما يتعلق بعلم التحنيط، أسرارته ومواده وآلية عمله وظروفه بل ومحنطيه .. شريطة العمل بطريقة مقننة تكتفي بالقليل من الحيوانات دون التماذي أو المغالاة، راشدا في ذلك خدمة الانسان .. أينما كان - غذاء ودواء وسعادة وفق شرع الله سبحانه وتعالى .

المسرح والفنون الأدبية الأخرى

مثلا يمكن المخرج والمؤلف بين صفوف الجمهور ويوقفان العرض مرة بعد مرة لمناقشة المسرحية والغرض منها منتقلين في حرية بين عالم المشاهدين وعالم الممثلين. ويشبه تأثير ذلك في الجمهور تأثير الحلم الذي يصحو منه المرء عدة مرات.

ولكن سواء كانت المسرحية تجريبية أو تقليدية كما هو الحال في مسرحية آرثر ميلر (الثلث) فإن الفن المسرحي يتميز عن كل من السينما والشعر والقصة بأنه فن حي.

ست خصائص أساسية للدراما:

للدراما خصائص تميزها، كما هو الحال في القصة، وتتجمل هذه الخصائص في كون المسرحية عرضاً حياً، وهناك مسرحيات تفتقر إلى خاصية أو خاصيتين من هذه الخصائص كما تفتقر بعض القصائد الشعرية إلى خاصية الإيقاع أو كما تفتقر بعض القصص إلى الحوار. والواقع أن الخصائص ليست قواعد، ولكنها مجرد صفات مميزة تتكرر في معظم المسرحيات ويعتبرها معظم المؤلفين المسرحيين مصدر قوة في هذا النوع الأدبي.

١- المسرحية بالتعريف هي فن درامي:

وهذا يعني عموماً أن لها تأثيراً نفسياً انفعالياً. ويتشكل هذا التأثير غالباً في وقت مبكر من المسرحية بسؤال درامي يستحوذ على انتباه

المسرحية هي عرض حي يؤدي ممثلون أمام جمهور. وهذا أعظم ما يمتاز به الفن المسرحي. وهو أيضاً مفتاح لفهم هذا الفن.

وقد تنبأ بعض النقاد بنهاية الفن المسرحي عندما اخترعت السينما الناطقة. ونظر البعض إلى التلفزيون والاهتمام الجديد بالسينما كفن راق على أنهما تهديد للفن المسرحي. ولكن الحقيقة هي أن عدد المسارح الجديدة يزداد وأن كثيراً من المدن الصغيرة في مختلف أنحاء العالم أصبح فيها فرق مسرحية مقيمة تؤدي عروضاً مسرحية، وتقام مسارح جامعية بأفضل التجهيزات الممكنة. وواضح من زيادة عدد المسارح أن هناك حاجة حقيقية إلى العروض المسرحية.

ولا شك أن لكل من السينما والمسرح نقاط قوة ونقاط ضعف، ولما كانت أعظم نقطة قوة في المسرح هي التأثير النفسي الذي يشكله الممثلون فإن المؤلفين المسرحيين المعاصرين يؤكدون هذه الناحية في الفن المسرحي. فبعضهم مثلاً يفضل المسارح التي يحيط فيها الجمهور بالخشبة من جوانب ثلاثة. في حين أن آخرين يفضلون المسرح الدائري ويكتبون مسرحياتهم بشكل يستفيدون فيه من هذا التصميم. ويذهب بعض الكتاب الآخرين إلى أبعد من هذا فيجعلون شخصياتهم تختلط بالجمهور: ففي مسرحية وليام كارلوس وليامز (عشاق كثيرون)

د. زياد الحكيم

دكتوراه فلسفة في الأدب الانكليزي - لندن

الى أبعد من الشخصيات، فالديكور نفسه غالباً ما يكون جزءاً مهماً آخر في العرض، ويمكن لنظام الإضاءة المعقد أن يحيل الديكور الى عامل ديناميكي في تطوير الجو في كل مشهد، أضف الى ذلك أن اسقاط الصور المتحركة والثابتة على الخشبة يقوي الجانب المرئي عليها.

٣- الدراما فن سمعي :

والكلمات في المسرحية هي حديث في المقام الأول خلافاً لما هو الحال في القصة، ويقترب الكاتب المسرحي في ذلك من الشاعر أكثر مما يقترب من الروائي، ويتعين على المؤلف المسرحي أن يقرأ ما يكتب بصوت مسموع كما يفعل الشاعر ليتعرف الى تأثير الكلمات ووقعها.

ويدفع هذا بالبعض الى كتابة مسرحيات شعرية، في حين أن مؤلفين آخرين يعتبرون الحوار الدرامي وسيلة لتشكيل خبرة حاملة تعتمد على الانطباعات أكثر مما تعتمد على جبكة مطورة تطويراً منطقياً، وهذه خاصة مرتبطة بمسرح اللامعقول. ويمكن أن تكون فترات الصمت بين السطور ذات مغزى كبير، ففي أعمال هارولد بتر مثلاً تعادل فترات الصمت في أهميتها أهمية السطور ذاتها أو تكاد.

٤- الدراما فن حسي :

ويميل المؤلفون المسرحيون المبتدئون الى الاعتقاد

الجمهور قبل أن تصبح المسرحية واضحة بوقت طويل. والأسئلة الدرامية عادة مباشرة وبسيطة: هل يشكل هذا الغريب خطراً؟ من ينتظر هؤلاء؟ لماذا تمتت هذه الشخصيات بعضها بعضاً؟.. ويتحول هذه الأسئلة الأولية في أغلب الحالات الى صراعات محددة. وبالرغم من أن الحاجة الى توتر كهذا ليست ملحة جداً في المسرحيات القصيرة والكوميديات إلا أنها في العادة أكثر إلحاحاً في الدراما منها في القصة أو الشعر.

على أن من الصعب أن نطيل بقاء التأثير الدرامي. ولهذا السبب تصل معظم المسرحيات الى سلسلة من النرى مجيزة بذلك لعواطف الجمهور أن تهدأ بين ذروة وأخرى. وهذا النظام من العمل المسرحي الصاعد والهابط لا يتبع أي قانون معين. وهو في الغالب حدسي من قبل المؤلف المسرحي. كما هو الحال تماماً في كتابة القصة القصيرة.

٥- الدراما فن بصري :

فالعمل المسرحي على الخشبة عادة ما يكون جزءاً مهماً وعضوياً من العرض ككل. ولا يكفي في القرن العشرين أن تتحرك الشخصيات جيئة وذهاباً على الخشبة ملقية بالشعر على غراز ما تفعله الشخصيات في المسرح الاغريقي التقليدي. إن حركة الشخصيات على الخشبة في أغلب الأحيان تساوي في أهميتها التعبيرية أهمية السطور نفسها. ويذهب الاهتمام بالجانب المرئي في المسرحية

التوقف للتأمل في ملاحظة حكيمة أو حادثة مؤثرة ولا يستطيع العودة الى صفحة سابقة أو مراجعة مشهد مضى. وهذه الخاصة لا تجعل المسرحية أفضل أو أسوأ من غيرها من الفنون، ولكنها ميزة يمكن للكاتب المسرحي أن يستفيد منها.

٦. الدراما فن للمشاهدة :

واستجابة الجمهور على جانب كبير من الأهمية ولعل موقف الجمهور هنا أكثر أهمية من موقف جمهور المباريات الرياضية، فالشعراء لا يهتمون باستجابة قراء قصائدهم، ومن النادر أن تجد شاعراً يغير بيتاً من قصيدة له استجابة لمقالة نقدية، والروائيون أكثر تأثراً بموقف القراء من الشعراء، فجمهورهم أوسع من جمهور الشعراء، وهم يعرفون ذلك، ولذلك فإن كثيراً من الروائيين يدخلون تعديلات واسعة أحيانا على رواياتهم استجابة لاقتراحات المحررين. توماس وولف مثلاً وضع ثقته في محرره ماكسويل بيركنز وأجاز له أن يحذف ما شاء من نصوص رواياته. وإف سكوت فيتزجيرالد ذهب الى أبعد من ذلك فأعاد كتابة روايته (الليل الهادئ) بعد نشرها بسنوات محاولاً أن يتقلب على موقف القراء السلبي منها.

بأن هذه الخاصة قيد من القيود، فالديكور يجب أن يبنى بالخشب والسامير، ولا يستطيع النص المسرحي أن يتجاهل مصمم الديكور وطاقم الخشبة.

ولكن يعتبر الجانب الحسي في العرض المسرحي مصدر قوة كبيرة، فعندما تقدم المسرحية بشكل واقعي فإنها تكتسب نوعاً من المصداقية المكثفة، وعندما تكون المسرحية تعبيرية فإنها تفتح الخيال لما هو إيحائي ورمزي، وهناك جملة من التقنيات التي تخلق الممثلين بالجمهور والجمهور بوجه المسرحية، وهي تقنيات لا نجد لها مثيلاً في أي نوع من الفنون الأخرى بما في ذلك السينما.

٥. الدراما فن متصل :

أما المؤلف المسرحي فهو أكثر تحسناً لاستجابة الجمهور. فهو قد يكون شديد التوتر بينما يجلس في مؤخرة صالة المسرح ليلة افتتاح العرض، وهو شديد التنبيه لتلك اللحظات الزهية التي يضحك فيها الجمهور في الوقت غير المناسب أو التي يتعلم فيها بدافع الضجر، وتجده يتسقط التعليقات التي

يختلف جمهور المسرح عن قراء القصة أو الشعر في أنه يتلقى المسرحية بالوتيرة التي يحددها المؤلف، فهو لا يستطيع

المسرح أشد تأثيراً في المتلقى من السينما

يتبادلها الجمهور في أثناء فترة الاستراحة، وهو يهتم اهتماماً كبيراً - وربما أكثر مما يجب - بالمقالات النقدية التي تصدر في الصحف في اليوم التالي . وهذا لا يعني أن المؤلف الجاد هو عبد لما يمليه عليه النقاد والجمهور . ففي أغلب الأحيان يكون للكاتب تصور أساسي للعمل يبقى بدون تغيير، ولكن لما كان الكاتب يتعامل مع عرض حي ومع جمهور يمر بخبرة جماعية فإن اهتمامه باستجابة مشاهديه أمر مشروع .

الحدود الطبيعية للدراما :

ليس هناك حدود قاطعة بين الفنون الأدبية، فالقصيدة قد تعتمد اعتماداً كبيراً على لغة رمزية غير غنائية وبذلك تغدو أقرب الى النثر . والقصة التي تتوسع في السرد تبدو أقرب الى المقالة، والقصة التي تعتمد على الحوار اعتماداً كبيراً تقترب من الدراما، ويبدو أن حدود أي نوع أدبي قد رسمت بناء على الأثر الذي يحدثه النوع في نفس الملتقى، وإذا اقترب الكاتب من نوع أدبي آخر فإن مسؤوليات معينة تتولد وعليه أن يأخذها بالاعتبار، ولكن من أجل أن نفهم الامكانات الكاملة لأي نوع أدبي علينا أن نستكشف حدوده الخارجية .

من الممكن على سبيل المثال أن تقترب المسرحية من الشعر . فالمسرحيات الاغريقية قد كتبت شعراً، وكذلك الدراما الفرنسية الكلاسيكية في القرن السابع عشر . وتخير شكسبير طريقاً وسطاً جاعلاً الشعر المرسل حراً تماماً ولجأ الى النثر في حوار الشخصيات الهزلية والوضيعة . وكتب الكتاب

الامريكيون في القرن العشرين من أمثال ماكسويل أندرسون وروبرت لويل دراما شعرية لمعالجة موضوعات راهنة . وواضح من هذه الأمثلة أن استخدام الشعر في المسرحية لا يقلل من تأثيرها ولا يبطيء من وتيرتها .

ولكن تبدأ مشكلات الشعر في الدراما بالظهور عندما تقترب الأبيات من التعقيد اللفظي والمعنوي الذي يربطه غالباً بالشعر . فالدراما شكل مستمر ولا يستطيع الجمهور أن يراجع الأبيات لفهم استعارة معقدة - ولهذا السبب فإن الشعر المعقد فيها يعتبر نقطة ضعف وليس نقطة قوة، إذن يمكن أن تقترب الدراما من القصيدة، ولكن يجب أن لا نخلط بينها وبين الشعر نفسه .

وبالمثل نجسد في الدراما عناصر المقالة . فتعطى الشخصيات غالباً سطوراً تنبؤ في القصة ذات

الخـرج والؤلف في بعض المسرحيات ينزلان للجمهور لاستطلاع آرائهم حول المسرحية المروضة

مكونات المسرح مع حركة الممثلين المتناغمة لها أهميتها التعبيرية

نزعة تعليمية وتوجيهية. وقد يلجأ الكاتب المسرحي إلى هذا ضمن حدود معينة لأن النوع الدرامي ليس فيه سرد كما في القصة ولأن وتيرة الدراما أسرع من وتيرة الرواية. ويتمتع المسرحية بقوة دفع معينة تستحوذ على الجمهور من خلال مناجاة تشبه المقالة، إذا كانت هذه المناجاة ليست أطول مما يجب.

وتتوسع بعض المسرحيات في معالجة موضوعات أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية، فمسرح المقاومة والاحتجاج، والدراما العمالية في الثلاثينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة كما في مسرحية (بانظار لفتى) للكاتب كليفورد أوديت مثلاً، والمسرحيات الأخلاقية في العصور الوسطى - كلها دراما هادفة بمعنى أن كلا منها يحمل رسالة معينة ويناصرها. وكان معظمها

خبرات مسرحية مؤثرة بالنسبة إلى الجمهور في ذلك الوقت.

وتتميز هذه المسرحيات بكونها مبسطة من الناحية الأدبية، وهي تعتمد على موضوعات الساعة سواء السياسية منها أو الأخلاقية. ولكن ما أن يفوت الوقت على هذه الموضوعات حتى تغو المسرحيات عتيقة الطراز. إن مسرحية (مغزى) للكاتب سككتون مثلاً حظيت بنجاح وافر عند أولئك الذين عانوا من تطرف هنري الثامن قبل خمسمئة عام. وأمتعت مسرحية (ماكبرد) للكاتب باربرا غارسون نقاد الرئيس الأمريكي ليندون جونسون عام ١٩٦٦م. غير أن المسرحيتين مبنيتان على موضوعات سياسية واجتماعية لا تغري رواد المسرح اليوم بمشاهدتها.

ومن غير المفيد أن نجادل فيما إذا كان يجب على المسرحية أن تعالج قضايا اجتماعية راهنة أو أن تكون ذات رسالة كما هو الحال في المقالة أو فيما إذا كان يجب عليها أن تهتم بالموضوعات الإنسانية ذات المضامين التي لا يمكن أن ينال منها الزمن. إن لكل من هذين الاتجاهين فوائد مختلفة ويؤدي وظائف مختلفة؛ فالأول يؤثر في المجتمع الراهن تأثيراً محدداً، وبذلك يقوم بمهمة الإصلاح، في حين أن الثاني يتمتع بصفة الاستمرارية والبقاء والقدرة على مخاطبة الثقافات المختلفة عبر القرون.

وكما هو الحال في الدراما الشعرية هناك مشكلة ضعف التأثير، فإذا كانت المسرحية تشبه المقالة شبيهاً كبيراً فإنها تفقد الوهم الدرامي الذي يجيز للجمهور أن يدخل إلى العمل المسرحي وأن يتأثر به، فيظل المشاهد خارج العمل كما لو كان يستمع إلى خطبة. وفي هذه الحال تفقد الدراما

القدرة على إثارة عواطف الجمهور وذكرياته وتفقد القدرة على التعليم عن طريق المثال الحي، إذن يستطيع الكاتب المسرحي أن يتحرك باتجاه المقالة ولكنه يجب أن لا يخلط بين المسرحية والمقالة كتقنين أدبيين.

وبالرغم من أن الدراما في بعض نواحيها تشبه القصة إلا أنها تفقد الكثير من فعاليتها إذا أجزئ لها أن تهيم بعيداً في هذا الاتجاه أيضاً، فالحبكات القصصية في الغالب تقتصر إلى الوحدة الدرامية الضرورية في العروض المسرحية، وهي تقفز عدة قفزات في الزمان والمكان. أما الدراما من الناحية الأخرى فتمتاز بوحدة أكبر. وهناك استثناءات كثيرة، غير أن القيود الميكانيكية للديكور والحاجة إلى الانسجام تشجع الكاتب المسرحي على جعل حبكته تتحرك في نسق تاريخي وبدون تنقل كثير في المكان.

ومن الخصائص الأخرى للقصة أنها تستعمل الخاطرة، ويمكن الدراما الإفادة من هذه الخاصة بجعل الشخصيات تتحدث عن نفسها أو تخاطب الجمهور مباشرة أو باستخدام الجوقة أو بالاستماع إلى شريط مسجل. وعلى أي حال، تعتمد المسرحية عموماً على مصادر القوة فيها أي على الفعل المسرحي والحوار فبإمكان الجمهور التعرف إلى أفكار الشخصية بالاعتماد على ما تقوله وما تقوله. ومن شأن التعبير عن الخواطر بصورة مباشرة أن يبطئ الوتيرة في المسرحية، وهو أقل استخداماً في المسرحية مما هو في القصة.

هناك استثناءات لكل ما ذكرناه عن حدود الدراما، فالتجريب في المسرح اليوم يفوق ما كان

عليه في أي وقت في التاريخ، إننا نجد مسرحيات تتحرك بحرية إلى أمام وإلى وراء زمنياً مثل أي رواية فضفاضة، كما في مسرحية (بعد السقوط) لارثر ميلر. وهناك مسرحيات لا تستفيد من العنصر البصري كما في مسرحية (المذكرات الكاملة) لبرنارد ميرجنديلر لجولز فيفر، وهي مسرحية تعرض في ظلام دامس. وهناك مسرحيات ليس فيها ممثلون كما في مسرحية (الرغبة) لبिकासو، وهي مؤلفة من مشهد كامل يصور «رقصة» لجسمين متحركين.

ولكن لا شك أن العروض الحية التي تقدم على خشبة تمتاز بمصادر قوة لا نجد لها مثيلاً في الأنواع الأدبية الأخرى. ويهتم معظم المؤلفين المسرحيين بتطوير هذه المصادر والاستفادة منها أكثر مما يهتمون بمحاكاة تلك الأنواع الأدبية.

عندما
تقدم
المسرحية
بشكل
واقعي
فإنها
تكتسب
نوعاً من
المصداقية
الكثيفة

هل كان أبو حيان التوحيدي متصوفاً؟

لقد كانت بداية الحديث عن علاقة أبي حيان التوحيدي بالصوفية والتصوف، انطلاقاً من كلمتين ذكرهما ياقوت الحموي، وهو يترجم له، عندما قال - وهو يعدد أوصافه: «...» و«شيخ الصوفية» [١] - وتناقل الذين كتبوا عن التوحيدي هذا الوصف دون تحقيق - في التراجم القديمة - واستناداً - في بعض الدراسات المعاصرة - إلى كتابه (الإشارات الإلهية) الذي تشيع فيه الأدعية الصوفية.

انقلب عليه الكثيرون بسبب هذا الخلق... فالتقطه من أوساط الدهماء والمتسولين وعوام المنتسبين للصوفية، فعينه حارساً للبيمارستان العضدي، ثم قدمه إلى الوزير ابن سعدان ليكون مسامراً للوزير في مجلسه، وطلب منه تدوير هذه المسامرات (الإمتاع والمؤانسة) إن الصفات التي كان عليها التوحيدي، والتي ذكرها له الشيخ أبو الوفاء - مواجهة في عتاب قاس - وهي التي سلم بها التوحيدي ولم ينكرها أو يجادل في اتصافه بها، كلها تنفي عن التوحيدي أية أهلية للتصوف وأية علاقة بأهل هذا الطريق.

لقد كتب إليه أبو الوفاء المهندس، عندما رآه يتنكر لليد التي أحسنت إليه - بعد أن أصبح مسامراً للوزير ابن سعدان - فقال له: «أظن بفرارك (غفلتك) وغمارك (جهالك وبلاحتك) وذهابك في فسؤلوك (ضعفك وخسرتك وقلة مروءتك) التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية [٢] والغرباء والمجتهدين (المتسولين للعتاء) الأبدناء الأرياء، أنك تقدر على مثل هذا الحال (التنكر

للإحسان)، وأنام منك على حسن الظن بك» [٣].

ولم ينكر أبو حيان التوحيدي، في جوابه على رسالة الشيخ أبي الوفاء المهندس، أيًا من هذه الصفات التي وصفه بها - والتي تكفي واحدة منها

لكننا نلاحظ أن ياقوت الحموي، الذي وصف التوحيدي بأنه «شيخ الصوفية»، هو ذاته الذي تحدث عنه بامتنباره «رئيس جماعة من المتسولين - الساسانية»... كما وصف خلق التوحيدي بالأوصاف التي تنفي عنه أية علاقة بحقيقة التصوف والصوفية الحقيقيين - فضلاً عن أن يكون شيخهم - وذلك عندما قال كلماته المعبرة: «... وكان التوحيدي مجبولاً على الغرام بطلب الكرام»... ثم إنه - ياقوت - هو الذي حكى من علاقات التوحيدي بالدنيا ومتاعها! والحياة وعرضها ما يتناقض كل التناقض وأشدّه مع نهج الصوفية والمتصوفين.

فما هي حقيقة هذا الموضوع؟!...

لو كان التوحيدي شيوخاً للصوفية، أو حتى من أهل التصوف، لترجمت له كتب الطبقات التي ترجمت للصوفية... لكن هذه الكتب قد خلت تماماً من أي ذكر لأبي حيان.

ثم إن أخلاق الرجل وصفاته، التي وصفه بها واحد من أبرز علماء عصره، وهو الشيخ أبو الوفاء المهندس البوزجاني الذي أحسن إلى التوحيدي كما لم يحسن إليه أحد من عارفه، وصبر على خلقه على حين



أ. د. محمد عمارة

مصر

من أحدهما قرب من الآخر، ومتى قرب من أحدهما بعد من الآخر، وأين هو من قول الآخر: الدنيا والآخرة ضُرَّتَانِ، متى أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، ومتى أسخطت إحداهما أرضيت الأخرى.

«وهذا الانسان .. لا يستطيع أن يجمع بين شهواته، وأخذ حظوظ بدنه، وإدراك إرادته، وبين السعى في طلب المنزل عند ربه بأداء فرائضه، والقيام بوظائفه، والثبات على حدود أمره ونهيه» [٥].

فهل هناك علاقة بين هذا الموقف، الراضخ للاعتدال والوسطية والتوازن الجامع بين الدنيا والآخرة، وبين موقف الصوفية الذين ولّوا وجوههم الى الآخرة مديرين ظهورهم للدنيا؟!.

بل إن التوحيدى - الذى أفصح عن طلبه للمكانة عند الوزراء - بكل حول وقوة - «والذى كانت حياته ومأساته ثمرة لممارسته هذا الاتجاه - يتوسل الى الشيخ أبى الوفاء المهندس توسلا يعف القلم عن وصفه بما يستحقه من أوصاف!.. فيكتب إليه في ختام كتاب (الإمتاع والمؤانسة) يقول له: «لم يبق في هذه الجماعة على فقره ويؤسه، ومُرّه ويأسه غيرى.. خَلَّصْنِي، أيها الرجل، من التكفف.. اشْكُرْنِي بالإحسان، اعْتَبِدْنِي بالشكر، استعمل لسانى بفنون المدح.. اجْبُرْنِي فإِنِّى مكسور.. شَهْرْنِي فإِنِّى غُفْل، حَلَّنِي فإِنِّى عاطل.. سرحنى رسولا الى صاحب البطائح، أو الى أبى السؤل الكردى، أو الى غيره ممن هو في الجبال، أو دع لى ألف درهم، فإننى اتَّخِذُهُ رَأْسَ مال، وأشارك بقال المحلّة في درب الحاجب.. أو تقدّم الى «كسج» البقال حتى يستعين بي في بيع الدفاتر» [٦].

لتنفى عنه أية علاقة بالصوفية والتصوف.. وإنما زاد هذه الحقيقة تأكيداً عندما تحدث عن حبه لأغراض الدنيا، وتعلقه بمظاهرها، وحرصه على متاعها - الأمر الذى يباعد ويناقض بينه وبين التصوف وأهله - فقال: «إن هذه العاجلة محبوبة، والرفاهية مطلوبة، والمكانة عند الوزراء بكل حول وقوة مخطوبة، والدنيا حلوة خضرة، وعذبة نضرة.. وترك خدمة السلطان غير الممكن، ولا يستطيع إلا بدين متين، ورغبة في الآخرة شديدة، وغطام عن الدنيا صعب» [٤]!!

فهو يعلن تعلقه الشديد بزين الحياة الدنيا ومتاعها، وسعيه للمكانة عند الوزراء بكل حيلة وبكل قوة، وافتقاره الى الصوارف عن هذا الطريق - من دين متين، ورغبة في الآخرة شديدة، وغطام عن الدنيا - وهي الصوارف التى تميز بها أهل الطريق.

والتوحيدى لا يدع مجالاً للشك: «دنيوية منهاجه في الحياة».. فيصرح برفضه للاعتدال المتوازن الذى يتيح للإنسان التوسط الجامع بين الدنيا والآخرة، ويكشف عن فكر غريب ينكر هذه الوسطية، عندما يقيم تناقضاً كاملاً بين «الدنيوية» و«الأخروية» في الوقت الذى أفصح فيه عن عشقه لمتاع الدنيا وغرامه بمظاهرها، فيقول: «وربما قال بعض المتكلمين: قد قال بعض السلف: (ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا من ترك الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه). وهذا كلام مقبول الظاهر، موقوف الباطن. وربما قال آخر من المتقدمين: (اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً)..

وهذا أيضاً كلام منمق، لا يرجع الى معنى محقق.. أمين هو من قول المسيح، عليه السلام، حين قال: الدنيا والآخرة كالشرق والغرب، متى بعد أحكم

فهل هذه أخلاقيات ومقاصد تطلعات الصوفية، أهل الطريق، من أية أمة أو دين، في أي زمان أو مكان؟

لقد كان التوحيدى «ناسخاً ٠٠ وراقاً»، لكنه لم يقطع - ككثيرين من أعلام علماء عصره وغيره من العصور، الذين عاشوا على التكسب من نسخ المخطوطات، مع التعلم منها، وتكوين المكتبات الزاخرة بالعلوم والفنون - فسمى هذه الحرفة (حرفة الشؤم) ٠٠ وسعى إلى «العاجلة المحبوبة، والرفاهية المطلوبة، والمكانة عند الوزراء، وجمع الشهوات والحظوظ»، حتى ولو كان ذلك يتزلف للعبيد، والمشاركة في «بقالة بدرب الحاجب» - أو بيع الدفاتر عند (كسج) البقال؟ ٠٠ بل حتى لو استدعى الأمر «بيع الدين، وإخلاق المروعة، وإراقة ماء الوجه» [٧].

ثم إن خلفه في طلب المكانة عند الوزراء - بكل حول وقوة - قد حال بينه وبين النجاح في هذا الميدان، فانتهت كل تجاربه مع الوزراء - من المهلبى (٢٩١هـ - ٣٥٢هـ) - وزير معز الدولة، ببغداد ٠٠ إلى أبى الفضل ابن العميد (٣٦٠هـ) وزير ركن الدولة في خراسان ٠٠ إلى ابنه أبى الفتح ابن العميد (٣٣٧ - ٣٦٦هـ) وزير ركن الدولة في الري ٠٠ إلى صاحب ابن عباد (٣٢٦هـ - ٣٨٥هـ) وزير مؤيد الدولة، وفخر الدولة، في الري ٠٠ إلى ابن العارض أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن سعدان (٣٧٥هـ) وزير صمصام الدولة في بغداد ٠٠ إلى أبى القاسم المدلجى وزير صمصام الدولة في شيراز ٠٠ انتهت كل تجاربه مع جميع هؤلاء الوزراء بغضبيهم عليه، وفراره منهم، وظلهم إياه ٠٠ فلقد كان - كما قال ياقوت الحموى - «مجبولا على الغرام بثب الكرام»!! وفي تأمل أبعاد هذه الكلمات التى اختارها ياقوت المفتاح لمسأة هذا الرجل، الذى أراد استبدال لذات الدنيا - حتى لو اقتضت «بيع الدين وإخلاق المروعة وإراقة ماء الوجه» - بالوراقة والنسخ - التى سعد بها كثير من أعلام العلماء - على حين سماها هو «حرفة الشؤم» ٠٠ وتكرار ما في الكتب [٨].

فهل هذا متهاج صوفي؟ وهل هذه هى طريق المتصوفين من أهل الله؟

لقد طلب التوحيدى المكانة عند الوزراء، حتى ولو كان ذلك - كما قال - «بيع الدين وإخلاق المروعة» ٠٠ وكان في طلبه لهذه المكانة رهن إشاراتهم في كل شيء ٠٠ حتى إن الوزير ابن سعدان، يطلب إليه في إحدى الليالى أن يخوض به في بحر الخلعة والمجون، فيقول له: «تعال نجعل ليلتنا هذه مجونية، ونأخذ من الهزل بنصيب وافر» ٠٠ فهات ما عندك فتكون حصيلة أبى حيان إحدى عشرة صفحة من المجون الداعر والدعارة الماجنة ٠٠ حبذا لو تأملها الذين يتحدثون عن مشيخة التوحيدى للصوفية في العصر الذى عاش فيه [٩].

أما كتاب (الإشارات الالهية) - الذى يستدل به البعض على تصوفه - فإن من دارسى التصوف من يشك في نسبته إلى التوحيدى، انطلاقاً من مجافاة منهجه في الحياة لما تعارف عليه أهل التصوف [١٠] ٠٠ فالصوف «تجربة حياة» ٠٠ وليس نظريات تكتب ولا كلاماً يقال ٠٠

الهوامش :

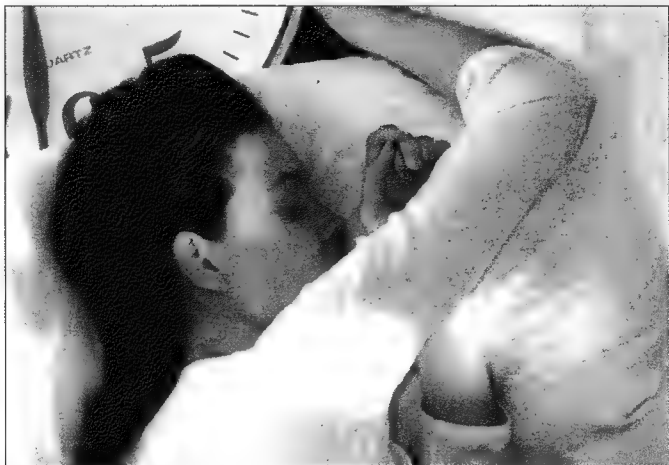
- (١) (معجم البلدان) ج ١ ص ١٥
- (٢) وهذه الأوصاف دليل على أن المخالطة كانت للدعامة المسووين على الصوفية - إذ أن مخالطة الصوفية لا تشر الخسة وقلة المروعة.
- (٣) (الإمتاع والمؤانسة) ج ١ ص ٧
- (٤) المصدر السابق : ج ١ ص ١٣، ١٤
- (٥) المصدر السابق : ج ١ ص ١٥
- (٦) المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٥
- (٧) المصدر السابق : ج ٢ ص ١٤٣
- (٨) المصدر السابق : ج ٢ ص ١٤٣
- (٩) المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٠ - ٦٠
- (١٠) د. يوسف زيدان «التوحيدى والصوفية» مجلة (الهلل) عدد نوفمبر سنة ١٩٩٥م.

مروان على المزيني

- المدينة المنورة -

يا شاطئ البحر

يا شاطئ البحر قد داعبت أوتاري
 فتراقصت طرباً في عزف أشعاري
 لما استشقت منك عنوبة المعنى
 ذابت كإشعاع في يَم أسفار
 همستُ بأنني أمواجٌ يدافعها
 خجلُ العذاري في قُرب وإبصار
 والشمسُ أرختْ من إشعاعها خضلاً
 يلهو النسيمُ بها في موجٍ إبحار
 وتلثمتُ بخمار الشُخب في خجل
 ضالتُ مودعة في برب أسرار
 قد صافحتُ سفني الأمواج عاشقة
 تمضي بها قلما في بحر أفكار
 أمواجك الحمرى تأتي إلى قلبي
 والموج مشتاق في سبيل أغوار
 قد كنت تسألني: من يا ترى ملكك
 منك المشاعرة في حلم وإبصار؟
 أمي التي عكست في الموج صورتها
 لما أضلعت في النسيان بثورار؟
 فنظرتُ نحوك والآنقُ ساحرة
 وعلمتُ أنك لن تغضي بفسرار
 إنني غرقتُ ببحر لا مثيل له
 فيه النديمُ وفيه مراحيل الدار
 جنبتُ فؤادي في رفق تغوص به
 حورية جمعتُ حسنا بلا عار
 حورية حازت قلبي برقها
 وعلى الوفاء يكون اليوم اقرباري



أحلام النوم واليقظة وهم ... أم حقيقة ..؟!!

الظاهر؟

- هل يستطيع خيال الأحلام أن يحل المشكلات العلمية؟
- ولماذا يكون انعكاس الحقيقة في الأحلام مشوهاً هكذا في بعض الأحيان؟

ونحن نصطدم دائماً بأسئلة تمس العلاقة بين الخيال والواقع:

- ما العلاقة بين الواقع والخيال؟
- هل الأحلام عبارة عن أوهام أم أن هناك علاقة بين الخيال والحقيقة؟
- من أين يأتي الحلم بمادته أو محتواه



أ.د. عبدالرحمن محمد العيسوي

أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة الإسكندرية - مصر

اليوم لا يستطيع أي عالم يعالج بجدية موضوع الحلم، تجاهل كتاب فرويد. ويركز العلماء الآن، بشكل خاص، على المسائل الواقعة في مركز دراسة الحلم التجريبية: - متى يحلم المرء؟ وكب مرة؟، ماذا يحلم؟، أيستطيع الإنسان إثارة الأحلام بصورة اصطناعية؟، هل يحلم المرء أحلاماً ملونة؟، لماذا غالباً لا يتذكر المرء أحلامه؟، وماذا عن قابلية الإيقاظ في الحلم؟، ما هي الأحلام المرعبة (الكوابيس)؟، هل هناك نموذج حلم خاص بمجتمع معين؟، ماذا يحدث حين يمنع المرء حدوث الحلم بالقوة؟، إلخ. ويدرسون مسألة حل المشاكل في الحلم.

التاريخ السياسي والعلمي مملوء بالأحلام كيف توصل بعض العلماء الى إبداعاتهم أو توصلوا لحلول لمشكلاتهم العلمية، ويهتم بعض العلماء بشكل خاص بإمكانية تفسير حل المشكلات هذه دون الاستعانة بقوى فوق طبيعية وإن ما فوق علم النفس Par- psychology يعتبر مثل هذه الظواهر فوق الطبيعية هي المسئولة عن الأحلام التنبؤية والتخاطيرية. ويناقش العلماء استخدام الحلم في تشخيصها وعلاج بعض الأمراض العصبية والذهانية. ويدرس العلماء الأحلام الآن من كافة جوانبها كالعلاقة بين ظاهرة الحلم ومظاهره الفيزيولوجية المرافقة أو أسبابه الفيزيائية.

هل الأحلام ظاهرة محيرة ومعقدة وغامضة؟

الأحلام تبدو مهمة للحياة، وإن الكثير من نتائج

** على هذه الأسئلة وأسئلة كثيرة أخرى تحاول دراسة الأحلام إيجاد إجابة لها، وغالباً ما تكون هذه الإجابات مؤقتة فقط، ومختلفة عليها في العادة بشدة. وبالتأكيد فلن نستطيع إطلاقاً الحصول على إجابات نهائية حول كل هذه الأسئلة الهامة المرتبطة بأحلامنا، إلا أننا نستطيع فقط عرض نتائج متنوعة لبحوث الأحلام وعرض مقولات لإيضاح طبيعتها.

إن محاولات تفسير ظاهرة «الأحلام» موجودة منذ العصور القديمة. ففي ذلك الوقت تساءل الناس عن معنى أحلام سلك الدماء أو الأحلام الجنسية، وفيما إذا كان الإنسان مسئولاً عن الذنب المقترف في الحلم، وفيما إذا كان بالإمكان إثارة محتويات محدودة للأحلام بواسطة مثيرات خارجية. إضافة لتساؤلات أخرى كثيرة.

تاريخ دراسة الحلم، هذا يعني تطور الآراء حول الحلم منذ العصور القديمة حتى القرن التاسع عشر الميلادي. ولقد حاول سيجموند فرويد وضع نظرية في الأحلام وتفسيرها بعد أن انتقد كافة الآراء السيكلوجية والطبية التي كانت سائدة في عصره. حيث كانت تقول إن الحلم هو فقط عبارة عن رجفة الروح الغاشمة. وإن الحلم يتكون من موجات عديمة المعنى للخلايا العصبية. وقد أصبح كتابه «تفسير الأحلام» منطلقاً لدراسة الحلم الحديثة. ولقد تمت دراسة الأحلام من خلال أعوانه وأتباعه، وكذلك من خلال أعدائه الذين حاولوا بحض نظرياته. فحتى

ويعرف الحلم بأنه حقيقة يعيشها ليلاً معظم الناس. موقف الفرد من أحلامه وإمكانات التعامل مع هذه الحقيقة متنوعة: فيمكن للمرء على سبيل المثال نسيانها أو الاندفاع (أنا لا أحلم إطلاقاً) إلا أنه يمكن للمرء أيضاً أن يوجه الحياة برمتها حسب الأحلام، وهذا ما كان منتشرأً بكثرة في الشرق القديم. وختاماً يمكن للمرء جعل الأحلام موضوعاً لعلم، لدراستها وفهم معناها ودوافعها وأثرها في سلوكه اليومي (رضوان، سامر جميل، ١٩٩٤، ص ٨ : ١٠).

تعريف الحلم وطبيعته : - تعريف الأحلام :

الحلم عبارة عن تتابع للصور متناسق كثيراً أو قليلاً يحدث أثناء النوم. (عادل، فاخر، ١٩٨٥، ص ٣٦).

والحلم، كما يعرفه أ.د/ فرج عبد القادر طه ورفاقه، تعريفاً جامعاً بالقول (الحلم: سلسلة من الهلوس والتخيلات التي تحدث لنا أثناء النوم. وتختلف الأحلام في مدى تماسكها ومنطقيتها، وعموماً فإن الحلم يعتبر من أهم الحيل الأساسية التي تلجأ إليها النفس البشرية لإشباع رغباتها ودوافعها، خاصة تلك التي يكون إشباعها صعباً أو مستحيلاً في عالم الواقع. وفي الأحلام يرى الفرد دوافعه وقد تحققت في صورة حدث أو خبرة يعيشها في الحلم. والمثال الشعبي القائل «الجعان يحلم بسوق العيش» خير تعبير عن هذه الحقيقة العلمية، ويرجع الفضل إلى فرويد في إعادة اكتشاف هذه الحقيقة وتنبئها إليها، وإقامة الدليل على صدقها في واحد من أهم وأخطر كتبه هو «تفسير الأحلام» الذي نشره في أواخر القرن الماضي حيث يقرر أن الحلم «تحقيق رغبة». ويضرب من الأمثلة ما يقيم الدليل على هذه الحقيقة التي سبقه إليها المثل الشعبي بوقت طويل (طه، فرج عبد القادر وآخرون، ١٩٩٣، ص ٨-٣ : ٣٠٩).

أنواع الأحلام :

فالحلم عبارة عن سلسلة من الصور الذهنية التي تشبه الفيلم السينمائي تمر في ذهن الفرد كبيراً أو صغيراً أثناء نومه. وللأحلام عدة أنواع منها :

١- أحلام الجنس :

وهي أكثر ما تكون في سن الشباب، بسبب الهياج الجنسي، وما يرون من صور ومناظر مثيرة لهذه الرغبة.

٢- الأحلام الملونة Coloured dreams :

هناك أحلام يراها المرء بالألوان «الطبيعية» إلى جانب الأحلام باللونين الأبيض والأسود. ويقول عالم النفس الأمريكي أيزيك أن الألوان ليست عوناً هاماً في تفسير الحلم، وكل حلم بين ثلاثة أحلام يكون ملوناً، لكن كل المحاولات الرامية للعثور على أي نوع من

التفسير للفارق بين الأحلام بالأسود والأبيض والأحلام الملونة جاءت مخيبة للأمال حتى الآن.

٣- أحلام اليقظة Day dreams :

هي نوع من التخيلات أو سلسلة من الصور الخيالية والحوادث المتخيلة التي تمر في خيال المرء عندما يترك العنان لعقله لكي ينتقل على غير هدى بين الصور السارة، فيشبع بذلك الرغبات التي بقيت دون إشباع في الحياة الحقيقية وعلى صعيد الواقع. يستسلم المرء لها أحياناً كوسيلة للهرب من واقعه إذا كان هذا الواقع مؤلماً أي أنها مجموعة من الأحداث والمغامرات الخيالية يتصورها الإنسان في يقظته كأنه يحلم (خالد، نور الدين وسالمى، عبد الحميد ١٩٩٨م، ص ٩٩) إذا كان الواقع سيئاً، وهي بذلك عبارة عن تحقيق لرغبات مكبوتة أو رغبات عجز الإنسان عن تحقيقها في عالم الحقيقة والواقع، فيحققها في خياله أو في أحلام يقظته (رزق، أسعد ١٩٧٧م، ص ١٤ : ١٥).

٤- الأحلام المحرفة Distortion dreams :

يقوم الحلم بتحريف الرغبة وتقنيعها، وتميرها من الرقيب عن طريق حيل الدفاع اللاشعورية مثل حيلة التكثيف والإزاحة والترميز، وكلها عمليات عقلية لا شعورية. فللحلم طبيعة «رمزية» حيث لا تظهر فيه الأشياء علنية أو سافرة، وإنما تظهر بصورة رمزية مقنعة (الحقنى، عبد المنعم ١٩٩٤م، ص ٢٣١).

فاللحلم سلسلة من الصور البصرية والتخيلات الذهنية، تحدث للفرد النائم ويعتبرها التحليل النفسى حيلة تلجأ إليها الذات الوسطى لتشبع رغبتها وخاصة

الصعبة منها أو المستحيلة التحقيق في الواقع (خالد، نور الدين وسالمى، عبد الحميد ١٩٩٨م، ص ٩٩).

٥- حلم الهلوسة Onirism :

هلوسة بصرية تبدو كأنها حلم يعيشه المريض بشكل مكثف في حالة اليقظة ويعتقد أنه حقيقة، ويلاحظ خاصة في حالات التسمم الحادة (مثل تعاوى الشيش أو مثله) أو المزمة (مثل إدمان الكحول). (خالد، نور الدين، وسالمى، عبد الحميد ١٩٩٨م، ص ٩٩).

٦- الأحلام الجنسية Sexual dreams :

الحلم الجنسي يقصد به ذلك الحلم الذي يحتوى مضمونه على رغبة جنسية يتحقق لها إشباع هلوسى تفعيلى يؤدي بالحالم الى ما يطلق عليه ظاهرة الاحتلام.

ولقد اهتم التحليل النفسى بظاهرة الأحلام وتفاعلاتها وأهدافها ووظيفتها، وكشف عن طبيعتها الرمزية، ويعتبر الحلم ذاته دليلاً على وجود اللاشعور في أعماق الفرد. وللحلم جانب أو محتوى ظاهر هو تلك السلسلة من الصور الذهنية من الأحداث الواقعة في الحلم، ومستوى آخر كامن أو باطنى أو ضمنى مستتر هو معنى الحلم وما يرمز إليه. فالأفعى تشير الى العدو، وصعود درج السلم يشير الى الرفعة والارتقاء والنجاح (طه، فرج عبيد القادر وآخرون ١٩٩٢م، ص ٣٠٩).

ويصدق هذا أيضاً على أحلام اليقظة، ففي أحلام اليقظة يستسلم الفرد لتخيلات يرى فيها نفسه وهو يحقق آماله، ويشبع دوافعه، ويتخطى العقبات التي تحول دون ذلك. وهكذا يحلم الفقير بفوزه بجائزة مالية

ضخمة، ويتخيل نفسه وقد تسلمها ثم ذهب إلى هنا وهناك لشراء ما يطعم فيه، وتحقيق ما يريده من هذا المال، كما يحلم الموتور من خصم يفوزه عليه ويمصائب كبيرة تلحق به وهكذا (طه، فرج عبد القادر وآخرون ١٩٩٣م، ص ٢٠٨).

مقارنة بين أحلام النوم وأحلام اليقظة :

إلا أنه في أحلام النوم غالباً ما تكون الرغبات مموهة مخفاة، بحيث لا يعي الحالم نفسه بواقعها في كثير من الحالات، وذلك لأن العمليات والحيل والأساليب التي يلجأ إليها النائم في صناعة حلمه وإخراجه لكي يشبع دوافعه تكون عمليات وحيل وأساليب من طبيعة خاصة، تميز اللاشعور. فيها يستخدم من حيل ومنطق وأساليب تفكيره. ومن هنا فإن كثيراً من أحلام النوم تبدو ممسوخة خلواً من المعنى والمنطق، شبيهة بتفكير المجانين ومنطقهم، على عكس أحلام اليقظة. ويرجع ذلك إلى أن حالة النوم تعطى فرصة أكبر لللاشعور حتى يعبر عن نفسه، ويشبع دوافعه ويخرج مكنوناته، حيث تخف حدة المقاومة التي تفرضها الشخصية على لاشعورها وتترخي بعض الشيء من سطوتها عليه طالما أن الإنسان نائم ولا يخشى أن يقوم بسلوك واقعي يضر به ذاته أو بالآخرين. ولهذا فإن ذاكرتنا في النوم أقوى من ذاكرتنا في اليقظة. ففي أحلام النوم نتذكر بوضوح كثيراً من الأحداث والشخصيات المنسية في حالة اليقظة والحقيقة أن الأحلام تجد الفرصة أمامها سانحة للخروج إلى العلن، وذلك في غيبة الرقيب الداخلي اللاشعوري الذي يمنح ظهورها بصورة سافرة. وكنا في أحلام اليقظة أقرب إلى

الاشعور بينما نكون في أحلام النوم أقرب إلى اللاشعور، فإن أحلام اليقظة تكون أكثر استخداماً لأساليب التفكير الشعوري ومنطقاً العقلاني المعتاد وأكثر اشباعاً للدوافع الشعورية، بينما تكون الأحلام في النوم أكثر استخداماً لأساليب التفكير اللاشعوري ومنطقه المغرب، وأكثر إشباعاً بالمثل لدوافعه. ومن هنا يصعب تفسير أحلام النوم لأننا غير متعودين على أساليب التفكير اللاشعوري المسوخ ومنطقه المغرب. كما أننا أقل معرفة بدوافعه داخلنا في نفس الوقت. وينجح التحليل النفسي، وحده، بمعونة مستدعيات صاحب الحلم في تفسير أحلام النوم المغربية وكشف ما يتحقق فيها من دوافع تشبعها هذه الأحلام، خاصة إذا كانت دوافع لا شعورية وعلينا أن نؤكد هنا أن أحلام النوم لا تنتج كلها عن دوافع لا شعورية بل إننا نجد فيها الكثير من الدوافع الشعورية التي يعرفها الحالم جيداً ويحس بها ويعيها. الأمر الذي يكشف عن الطبيعة الرمزية للأحلام، وعن قدرتها على الاختفاء والتخفي وأنها في الجملة ظاهرة بالغة التعقيد، تتدخل فيها كثير من العوامل الشعورية واللاشعورية، وكذلك العوامل الفيزيائية أو الجسمية المصاحبة للنائم. (طه، فرج عبد القادر، وآخرون ١٩٩٣م، ص ٢٠٩).

تفسير الأحلام : Dream interpretation :

١- تفسير الحلم أو تأويله :

يتم بتحليل الحلم، وترجمة المحتوى الباطن إلى محتوى ظاهر، والعمليات المكثفة إلى اللغة اليومية المنطقية. ومن أكبر إسهامات فرويد كتاب «تفسير الأحلام» (١٨٩٩) الذي يطرح فيه نظريته في الحلم وتفسيره (الحفنى، عبد المنعم ١٩٩٤م، ص ٢٣٩).

٢- تفسير الأحلام عند فرويد :

يرتبط بنظرية فرويد في تفسير الأحلام بنظريته عن الشخصية، فالهمة التي يأخذها المفسر أو المحلل على عاتقه تنحصر بشرح المحتوى الظاهر للحلم على أساس محتواه الكامن. والمحتوى الظاهر هو الحلم كما «يبصره» المرء وربما كما يدونه. أما الحلم الكامن فهو الأفكار والرغبات والتمنيات كما يعبر عنها في الحلم بعد نزاع أقتعتها وتلبساتها التنكزية. وهناك طريقتان استخدمهما فرويد في عملية التفسير والتحليل. التفسير الرمزي للأشياء الواردة في الحلم وطريقة التداعي النفسى (رزق، أسعد ١٩٧٧، ص ٨١ : ٨٢).

خاتمة :

وفيما يتعلق بالأحلام التنبؤية والتي يراها الحالم في منامه ثم تتحقق في عالم الواقع والحقيقة، فهذه مسألة مازالت تستعصى على العلم الحديث، وكذلك فإن القول بأن الأحلام إن هي إلا رغبات وحاجات يرغب الإنسان في تحقيقها في عالم الواقع، ولكن كيف يفسر الإنسان وقوع الأذى بشخصه أو موت أو إذاء شخص عزيز عليه؟ هل يسعى الإنسان لتحقيق ذلك وفيما يتعلق بالطبيعة الرمزية للأحلام حيث إنها لا تظهر في الحلم بصورة علنية سافرة وإنما بصورة رمزية، نقول إن هذه الرموز ليست عامة، ولكن لكل ثقافة رموزها بل إن للفرد نفسه رموزه الخاصة، فهناك من يرمز لديه تناول الطعام الشهى بالنصر والحصول على المال وتناول الأشياء سيئة المذاق بحدوث ما يعكر الصفو، وهكذا. [*]

(*) المنهل :

نلاحظ أن كثيراً ممن يكتبون عن الأحلام يحصرونها في جانب المعطيات المادية لها، وتطبيقاتها النبوية، ولا تنصيب في دراساتهم تلك للجانب الروحي في الأحلام أى معطياتها وتطبيقاتها الروحية سمواً وارتقاء بها إلى قدسها الأعلى.

وحسبنا في ذلك أن مرجع أكثر الدارسين ما كتبه فرويد، ومن نقل عنه من الدارسين، أوروبيين وعرب..

النفس المؤمنة لها تطوراتها الروحية، وهي دائمة الرجاء والأمل في الله سبحانه وتعالى أن يكرمها بأعلى ما تمنى وتحب وهي الجنة.. وتحقيقاً لهذا فإن من المؤمنين من يرى الرؤية في منامه ثم يصبح ليلمسها حقيقة ماثلة بين عينيه.. والمؤمن (يرى أو يرى له) ..

وذلك الصحابي الذي سأله سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : كيف أصبحت؟ قال أصبحت مؤمناً حقاً.. قال: لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: كائني أرى أهل الجنة يتزاورون في الجنة وأهل النار يعذبون في النار.. قال: عرفت فالزم.. هذه رؤيا.. لكنها رؤيا روحية.. إن قصها على أصحاب التفسير المادي، لا شك كنا سجد لها مجموعة من التفسيرات المتفايرة.. ورؤيا ذلك الصحابي التي نلقها سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين.. وهي أول رؤيا تنفذ وتأخذ حكماً شرعياً.. وبعض العلماء فرّق بين (الحلم) و(الرؤيا) ..

ويقال إن الحلم من الشيطان والرؤيا من الرحمن.. على كل حال: نأمل أن نجد من أصحاب التخصص أن يحدثونا عن هذا الجانب الروحي مما يحدث للمرء في منامه، سواء أكان (حلماً) .. أم كان (رؤياً) ..



دائرة معارف القرن العشرين

تأليف العلامة محمد فريد وجدي

رحلة في المكتبة



محمد فريد وجدي

نشأ محمد فريد وجدي نشأة عصامية في تعلمه، حيث ودّع المدرسة التحضيرية ليتلقى علوم العصر بمفرده، وكانت اللغة الفرنسية قد دانت له قراءة وكتابة، فجعلها نافذته إلى الاطلاع على العلوم الحديثه، ووفقه الله سبحانه وتعالى إلى دوائر المعارف العالمية التي ترجمت إليها، فكانت مادة كبرى لتحصيله، وقد وافته بكل ما يطلب في ميادين العلوم المختلفة مما لم يوجد له نظير في المؤلفات العربية، وليعلم القارئ أن ذلك كان في نهاية القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين، حين لم تكن لدينا كليات جامعية تصدر مؤلفات عن العلوم المعاصرة، ولم يكن لدينا أساتذة يشرحون مسائل الطبيعة والفلسفة وعلوم التربية والاقتصاد والسياسة، بل كانت المطبعة لا تصدر غير كتب التراث وما يدور حوله من مقتبسات وتعليقات، وقد وجد من المترجمين أمثال محمد مسعود وأحمد فتحي زغلول، ولكن عملهما في هذا النطاق لم يتجاوز الفصول الاجتماعية والسياسية وحدها، كما انتشرت مترجمات القصص الأوربية في الصحف على نحو سيء الاختيار في أكثره، إذ كان المراد تسلية القارئ لا إمتاعه بضرب من الفن الأدبي يريه كيف تُشرّح العواطف، وتوصف الأحاسيس وتكشف السرائر الدفينة للشخصيات مع شرح الملابس والأسباب.

في بني وطنه، وقال في نفسه إذا كان الله عز وجل قد رزقني القدرة على شراء الدوائر العلمية الأدبية ثم على قراءتها واستيعابها، والعمل على تلخيصها في هذا الكم الهائل من الأوراق فلماذا لا أتقدم بها للقراء ليجدوا فيها ما أجد من ألوان المعرفة الغائبة، والدراسة القاصية عن متناول أيديهم، ومع أنه كان مشغولا بأبحاثه الكثيرة الخاصة بتوضيح مقاصد الإسلام، ورد

لذلك رأى فريد وجدي نفسه مضطرا إلى استذكار معلومات الدوائر العلمية المهمة وكأنه يستعد إلى أداء امتحان فيما يُحصّل، وكانت طريقته أن يلخص هذه المعلومات في جزاءات مختلفة مع تفرع علومها، واختلاف موادها، ليرجع إليها موجزة ملخصة بعد أن قرأها في أمهاتها مسهبة، ونظر فوجد لديه من هذه الجزاءات المتناثرة ما يملأ مجلدا ضخما، ففكر



أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

على استهواء الغرائز في قصة خليعة أو ترجمة مريضة لفنان شاذ!.

ثم تقلبت الأيام بالرجل، وخاض بحار الصحافة المانحة بأهوالها وأعبائها، حين أصدر جريدة الدستور على نحو ما أشرنا من قبل، حتى إذا انتهت خاتمة الدستور الى نهايتها المتوقعة، رأى أن ميدان الإصلاح الحقيقي قد اتسع أمامه في ضرورة تأليف دائرة معارف عامة تشمل ما جد بعد عصور الازدهار العربي من تقدم فكري في دنيا العلم والفلسفة والأدب والاكتشافات الحديثة، وأن ما سبق أن نشره في مجلد (كنز العلوم واللغة) هو بذرة ضئيلة لم يتسن لها أن تنمو وتزهر وتورق، وعليه أن يعجل نعاها باصدار موسوعة شافية وافية يسميها (دائرة معارف القرن العشرين) وهو عمل خارق لا يكاد ينضج به فرد واحد، ولكن الإرادة القوية، والعزيمة الجبارة، هونت كل صعب، فخلع عنه أوهام التردد، واندفع الى المحيط الزاخر عابراً أمواجه العلمية المتلاطمة مدى ثمانى سنوات متصلة حتى أخرج للناس دائرة معارف راقية في عشر مجلدات وفي ما يقرب من تسعة آلاف من الصفحات، لم يخل منها حرف واحد من فائدة محققة.

وقد تم ذلك ما بين سنة ١٩١٠، وسنة ١٩١٨م، فصدرت الموسوعة الحافلة، ولعل مقدمة الجزء الأول منها تكفى لإيضاح منهجها الرائد، حيث قال الأستاذ محمد فريد وجدى[١]، بعد حمد الله والصلاة على نبيه: «فقد وضعنا كتابنا (كنز العلوم واللغة) قبل خمس سنوات، وكان غرضنا الأول منه، أن نحصر معلومات البشر كلها في دائرة واحدة، ليلم بها المطالع إلماً جملياً فيستفيد منها لعقله وروحه وجسده قدر ما تسمح به الحال، فجمعنا بين اللغة والعلوم النقلية والعقلية والطبيعية على اختلاف أصولها، وفروعها في مجال واحد، مرتبة ترتيب القاموس لتسهيل مراجعتها على الطالب، وقد لقي عملنا هذا غاية ما يتاح لملكه من

الشبهات الظالمة التي الصقت به، فقد كان بجانب ذلك يرى من حق أبناء أمته عليه أن يصدر لهم ما جمعه من هذه الدوائر في معجم علمي سماه (كنز العلوم واللغة) وقد انتهى من طبعه سنة ١٩٠٥م ولم يرد جوار ما نخر به من مسائل العلوم المعاصرة أن يخليه مما يدل على الكمال العقلي والإبداع العلمي مقتبساً من أقوال الأساطين الكبار ما يدل على طموحهم الإنساني الرفيع، كما راعى الحالة المتواضعة للعلم في مصر، فضم الى هذا الكنز ما كان القارئ مفتقراً إليه من العلوم الطبية والصحية والفوائد المنزلية وقال عنه في صدر المقدمة إنه: «دائرة معارف عامة تحتوى على فصيح اللغة العربية، وخلاصات العلوم العقلية والنقلية والطبيعية والتاريخية والعمرانية، وتراجم المشاهير، وفيها من الفوائد الطبية والعلاجية، والوسائل الحيوية ما يحتاج إليه الإنسان في سائر أحواله المعيشية».

وواضح مما تقدم أن هذا العمل يحسب للرجل في مضمار الإصلاح الاجتماعي قبل أن يحسب له في مضمار البحث العلمي، لأنه رأى حالة القارئ المصري بخاصة والقارئ العربي بعامة مجدية فقيرة مما يساعده على إصلاح عيشه، وتنظيم حياته، وعلاج جسمه في ضوء من العلم الصحيح، فحاول أن يضيء مصباحاً ياتلق في سواد هذا الليل الدامس، وليست الوطنية الصحيحة هي الكتابة في مسائل السياسة وحدها، كما فهم أكثر الناس ويفهمون، ولكن الوطنية الصحيحة هي خدمة الأمة في شتى ميادين الحياة، خدمة نافعة تيسر على المواطن أمور معيشته. وتزهر أقرب السبل الى إحاطة نفسه من شروء الأمراض، وأفات الجهالة، وضيق الأفق العلمي، والذين يكافحون في هذا المضمار أبطال حقيقيون، وهذا ما فهمه الشاب الناهض حين قرأ واستوعب، ثم لخص وأوجز، ثم جمع ونشر، فأقاد الناس فائدة كبرى، لئن حرص

أرسطو بعمودين كما فعلنا في كنز العلوم نأى عليه في صيفحتين، ويدل أن تلخص علم الطبيعة في صحيفة، تلخصه في خمس صفحات ٠٠٠ الى آخر ما جاء في هذه المقدمة الكاشفة!

وإضاعة لما في هذه الدائرة العظيمة من ذخائر علمية بالغة الأهمية، أشير الى مقال لي كتبته في الجزء الأول من كتاب (أهم مائة كتاب في مائة عام) حين طلبت منى إدارة الهلال أن أقوم بتعريف لدائرة المعارف الوجدية باعتبارها إحدى الظواهر العلمية الرائعة في هذا العصر، وقد نشر في المجلد الأول ص ١١٩ وما يليها من الصفحات، وقد قلت فيه:

«إذا كان من المستغرب الآن أن يقوم فرد واحد بتأليف دائرة للمعارف الإنسانية تقع في عشرة أجزاء كبار حيث يوجد المتخصصون في مختلف العلوم والفنون والآداب في كثرة كثرة تتحدث عنها عشرات الكليات والمعاهد والأكاديميات، فليس من المستغرب في مطلع هذا القرن أن ينهض العلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدي وحده بعبء تنوّه به العصبية أولو القوة إذ استشعر حاجة العالم العربي الى موسوعة تجمع معارف العصر، وتطلع ذات اليمين وذات الشمال، فلس فراغا خفيفا في وسائل المعرفة للقارئ العربي، ولو أخذ يتعقب من يستطيع أن يشاركه في تحرير بعض الأبواب، لتعذر عليه أن يخرج جزءاً واحداً من الأجزاء العشرة لوجود أكثر من مبرر للنكوص والتردد، ولكنه اصطحب عزيمة الأبطال من ذوى الهمم النادرة ليقوم وحده بهذا الجهد الجاهد دون ملل، فكان مثله مثل من يعمد الى جبل شاهق يسد أفاق الكون لينسفه نسفاً بجهد الفردى، وليس عجباً أن يفكر هذا التفكير، ولكن العجيب أن ينتقل هذا التفكير من حيز الخيال الى حيز الحقيقة، فلم تمر ثمان من السنوات حتى وجد القارئ العربي بين يديه موسوعة كبرى تجمع شتات المعارف، وقد سبقتها موسوعة للبستاني وولده لم تتم، ولكن موسوعة فريد وجدي كانت نظاماً آخر، إذ تفي بحاجة القارئ العربي المسلم في كل اتجاه يريد، وأعجب ما نعجب له أن يقوم ناقد فيقول إن عمل وجدي غير موضوعي، إذ كان الواجب أن يقوم به المتخصصون لا أن يفرد به وحده حتى يأتى على

الإقبال والتقدير سواء من جانب الأمة، أو من جانب الهيئات الرسمية، فكما تسابق الناس لاقتنائه: أسرعت نظارة المعارف، فاعتمده مجلسها العلمى رسمياً، وتلاه الأزهر العائم بقرره لمكتباته، فكانت هذه الشهادة المزدوجة أحسن مكافأة للمؤلف بعد جهاده الطويل وسهره المتواصل.

ولكننا اليوم وقد آنسنا من وقتنا فراغاً، ذكرنا حاجة الأمة الى دائرة معارف، أغزر مادة وأجمع فوائد، فإن الذى كان يكفيه بالأمس أن يقرأ في مادة من المواد العلمية خلاصة موجزة أصبح لا يقنع إلا ببحث مستفيض، وهو مسوق الى ذلك بعاملين، عامل الشهوة العلمية، وعامل الحاجة الى استكمال أسباب الحياة المدنية، فطلّاب والمعلم والطبيب والكااتب ولصاحب الأسرة حاجات متنوعة من اللغة والمذكرات والإحصاءات والأصول والفوائد يجب كل منهم أن يجدها دون إضاعة للوقت في بحث وتقيب، لأن الوقت أصبح لدينا كما لدى غيرنا من ذهب، ولكن من أين لهم هذا إلا بدائرة علوم مستكملة لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها؟ ذكرنا هذه الحاجة العظمى وكنا في الأربع السنين الماضية دائبين على جمع ما فاتنا جمعه في (كنز العلوم واللغة) فأجمعنا على وضع (دائرة معارف) على أسلوب يناسب الحاجة العصرية، ليكون بإزاء سابقيه كدائرة معارف لارس بجانب قاموسه الصغير، فحولنا أن نتوسع في قسم اللغة توسعاً لا يدع حاجة في نفس، وأن نتبسط في القسم العلمى تبسطاً يبلغ بالطالب غاية ما يرمى إليه، جاعلين نصب أعيننا أن يكون الكتاب جامعاً بين الحاجة العقلية والحاجة المعيشية، فكما يحرص عليه العالم ليسبح منه في نظريات العلوم يحرص عليه الرجل العادى ليلبحث فيه عن مسكنات ألامه، وصحة أهله وعياله، ووجوه السير في أعماله، وأمور دينه وكل ما يحتاج إليه في معاملاته أمام المحاكم والبوليس والبريد، والتلغراف والمجالس الحسبية والأوقاف مما لا سبيل الى الاطلاع عليه سواء.

فبدل أن تقتصر على بعض اللغة، نلم باللغة كلها، فلا ندع لمقتنيه حاجة لسواه، ويدل أن نكتفى من تاريخ

هذا ما قاله داود بركات، ولمس به القارئ حسرة على التبوع المهر، والجهد المضاعف. اهـ

ومرت الأيام، ووجد من النقاد بعد سنوات من تطاولوا الى نقد دائرة المعارف، ومنهم من تنزّه عن الغرض في نقده، ومن حاول أن يكون أستاذاً يوتجّه من لا يستطيع أن يدرك شيئاً من قوله، فضلاً عن نقده، والليالي تلد العجائب، ولنترك هؤلاء الى ناقد أدبي، وكاتب لامع هو الدكتور محمد حسين هيكل صاحب المؤلفات الخالدة في الأدب والتاريخ والسياسة فقد كتب في تحليل الدائرة بحثاً علمياً نشره في جريدة السياسة ثم جمعه في كتابه المعروف بأوقات الفراغ، وقد أثنى عليها بدءاً ثم استشهد ببعض نماذجها فقال: [٢]:

«وما نشك في أن عددا كبيرا من القراء يجد في مراجعة هذا الكتاب فائدة لا غير قليلة، فأنّت إذا رجعت في الكتاب الى كلمة من الكلمات رأيت تفسيرها اللغوي ثم انتقلت في أحيان كثيرة الى بحث طويل ينطوي تحت هذه الكلمة من تاريخ أو فلسفة، خذ مثلا لفظ مصر، لقد كتب المؤلف عنها في مجلده التاسع ٢٢٦ صفحة (من ص ١٥ الى ص ٢٤١)، جمع فيها تاريخ مصر القديم والحديث، وتكلم عن تقسيم البلاد وعن التعليم فيها، وعن قوانينها النظامية، وعن دينها العام... ثم خذ كلمة (إله) تجد بحثها في الجزء الأول من ص ٤٨١ الى ص ٥٦٢، وتجد المؤلف يبدأ الكلام عن الله سبحانه وتعالى، بقوله (العقيدة بوجود الخالق فطرة فطرت عليها النفس الإنسانية، أو هي في مرتبة العلوم الضرورية، التي تحصل للإنسان كثرمة من ثمرات مواهب العقلية، ثم يجيء بكلمات لكبار الفلاسفة عن إثبات وجود الله، وفي هذه الكلمات والبراهين شيء يتمتع به الذهن، وقد ترى في هذه المادة غير البحث في الإله، وأدلة وجوده، فلتات عن العلم والمادة وغيرهما، ثم ينقل المؤلف الى رأي الخالص في المسألة، وعقيدته بالله (عقيدة في درجة المحسوس بلا دليل) وكذلك بحثه في المذهب المادي، والمذهب الروحي، ثم راجع كلمة (موت) في الجزء التاسع تراها قد استغرقت منه ٢٦ صفحة بينها خمس صفحات من رسالة لابن مسكويه في علاج الخوف من الموت، وفيها ثمانى عشر صفحة

الوجه الأكمل، ثم يضرب المثل بدوائر المعارف الغربية التي يعكف على إنتاجها أساتذة البحوث المتخصصة في تحديد صارم لا يعرف الشمول، ومثل هذا الناقد مثل من يأتى إلى طبيب واحد في قرية منعزلة، ليقول له لا تبذل جهداً ما في معالجة عشرات المرضى الذين يتساقطون من حولك، لأنك لا تحسن غير معالجة مرض واحد فحسب، ولك أن تجهل جميع معلوماتك العامة لأننا في زمن التخصص! ولتدع المريض يموت دون إنقاذ!! هذا النوع من النقاد لا يعترف بظروف الزمان والمكان ويدل أن يقول إن جهداً جباراً من جهود المعرفة الإنسانية قام به عالم واحد يجب أن يستقبل بالتقدير والإعجاب، راح يهوّن من قيمة عمل ضخم، لو بدأنا في مثله الآن لانتظرنا عشرات السنوات حتى نظفر بشيء ذي بال، وإنى لأتساءل: لماذا لا نبدأ الآن والزمن غير الزمن، والحال غير الحال؟»

ونستمر في دائرة التعجب لنذكر أن هذا العمل الرائع في حينه لم يقابل بما يجب من التنويه الحافل في صحف يومية تتقاذف بالشتائم الساقطة مله صفحاتها المسنومة، وفي مجلات أسبوعية تقف في أمرها على التطرف والاستهواء، وإذا مكثت أقلام المشغولين بنفوسهم وأحزابهم عن تقدير هذا العمل الضخم فإن الجمهور قد تلقف هذه الموسوعة في إقبال نادر، إذ نفذت طبعتها الأولى سريعة وأعيدت الطبعة الثانية في زمن متعاقب لتجد الذبوع الكبير، ولكن صمت ذوى الأقلام عن الإشادة بهذا الجهد الحافل قد عبّر عنه الأستاذ الكبير داود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام حيث أفرد الافتتاحية الصادرة بتاريخ ١٩٢٥/٤/٣م لتقدير هذا العمل، والثناء على هذه الموسوعة، وقال فيما قال: رجل واحد مفرد، يقوم بعمل جاد يسهر عليه الليالي، لا ليتلألا على صدره نيشان، ولا لتدفع له رتبة أو يقام له حفل تكريم، والمسؤولون مشغولون بكل شيء عن العلم والأدب، لا يعرفون عن المؤلف إلا أنه أديب كاتب، على حين تجد المنافق والدساس والمداخي يقدم على صاحب الدائرة في كل شيء، يقدم عليه بالمال ينصب له انصباباً، وبالمقام يرتفع ويعلو، وبالتقديم الذي لا ينتهى عند حد، أما وجدى فإنه في عزلة، وإنه مجهول.

عما يجب للمسلم بعد الوفاة من جنازة وصلاة ودفن. وأنت كلما رجعت في دائرة المعارف الى شيء من الشؤون الروحية، فانت واجد دائماً بحثاً، كما أنت واجد رأياً خاصاً للمؤلف منته منه الى نتيجة معينة، كذلك كلما رجعت الى شاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب، أو مؤلف من مؤلفيهم في الفقه فانت واجد شيئاً من تاريخ هذا الشاعر أو الكاتب أو الفقيه، وغير قليل من شعره وما كتب، وللمدن والبلاد العربية حظ عظيم من عناية المؤلف فالأندلس وبغداد ومكة المكرمة كانت مواضع بحثه وإن كان لمكة المكرمة من هذه العناية القسط الأوفر، ولكن بغداد لم تحظ منه بكثير من صفحة واحدة.

هذا بعض ما قاله الكاتب الكبير محمد حسين هيكل، ومنه نعرف استيعاب الباحث لكثير مما يعالج من الشؤون كما نعرف أنه يحرص على إبداء رأيه الخاص في كثير مما يتعرض له من المسائل، فليس الرجل جامعاً فحسب، ولكنه ناقد وموجه، وشارح؛ ولعلنا بعد ذلك نرد في حجة واضحة على من يقولون إن الأستاذ غير أزهري النشأة فهو لا يتعمق في البحوث الدينية كما حاول السيد محمد رشيد رضا أن يقرر ذلك في لحظة من لحظات غضبه المتسرع، لأن الدائرة ببحوثها الإسلامية المستفيضة تؤكد رسوخ الأستاذ في الأصول الأولى للتشريع، وقد كتب عن القرآن الكريم والحديث وعلم الكلام والتفسير ما لم يكتبه بعض المتخصصين الذين يكتفون بالمناصب والألقاب، وبأيسر جهد نستطيع أن نستخلص من دائرة المعارف، كتاباً في الفقه الإسلامي وكتاباً في قصص الأنبياء، وكتاباً عن أعلام الإسلام، وكتاباً عن عقائد الإسلام فيما يسمى بعلم الكلام؛ فهل كتب الذين يرمونه بعدم الاطلاع على كتب المتأخرين شيئاً مما كتبه في علم واحد! لقد ذكر الدكتور هيكل أن الأستاذ وجدى كتب في مادة (مصر) ٢٢٦ صفحة، أيدري القارئ كيف جمعت هذه الصفحات، وكيف قرأ المؤلف العلامة عشرات الكتب التاريخية في شتى العصور القديمة والحديثة ليكتب هذا الجزء الرائع من الكتاب، وليقدمه موجزاً خلاصاً من اللجاجة والفضول، وكذلك تضرب المثل باتجاه مبادئ في ميدان البحث الفلسفي، فنذكر

مثلاً ما كتبه عن الفيلسوف الإغريقي «إفلاطون» في الجزء الأول فقد قدم في عدة صفحات متوالية ما يكفي القارئ خوض ركاب هائل مما كتب عن إفلاطون غامضاً مبهماً لا ينتهي الى وضوح؛ أما كفاه جدارة وألفية أنه جعل من آراء الفيلسوف الغامضة متسعة للإبانة الشافية، وأنه أنزل فلسفته من عليائها لتخاطب قارئ الدائرة على اختلاف مستوياتهم العقلية.

وأرجع الى النقد الصريح الذي وجهه الدكتور محمد حسين هيكل الى الدائرة حين أكد أن الدائرة العلمية الصحيحة لا يقوم بها رجل واحد مهما كانت كفايته، وإنما الأصل أن يعهد لجماعة من الباحثين بكتابة المواد المختلفة، كل في ميدان تخصصه، وقد عرضت الى هذا النقد في صدر المقال، وأوضح كيف أن الأستاذ رأى الميدان خالياً فاقتحمه وحده، وبذل فيه جهد المستشهد، وما كان له أن يلام.

وقد اتجه نقد الدائرة الى أمور ذكرتها في مقالتي عنها بكتاب (أهم مائة كتاب في مائة عام) ولا أترك هذا المجال دون أن أشير الى خلاصة ما قيل منقولا عما كتبت.

لقد ازدهمت الدائرة بمختلف المواد العلمية، فكان من المشاهد أن الكاتب يستوفى الكلام مبسوطاً في مادة، وموجزاً في مادة أخرى، وفق ما لديه من المراجع القريبة من متناوله، وهذا النقد ليس خاصاً به وحده، فكل باحث يكتب موضوعه وفق ما يتيسر له من المصادر، وفي دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها أعلام متخصصون من أساتذة الاستشراق، يرى القارئ هذا التردد بين الإيجاز والإطناب مع أن الباحثين مختلفون ويكتون لجاناً ممتدة الى شتى الدول من فرنسية وألمانية وهولندية وإنجليزية وأسيانية وغيرها، ولا تعيب الباحث أن يفيض في بحث درسها حق دراستها وأصبحت لديه ذات منادح واسعة الأنحاء، كمسائل المادة والروح والالهوية والقرآن الكريم والوحى والنبوة ومذاهب التطور والارتقاء، والأسطورة الدرونية، والتوهم الغنطاسي، فأكثر هذه المباحث تكاد تكون فصولاً مستقلة يكتبها باحث متخصص، لأن العلامة فريد وجدى قد اهتم بها منذ أخذ يقرأ ويفهم ويكتب حتى صارت جزءاً من مقوماته

بالإسلام، ولم يرتفعوا الى مستوى النظر المجرد، مما اضطر القائلين على نشر هذه الدائرة أن يشفعوا ببعض المواد بتعليقات كبار العلماء في مصر، ومن هؤلاء الأستاذ محمد فريد وجدي نفسه إذ أبلى بلاء حسناً في كشف كثير من أخطاء هذه الدائرة الأوروبية في الصحف والمجلات عقب صدور أجزاءها، وقد قال بصدد بعض هذه الأخطاء «بقيت لنا كلمة نوجهها لحضرات الأفاضل الذين يترجمون هذه الدائرة، هي أنها تشمل على الكثير من التهم الباطلة على الإسلام ورسوله، وهم يعلمون أنه لا يدفع بعض هؤلاء المستشرقين الى التورط في هذه الخطة المريبة الا ما يحملونه في صدورهم من اليغضاء لهذا الدين». وما قاله الأستاذ وجدي قاله الأستاذ محمد كرد علي وأحمد زكي باشا ومحمد أحمد عرفه وعباس محمود العقاد ويوسف النجوى.

ولازلت أذكر مما قاله الأستاذ محمد كرد علي «إن الدائرة قد احتفلت بترجمة الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي، وتحدثت عنه مقدرة لا لشيء إلا لنزعت الإلحادية مع أنها لم تذكر شيئاً عن أحمد شوقي ومحمود سامي البارودي وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم، وهم من أعلام الشعر، وهذا المقال وحده يغني عن كل تعليق» [٤].

هذا وقد كنت أرجو من الأستاذ وجدي أن يفرّد ما كتبه بالدائرة من فصول إسلامية ممتازة في كتب مستقلة، لتكون أيسر تناولاً، وأسهل تداولاً بين أيدي القارئ، حيث لا يستطيع أكثرهم أن يجمعوا المجلدات العشرة في مكاتيبهم الخاصة، لأن هذه البحوث الجيدة باستقلالها الفكري، وإقناعها المنطقي جديرة بأن تكون مصدر إشعاع منير.

الهوامش :

(١) مقدمة الجزء الأول من الموسوعة ص (٣) الطبعة الثانية.

(٢) في أوقات الفراغ ص ١٦٣ ، ط ثالثة.

(٣) مجلة نور الاسلام ، ربيع الأول ١٣٥٢هـ ، ص ٢١٢.

(٤) الثقافة عد ١٨ سنة ١٩٣٩م.

الفكرية، وإذا كانت معاجم أوروبا هي مرجعه المباشر في قضايا العلم الحديث، فإن المؤلفات المعاصرة في اللغة العربية للأعلام الكبار من أمثال محمد عبده وعلى مبارك ورجال البعثات الأوروبية من لدن محمد علي الى عهد المؤلف كانت موضع التقائه العقلي، حيث ترددت أسماء محمد حسين الرشيدى، ومحمود عمر الباجورى، ومحمد فهمى حسين ومحمد كامل الكفراوي، وعيسى حمدي، ومحمود صدقي، ومحمد لبيب البتانوني، وأحمد عيسى، وعلى مراد الكيماوى، وحسين الهراوي حتى جاز للدكتور محمد طه الحاجرى أن يقول إن هذه الأسماء المعاصرة تبين أن وجدي لم ينفرد بتأليف الدائرة وحده، والأشبه أن يقال إنه انفرد بوضعها، وهذا ما أخالف فيه الدكتور محمد طه الحاجرى لأن النقل عن هؤلاء المعاصرين في كتبهم الذاتية، لا يختلف عن النقل عن القدماء من أمثال الغزالي والرازى والفارابي وابن سينا وابن مسكويه وابن حزم، فكما رجع العلامة فريد وجدي الى المراجع القديمة رجع الى المراجع الحديثة سواء بسواء، وهو هو الناقل، والمخلص والمستوعب والمناقش، ولو أنه كلف بعض معاصريه بكتابة بعض المواد، لقلنا إنه لم ينفرد بالبحث، ولكنه طالع ونقب واختار ثم لخص ما رآه أهلاً للتلخيص، فكيف يقال إنه لم ينفرد لأنه رجع الى المعاصرين! ولعل مما يثبّت جدارة هذه الموسوعة أن الذين انتقدوها في فصول مسهبة، قد جعلوها من مصادرهم العلمية كالـدكتور محمد حسين هيكل حيث كانت من مراجعه الموثوقة فيما ألفه من تاريخ العصر الاسلامي الأول؛ وغير الدكتور هيكل من زعماء الفكر الحديث كثير.

وقد ظلت الحاجة ماسة الى دائرة معارف القرن العشرين، فطُبعت للمرة الثالثة سنة ١٩٧١م بدار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، وقد ظهرت في الثلاثينيات وما بعدها من هذا القرن ترجمة عربية لدائرة المعارف الإسلامية التي كتبها أساتذة الاستشراق، قام بها نخبة من شباب كلية الآداب المصرية، فلم تستطع الموسوعة الأوروبية أن تحجب بريق الموسوعة الوجدية، إذ أن أكثر من كتبوا بها من المستشرقين، قد صدروا عن أوهامهم الخاصة

نفحات من حطين

يراوده أدنى شك في أن وراء هذه الرعاية الربانية حكمة بالغة لإرادة غالبة، تهيب الأسباب لتتخذ به الإسلام من الأخطار التي تهدد وجوده.. لقد ورث تركة الفاطميين، الذين دمروا بانحرافاتهم الدخيلة، وترفعهم المفسد، وطغيانهم الرهيب، قدرة الملايين من سكان مصر على مقاومة الغارات الصليبية المتتالية، فكان عليه أن يعيد تنظيمها، ويرد إليها الثقة بنفسها والعدالة التي كادت تجرد من آثارها.. وكذلك كان عليه - بعد مصرع عمه أسد الدين وأستاذة نور الدين - أن ينهض بالعبء الضخم في توحيد المناطق الإسلامية، التي جعلتها فرقة أمرائها وتشاحنهم على الصفائر فريسة مغرية لمطامع أعداد الإسلام، يحرشون بينهم، ويضربون بعضهم ببعض، ويعينون على بعض، ليقضوا في نهاية المطاف عليهم جميعاً.. ولكم لقي في معالجة هذه الأوضاع من مأس ومفاجآت توشك أن تطفئ كل أمل بالخلاص، لولا رحمة الله التي كانت تتجلى في أحلك لحظات الخطر فتبديد الظلام، وتفجر النور، وتسوقه إلى النجاح من حيث لا يحتسب ولا يتوقع..

لقد استعان خصوم الوحدة الإسلامية على صلاح الدين بكل الوسائل.. حتى الصليبيين فحالفوهم عليه، وحتى الفداوية من الباطنيين، فتوسلوا بهم لاغتياله مقابل الأموال المغرية.. ولو أتيح له أن ينسى كل ما عرض له من تلك الأموال لظل هذا الجرح الذي في خده الأيمن يذكره تلك الحادثة الغريبة التي واجهته أثناء حصاره حلبا قبل اثنتي عشرة سنة، يوم هاجمه أحد هؤلاء الباطنيين

«ليظمن قلب السيد الوالد.. فإن كل شيء على ما يرام بفضل الله تعالى»، ووافقت عبارة «الأفضل» رضى عميق الأثر في نفس والده، فليس بالأمر السير أن يكون كل شيء على ما يرام.. وأما أن يحدث ذلك بفضل الله فهذا مما يمتلىء به قلبه يقينا وطمأنينة، ويكاد يلმسه في تحركاته جميعاً.

إنه ليستحضر الآن - وهو يسيطر بطلائع جيوشه على سهول طبرية وبحيرتها بعد انتصاره الباهر على حاميتها من الإفرنج - سلسلة الأحداث العجيبة التي واجهها في جهاده الدائب، منذ أوفده بطل الإسلام العظيم، الشهيد نور الدين محمود زنكي، مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر قبل عشرين سنة، للمساعدة في رد جيوش الغزاة عنها.. حتى هذه الساعة التي بات فيها المسؤول الوحيد عن قيادة المسيرة الإسلامية لحماية البقية الباقية خارج قبضة الصليبيين من أرض الإسلام، ولتجمع الطاقات الإسلامية الضائعة من أجل استرداد الأجزاء الغالية التي اغتصبها هؤلاء الغزاة، فاقاموا إماراتهم الخطرة من أقصى الموصل حتى صفاق النيل.

أجل.. إنه ليستحضر أحداث حياته أثناء هذه الغمرة من السنين، ويتفكر في ما أحاطته به عناية الله من الرعاية الخارقة، التي أنقذته من عشرات المؤامرات، وذلت له مئات العقبات، فلا

سميحة الصعبي

- دمشق -

والأحبة .. وحين عاوده بعض الوعي في اللحظات التي توهموها الأخيرة .. كان كل ما تحرك به لسانه دعاءه الحار إلى الله أن يستبقيه حتى يثأر لرسوله من أرياط ويسترد للمسلمين قبلتهم الأولى .

واستجاب الله ضراعة عبده، ورد إليه عافيته كأنم ما تكون، فراح يبيت رسله في كل اتجاه يستنفر المجاهدين لموافاته الى هنا، حيث يتوقع الملحمة الحاسمة .

وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه صلاح الدين في طبرية، كان شديد القلق كثير التطلع إلى أنباء قائده حسام الدين لؤلؤ الذي وجهه على رأس قوة كبيرة لمنازلة مراكب المجرم أرياط، التي جهزها خصيصا لإيذاء الحجاج الوافدين إلى بيت الله الحرام عن طريق البحر الأحمر . وبوجه أخص جيوش ذلك الطاغية عن الوصول إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وكان على صلاح الدين أن يحافظ على مواقعه بانتظار حشوده . وفي الوقت نفسه أن يحكم الحصار على السبل الموصلة إلى الكرك . مقر ذلك الغادر، ليحول بينه وبين جيشه الزاحف الى المدينة، فيقطع عنه النجادات والإمداد والأنباء . إلا أن قلقه لم يكن مستمرا . لأنه على ثقة من كفاية قائده، وأشد ما يكون ثقة برحمة الله التي لم تتخل عنه قط، وإن تتخلي عنه أبدا .. ولكم كان سروره كبيرا عندما جاءه صاحب الحمام المدرب يحمل إليه رسالة قائده الأرمني البطل، وفيها بشرى النصر الذي كاد يكون من الخوارق .

إنه يخبره باستيلائه على مراكب البرنس أرياط جميعها بما فيها ومن فيها .. وبالقضاء على حملته

وهو بين أركان حربه وأبطال حرسه، فأهوى بسكينه على رأسه يطعنه دراكما، ولما حالت الخوذة دون عمل السكين ولم تتل منه سوى ذلك الجرح، دفع برأسه إلى الأرض محاولا ذبحه على مشهد من أولئك الذين أخذتهم دهشة المفاجأة ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن يحفظه فاستردوا وعيهم ومزقوا ذلك الغادر .. وما كادوا ينتهون منه حتى انقض على صلاح الدين رفيق آخر له، يريد تحقيق ما فات الأول، ولكنه لقي مصرعه أيضا .. وهكذا حدث لثلاثهم ورباعهم حتى قضى على القتلة جميعهم بفضل الله، ولم يظفروا منه بغير ذلك الجرح، الذي يرده أبدا الى تذكر فضل الله عليه .

إنه ليفكر في تلك الأحداث وعواقبها، وما قد حقق الله على يده أخيراً من توحيد تلك القرى المتدابرة بالحكمة والحزم والتوفيق غير العادي، فيزداد يقينا بأن الله لا يؤخر منيته إلا ليقضى به أمرا عظيما .. وهذا ما يرفع طاقته المعنوية الى مستواها الأسمي، ويضاعف من توجهه الروحي، حتى لا يرى سعادة إلا في طاعة الله والدعوة إليه، والاكباب على كتابه وحديث نبيه، حتى بين الصنفين وهو يقارع العدو، ويقبل معانقة الموت!! .. وما هو ذا الآن .. إنما قدم بهذه الطلائع للوفاء بنذر قطعه على نفسه لله، أن يهب كل ما بقي من حياته لقتال أعداء الإسلام، وإنقاذ المسلمين، ولا سيما حجاجهم، من عدوان الصليبيين، وعلى رأسهم ذلك الأحمق الذي لم يف حتى الساعة بعهد، ولم يكف عن غر .. لقد استيقظت أمراضه كلها أثناء وجوده في حران، وبلغت من الشدة حداً يئس من شفائه الأطباء

خلافاتهم المزمته، وتعاهدوا على التعاون حتى سحق آخر مسلم في جيوش صلاح الدين.

وانطلقوا بخيلهم وخيلائهم يحملون بمذبحة كالتن نغفوها في أكناف المسجد الأقصى، يوم قتلوا سبعين ألفاً من الشيوخ والنساء والأطفال اللاجئين إليه... حتى واجهوا عساكر المسلمين في السهول المجاورة لقرية حطين. ولم يمهلهم صلاح الدين ريثما يستردون أنفاسهم، بل سرعان ما أصدر أمره بمصادمتهم فور ظهورهم.

وصدق المسلمون الحملة، وصدق الفرنجة الصدمة، حتى فرق الليل بين الفريقين، فأنصرف كل منهما لتنظيم صفوفه، واتخاذ الأهبة للحملة القادمة، ولما أقبل صباح السبت التالي استؤنفت المعركة، ثم بلغت أشدها في ميعة الضحى حيث ارتفع بلاء العدو الى منتهاه، وذلك بما ألهم الله القيادة الإسلامية من حسن الاختيار لموضعها المناسب، فجعلت ظهور المجاهدين إلى الشرق، فما أن أخذت الشمس إلى الأعلى حتى شرعت تقذف بسهامها وسعيرها إلى أعين العدو وأجسامهم، فاجتمع عليهم وهج الضوء ووقدة الشعاع ووقع النبال وتأنج الظمأ، ثم حرارة السلاح الذي أمسى أحد أعبائهم الكبرى.

ثم جاء أمر السلطان الحكيم لقاذفي اللهب، فراحوا يرسلون كرات النفط المشتعل على صفوفهم، فإذا العشب اليابس تحت أقدامهم يستحيل جميعاً متصلاً... ومن ثم يأتي تحرك الهجوم الإسلامي الساحق، مصحوباً بعواصف التكبير المربع... وما هي إلا سويعات حتى أنزل الله النصر على أوليائه، وأحل الهزيمة الكاملة بأعدائه، فانهاروا كالبنين الضخم ضربه الزلزال فاحاله أنقاضاً.

وأسفرت الموقعة عن ثلاثين ألف قتيل من العدو، ومثلهم من الأسرى، وقد سوى القدر بين ملوكهم وسوقتهم، فقيدوا جميعهم كالأنعام المذلة، لم يفلت منهم إلا قومص طرابلس، الذي لم يكد يشاهد

البرية في مشارف تيماء بأيسر الجهود! وما هي سوى أيام قلائل حتى وصلتته تفاصيل ما أجملت الرسالة، وفيها ذلك النبأ المعجب المطرب، الذي يقص على صلاح الدين ما استعمله قائداه من المكيدة الناجحة، بشرائه ولاء المرتدين من العرب، الذين كان جل اعتماد أرباط عليهم... الأمر الذي أدى إلى بعثرة فلوله وفرارهم، ثم استسلامهم جميعاً إليه بفضل الله.

ويخر المجاهد العظيم ساجداً لربه، ثم لم يكد يرفع رأسه حتى جاءت الأنباء بوصول سرايا المجاهدين الذين لم يكد ينقطع سيلهم بعد ذلك... ووجد في تلاحق هذه المبشرات آيات بينات على رضوان الله وأخذه بناصر المسلمين، بعد أن عرفوا طريقهم الصحيح فتأبوا إليه تائبين مستغفرين. وأصدر السلطان أمره إلى صفته وكتابه القاضي الفاضل ليرفع خلاصة واقعة عن الأحداث إلى مقام أمير المؤمنين في بغداد، كي يكون على بينة من أحوال رعيته وجيوشه وما من الله عليهم، جرياً على عادته من تقديم الطاعة والاحترام المستمرين الى ذلك الرمز الأعلى لوحدة المسلمين كلما وجد لذلك مناسبة.

ورأى أن يبدأ حملته الكبرى بضرب حصون الكرك، تلك الحصون الأشد خطراً على المسلمين. ورتب جيوشه، وعين لكل قائد مهمته ومجاله، ووزع فرق المتجنقات على المواطن اللازمة... ولكنه ما أن هم بتنفيذ مخططة حتى وافته الأخبار بتحشد القوى الصليبية كلها لموازرة البرنس الغدار. حتى قومص طرابلس، الذي كان أرغبهم عن قتال صلاح الدين، لم يسعه خلاف ملوكهم الآخرين، فمضى بجيشه صوب الكرك مكرها بتأثير أرباط وتحدياته المثيرة. وهكذا استتم زحف الستين ألفاً من صليبي عكا والناصره وصور وجبيل والقدس وطرابلس وغيرها، وعلى رأس كل فريق أميره أو ملكه... وقد تخلوا عن

العهد كان مسئولاً).

ومما لبث السلطان أن نهض الى القسم الداخلي من السراشق متوكئاً على سيفه، وحيء إليه بالغادر الناكث، فأنثب في وجهه الكالغ عيذين تموجان بمثل الشرر، وفي صرامة مرعبة أمر الترجمان أن يبلغه حكمه الحاسم: إن جرائمك فوق العفو، وتطاولك على مقام رسول الله مهدر لدمك، ومع ذلك فإن لك فرصة أخيرة هي الإسلام.

وأطرق المجرم كأنه يقارن بين العرضين، ثم تكلم في مثل الهمس: ولكن لجوئي الى الإسلام سيجردني من كل كرامة في أعين قومي.

ورد صلاح الدين: أنا واثق أن غادرا مثلك لا يتسع عقله ولا قلبه، ولكني أردت تبرئة ذمتي أمام الله... والآن... قل لي: هل تذكر آخر جنائياتك على المسلمين؟! هل تذكر موقفك من تلك القافلة الآمنة، إذ كنت تقتل نساءها ورجالها وأنت تصرخ فيهم: أين محمدم؟ أدعوه لينصركم!! أفرايت كيف أنتصر الله لرسوله، وقبض لي وفاء نذري بالثأر من عدوه!! ويحركه خاطفة تخرج رأس أرباط، ثم حمل إلى رفاقه، الذين سرت الرعدة في فرائصهم خشية على رؤوسهم. ولكن صلاح الدين لم يلبث أن عاد إليهم ليبدد خوفهم بهذه الكلمة المطمئنة: إن هذا تعرض لسب رسول الله، وتحدى دين الله، فنال جزاءه العادل.

وكتب السلطان إلى مقام الخلافة بنبا النصر العظيم، الذي سرعان ما انتشر ذكره في كل بقعة من ديار الإسلام، فانتعشت القلوب، وتناقت المساجد بصلوات الشكر. ثم جاءت الزخوف تترى باتجاه الأرض المباركة، وعلى رأسهم الصفوة المختارة من كبار العلماء والصالحين، تريد أن تستدرك ما فاتها من شرف المشاركة في حطين، بالإسهام في تحرير القبلة الأولى من مخالب المعتدين الفاصبين!!

بوادر المعركة حتى توقع وخيم العاقبة فانسحب جريحا مع جنوده طلبا للسلامة، واستولى الذعر على قلوب القوم، حتى رأى الفلاح المسلم يقود العشرات منهم بحبل خيمة، وكأنهم حزمة من الدمي يجرها طفل!.

وأقبل ذلك المساء الرائع يغمر سهول حطين بنفحات التسييم المنعش، في أعقاب يوم ملأه الحر والكر، وحيء بملوك العدو وأمرائه مكبلين بالأغلال الى سراشق البطل المؤمن، وقد حطم العطش والرعب وأشباح التوقعات الرهيبة نفوسهم ولكن روح الإسلام المهيمن على قلب بطله لم يسمح له بإيقائهم طويلا على هذه الحال، فإذا هو يأمر بفك قيودهم، ثم يبالغ في إكرامهم فيفسح لهم المقام، حتى يأخذ كل منهم منزلته اللائقة عن يمينه ويساره... ويقبل الساقى على السلطان بالجلاب المنجوج فيأخذ منه حاجته، ثم يناوله كبير ملوكهم «كي» فيشرب، حتى إذا ارتوى ناول الوعاء أرباط الذي أكب عليه بلهفة البعير المهيموم. غير أن ذلك لم يرض صلاح الدين فقال للملك الأسير بلهجة لم تخل من الجفاء: إنما ناولتك ولم أذن لك أن تسقي هذا الذي لا عهد له عندي.

والتفت إلى أرباط يقول: كم حلفت وحنثت، وعاهدت ونكثت، وركبت رأسك حتى أكبك الله على منخريك!! وحاول أرباط أن يدافع عن نفسه بما حسبه مقنعا فتمتم في جزع لم يستطع كتمانته: إنها السياسة... وهذا سبيل كل حاكم تهمة مصلحته.

وانقض القائد الإسلامي غضبا من ذلك التعليل العليل، ثم أمر الترجمان أن يقول له: أما نحن المسلمين فلا نعرف هذه الحريائية، وإنما نحافظ على عهودنا حفاظنا على أعراضنا، تحقيقا لأمر الله الذي يقول لنا في كتابه الحكيم (وأوفوا بالعهد... إن

أ
ل
ف
ب
ا
ع

دخلت المدرسة أول مرة فرحة نشطة، وجدت نفسها في مكان واسع كبير - ليس مثل دارهم الضيقة، أخذت تجري بحرية وانطلاق - وهي تصعد السلم مع بقية الأطفال ناحية فصل «أولى - أول» المدرسة حاحة كبيرة خالص وحلوة خالص. دخلت المعلمة وأغلقت الباب وقفت بجوار ترابيزة مكسورة الأرجل .. يوجد خلف المعلمة مساحة سوداء كبيرة معلقة وسط الحائط، اسمها «السبورة».

بدأت المعلمة تتكلم كلاماً، لم تعرف له معنى واضحاً .. أخذت تتحدث عن التعليم .. واللغة .. والحروف، هناك أمر يشغلها، هو أن المعلمة تبدو أصغر من أمها وأجمل: شعرها مسترسل جميل، وجهها أبيض رائق، عيونها هادئة، قدما أقرب إلى الامتلاء، ليس جافاً مثل جسد أمها، تلبس فستاناً مثل خضرة الفجل الورور.

تعجبت لماذا ليست أمها عطيات في حلاوة «أبلة» أحلام؟

تأملت المعلمة تلاميذها الصغار، وتوقفت نظراتها عند نادية .. هذه الطفلة الوديعه عمرها ست سنوات، لأن ملامحها تشع طهارة وبراءة، تعرف جيداً - لأنها من القرية ذاتها - إنها ابنة الرجل الفقير - على علوية - العامل الزراعي، لكن وجهها فيه شيء، يجذبك إليه، ويحبك فيه.

سوف تعرف في المستقبل كل شيء عن الطفلة الوديعه وعن كل أطفال الفصل الخمسة والأربعين.



أ.د. طه وادي

- مصر -

هناك يتجمع الشغيلة من بلاد بعيدة، يعملون في البناء... أو تحميل العربات، أو تقريغ ما بها في مخازن التجار... أو تنظيف بعض المباني الحكومية... أو قصور الأغنياء... أو رصف الطرق (أكل العيش - يا ولد يا علي - يحب الخفية)، وربنا يقول: اسع يا عبدي وأنا أسعى معك.

اكتشف - بعد التجربة - أن العمل في البندر أكثر والرزق أوسع، وأن أهل البندر فيهم خير كثير.

صحيح... خير الناس في المدن، وشهرهم في القرى، عندما يكون هائماً في الطريق يجد من يعطيه شيئاً لله... خمسة قروش أو عشرة، وأحياناً ربع جنيه، بل ذات مرة أعطته سيدة كريمة جنيهاً كاملاً، وفي بعض الأوقات يسمع أن بعض المحسنين يعملون «عقيقة»... أو ليلة لأهل الله - خاصة في شهر رمضان.

حين ياكل الطعام الذي رزقه الله به، فإنه لا ينسى أسرته، لذلك يجلس القرفصاء، ويضع منديله المحلاوي في حجره، فياكل لقمة، ويضع أخرى في المنديل، إلى أن يزحم الجوف الجائع، ويمتلئ المنديل الفارغ... بعد ذلك يخرج شاكرًا وبه، ماسحاً شاربه بالدهن المتعلق في يده اليمنى.

في اللحظة التي كانت ترد فيها نادياً ابتنته الكبرى - العزيرة جداً عليه - وراء الملطمة - ألف... يا... تاء... جلس (على علية) قلقاً على رصيف المحطة في انتظار أي عمل، لكن العمل كان عزيزاً في هذا اليوم.

في أول النهار جاء مقاول وصاح فيهم، وهو قاعد في مقدمة عربة نصف نقل: توجد طلبية خرسانة في عمارة بجوار المدرسة الصناعية، مطلوب عشرة

أفاقت نادياً على صوت المعلمة بعد أن كتبت بعض الحروف بالطباشير الأبيض على السبورة السوداء: أول درس، وأهم درس يا أطفال، هو أن نعرف كتابة الحروف ومعناها، فمن يعرف الأبجدية... يعرف كل شيء... وأي شيء.

لم تكن نادياً قادرة على متابعة أفكار أبله أحلام، لأنها كانت سعيدة بالتجربة الجديدة... أول مرة تأتي إلى المدرسة... وترى الأبله... وأول يوم لا تذهب فيه مع أمها، لشراء الخضروات وغسلها في التربة وبيعها أمام الدار.

كانت حزينة من أجل أبيها، الذي يعمل طوال النهار، ولا يعود إلا في الليل. ومن أجل أمها، التي تتبع الفجل والجرجير والكراث والبصل، ولا تقدر على بيع الفاكهة مثل البلح والتين والجوافة والبرتقال، أو على الأقل تبيع أصنافاً أفضل من الضرر، مثل الطماطم والخيار والبطاطس والكرنب.

أعادتها إلى الفصل كلمات المعلمة، وهي تشير بمسطرة طويلة ناحية السبورة:

ألف... باء... تاء... ثاء...

الأطفال يرددون خلفها قرحين: ألف... باء... تاء... ثاء...

لم تكن تعرف معنى هذه الحروف، لكنها شعرت بلذة، وهي تردد الحروف مع زملائها.

قبل أن تذهب نادياً إلى المدرسة خرج أبوها مع الفجر، والدنيا مازالت مظلمة، الشغل صار قليلاً في القرية، والرزق أصبح شحيحاً، ضاقت البلدة بمن حملت.

نصحه أحد عمال الترحيلة بأن يذهب مثله إلى البندر، ويجلس أمام باب العفش عند محطة القطار،

أنتم رجال الحمى، طالت أياديكم تأخمن بإيد العيان، اللي احتى فيكم

أيقظه من شطحاته عامل فقير مثله أخبره بفكرة،
لم تخطر له من قبل. إذا كان لابد أن تحصل على
فلوس اليوم فتعال معى الى مستشفى الأمل. ماذا
تفعل؟ هات وخذ، لا أفهم! هات دماً وخذ فلوساً، مشى
بجوار زميله يجر أعضائه المجردة، حتى وصلا الى
مستشفى ضخمة فخمة أشبه بـ(لوكاندة) عظيمة، ترقد
على شط النيل مباشرة اعترضهما بعض رجال الأمن -
الذين يليسون ملابس رزقاء وسوداء صعلوك .. لا
تدخل من باب الملوك.

كل معلوماته عن المستشفيات مستمدة من
الوحدة الصحية في القرية .. والمستشفى العام في
المدينة، يستحيل أن تكون تلك البناية العظيمة
مستشفى مثل الأماكن التي زارها، وأخذ منها شراب
الصدید، أو شرية الدود، أو حبوب السلفا .. له أو
لزوجته أو أحد أبنائه. ظن في البداية أن الحكومة
أرادت أن تصلح الخدمات الطبية للناس - أبناء الشعب
الغلبة، لكن الزميل صاح فيه: فق .. واصح يا بلدينا،
هذه المستشفى لا علاقة لها بالحكومة أو الشعب
مشروع استثمارى يا غشيم، لم يحاول أن يفهم .. أو
يتكلم، فهو لا يعرف شيئاً عن الحكومة أو الشعب، كل
ما يهيمه أن يحصل على فلوس، حتى يطعم الأفواه
الجائعة التي تنتظر عودته، كما تنتظر الأرض الشراقي
مياه الساقية. أسلم ذراعه للتمرجى، أحس أن قلبه
ينخلع مع لتر الدم، الذى سحب من نراعه، ضاع
إحساسه بالفقد والضعف، حين أعطوه زجاجة لبن
وعشرين جنيها .. ورقة العشرين جنيها .. ورقة جميلة
خضراء، كان يراها من بعيد في يد المقاول، لكنه
يمسك الآن بيده التى سحب منها الدم، ورقة صحيحة
بعشرين جنيها، كانت الورقة جديدة - أعطاهم له

عمال .. مفهوم عشرة فقط، العربية معطلة اليوم، من
يقدر على المشى إلى هناك، فليحضر عند المعلم
(توكل).

أحس أن عظامه مفككة، فهو يعمل كل يوم، وقد
حضر فجر اليوم محملاً على عربة كارو، جاءت إلى
المدينة لتنتقل بضاعة لأحد التجار، لم يجد نفسه قادراً
على المشى من المحطة الى المدرسة، أى من أول البلد
إلى آخرها. لكى يقتل حدة الانتظار، أخرج رغيفاً من
الخبز المتنوع الأشكال، الذى تتبع به زوجته الخضار،
وحزمة فجل من الذى تنادى عليه عطيات بصوت
مشروخ «لوبيبة يا فجل لوبيبة» تذكر أسرته، التى تغرب
من أجلها أعز الأبناء لديه هي نادية، التى يشعر نحوها
بحب شديد. هذه الفتاة فيها شبه كبير من أمه -
رحمها الله - يفضب كثيراً من زوجته، إذا رآها
تضربها أو تكلفها ما لا تطيق.

مرت ساعة .. ساعتان .. أكثر .. أقل .. لا
يدرى. لكن الذى بدا يدركه - بشكل مؤكد - أنه لن
يحصل اليوم على شغل، أحس أنه ضائع في ميدان
المحطة، كل الناس تذهب وتجيء .. وهو قاعد على
الرصيف، أخذ ينقل بصره المحير بين الداخلين الى
المحطة والخارجين، وبين الراكبين في الشارع والمشاة،
وبين البيوت والمحلات.

الميدان سوق .. أو مولد .. تذكر الموالد، وليالى
الموالد .. الفول النابت .. واللحمة الهوبر ..
والصدقات بغير حساب .. والصوان الكبير يمتلىء
بالذاكرين .. الله حي .. الله حي .. حركة الذاكرين
الواصلين، مثل موج البحر، تذهب يميناً وتجيء
يساراً. الكل مشغول بحب الله .. وأهل الله ..
ورسول الله .. وصوت المنشد يرتل في خشوع:

يا أهل بيت النبي، دا أنا خدام في وانيم
طمعان في نظرة رضا، ليا العشم فيكم

أهل القرية أنك مت، الأسطى فاروق المزين كشف عليك، وأعطاك حققة، يعد أن قرب رائحة النشاير الى أنفك، قال بعد أن بدأت تتحرك بصعوبة: عملت ما أقدر عليه، والله هو الشافي. اخرجوا يا ناس يا طيبين، ودعوه يستريح حتى الصباح! وهو خارج وضع في يده - دون أن يلمح أحد - الشيخ عمران امام المسجد جنبها ثمن الحقنة. أخذ يتأمل الزنزانة، التي يسجن نفسه فيها كل ليلة، السجن الحقيقي.. هو الفقر. لو كان أثر الفقر سيعود عليه وحده لتحمل، لكن ما ذنب هؤلاء الأبرياء الجوعى!!

عاوبته آلام الذراع اليمنى.. وأحس جيشاً من النمل، ينهش العرق الذي سحبوا منه الدم، كان مكسور الخاطر مجروح القلب. آخر شيء كان يمكن أن يفعله، هو أن يبيع دمه لمن يستحق.. أو لا يستحق.. بثمن بخس. يبدو أن الله لم يسامحه على ما فرط في حق نفسه، وفي حق أولاده، لذلك أرسل إليه من سرق الفلوس من جيبه. يا الله.. يا رب الفقراء؟! حاول أن ينام.. حاول.. حاول، لكنه لم يستطع على ضوء لمبة جاز صغيرة، جلس نصف قاعد.. ونصف نائم.. على الحصيرة، وزوجته قاعدة في الركن، تعد حزم الفجل والجرجير والكرات التي لم تباع، لأنها انشغلت بهم زوجها، حين جاوا به مغمى عليه. كما أن نادية التي تساعدها، لم تستطع أن تفعل ذلك، لأن قلبها كان خائفاً.. ودموعها لم تتوقف، إلا بعد أن أفقا أبوها.

لا تدرى عطيات الحزينة ماذا تفعل بالخضار البائت، سوف يذبل وتصفّر أوراقه في الصباح. لن تكون له فائدة، حتى لو حاولت أن تعيد إليه الروح بأن تبلة في ماء التزعرة، الحل الذي استراحت إليه هو أن تغلف به الفراخ والأرانب التي تربيها، فهي تربي الفراخ وتبيع البيض والفراخ، وتسمن الأرانب ولا تاكل

الصراف من حزمة داخل أستاذك رقيق - أخذ يتأمل - بفرحة طفل - الورقة من الوجه.. ومن الظهر قربها من عينيه، ومن أنفه ذى الفتحات الواسعة، رائحة جميلة وشعور غريب الفلوس.. الفلوس المفتاح السحري لكل شيء يا أبو نادية.

مال نحو ركن هادي، حتى لا يراه أحد، طبق الورقة مرتين، ثم وضعها داخل البطاقة العائلية، ثم لف البطاقة في المنديل المحالوي، ووضع الثروة في جيب الصديري توجد معه قروش قليلة تكفي لأجرة السفر، لن يفك الورقة المقدسة، سيعطيها صحيحة لعطيات، حتى تشتري بعض ما يحتاجه البيت، امرأته حكيمة مدبرة، سوف تشتري للعائلة يوم الخميس - يوم السوق - اثنين كيلو كرشة، وتطبخ لهم ثريداً وشورية، شوربة اللحم تصلح المعدة وتقوى العظام، حتى يقضى ليلة سعيدة مع أم العيال، سوف يشتري غلبة سجائر ماكينه، فقد أفسد صدره دخان الجوزة، سيأخذ نفساً عميقاً من السيجارة، ويحس نشوة الزمان أسكره التبغ حين يجلس على المصطبة بجوار زوجته، لن يعطى جاره عبد السميع الشاذلي سيجارة، بل حتى ولا عقب. رجل دون ١٠ عمره ما عزم عليه بسيجارة، ولا حتى نفس جوزة! شق طريقه بصعوبة داخل الأتوبيس المزدحم، عندما نزل أمام البلدة تحسّس جيبه، فلم يعثر على المنديل، الذي وضع داخله البطاقة والعشرين جنبها. بدأ الأتوبيس يتحرك، وهو يحاول اللحاق به، لكن الأتوبيس أسرع بعيداً، مخلفاً وراءه سحابة دخان، لم يفقد الأمل، ظل يجري.. ويجرى.. ويجرى الى أن وقع مغشياً عليه. لا يدرى كيف وصل الى البيت.. ولا من حمله ولا كيف أفقا. فتح عينيه بصعوبة فرأى زوجته وأطفاله متناثرين على أرض القاعة، التي يعيشون فيها. حين تحركت عيناه، تمتمت زوجته فرحة: حمدا لله على سلامتك، لقد ظن بعض

لحمها .. كل هذا من أجل العيال .. العمل خير من الشحاذة .. لم تكن حياة الزوجة أفضل من حياة زوجها، فهي تجاهد مثله من أجل العيال الخمسة .
لو كانت نادية ولداً ما أرسلته الى المدرسة، وانما صحيح .. الولد وتد مع أبيه حتى يساعده ويتعلم منه، ويريه عندما يكبر .

نادية عادت من المدرسة تردد كلاماً، لا أفهمه: ألف .. باء .. تاء .. ثاء .. صرخت فيها بأعلى صوتي: أسكتي يا بنت. أقول لك ما أخذناه مع أبلة أحلام. قلت لك أخرسي، واجلسي هنا أمام المشنة، حتى أغسل جلباب أبيك، إياك أن تلعبى مع الأطفال!! تبادل الزوجان - في الضوء الشاحب والليل البارد - نظرات حزن وغيظ مكتوم، من أجل العشرين جنيها التي ضاعت .

الزوجة غاضبة على زوجها، لأنه حاول أن يقلد الأفندية، ويركب الأتوبيس، لماذا لم يأت ماشياً أو ركباً عربية كارو - كما يفعل كثيراً عند العودة من البندر؟ مقدر ومكتوب .. الغلابان لا يشبع من الغلب، يا وكستك يا عطيات .

أما الزوج فقد كان ساخطاً على الدنيا وما فيها، لعن اليوم الذي عرف فيه طريق المدينة التي استولى بعض أهلها على دمه ونقوده في وقت واحد، المدينة غول مفترس .. لكن هل يقدر على ألا يسافر إليها مرة أخرى؟! لم تستطع نادية أن تنام هي الأخرى، فقد أحسّت أن هذه الليلة، ليست عادية في حياة والديها .. لم تكن تدرك على وجه اليقين .. ماذا حدث .. ولا معنى ما حدث، لكنها أحسّت - بالفطرة - أن هناك مصيبة حدثت لأبيها في البندر، وأنه مريض تعبان، فقد جاء به الرجال محمولاً، لا يقدر أن يتحرك أو يتكلم، المصائب التي حلت بأبيها - الذي تحبه ويحبها -

جعلتها حزينة تبكي - بغير دموع، وقتلت في عقلها الصغير فرحتها بالمدرسة، وأنستها ما تعلمت من الحروف مثل: ألف .. باء .. ولم تعد قادرة على تذكر بقية ما حفظت .

شرح جدار الصمت الليلي .. الحزين .. البارد، صوت ضعيف من الأب، يطلب من الزوجة أن تعد كوباً من الشاي . تركت الخضروات، التي ترتب وضعها في المشنة، والتفتت إليه . لم تكن واثقة أن لوازم الشاي موجودة عندهم: شاي .. شاي إيه يا رجل! نحن بعد العشاء بزمان، يمكن في نصف الليل، لن يجعلك الشاي تنام، استرح الآن والصباح رباح .

قلت لك اعلمي الزفت وخلص .. لم تشأ أن تغضب زوجها، كما لم تستطع أن تخبره الحقيقة . حاولت أن تقوم بصعوبة، أسندت يديها على الأرض، حتى تستطيع أن تتحرك بعد يوم حزين طويل، لا يريد أن ينتهي . أخذت تبحث في الركن الذي تضع فيه الحل والاطباق، حتى وجدت وابور الجاز، حركته بيدها اليسرى بجوار أنفيها، فادركت أن الجاز فيه قليل . ملأت كوزاً من الصفيح بالماء، ثم وضعت نصف الماء في الوابور، تعرف - بالخبرة - أن الماء أثقل من الجاز، لذلك سوف يعلو الجاز على سطح الماء، ويكفى لعمل الشاي . بعد مدة استطاعت أن تشعل الوابور، ووضعت الكوز الأسود على لهب الوابور الأصفر، المتزج ببعض دخان . لحت فأراً يتحرك عند باب القاعة، لم تكن قادرة على مطاردته، وخشيت - إن هي صرخت أن توقف الأطفال الصغار، فيقتل الخوف لديهم الرغبة في النوم، وضعت ملعقة من الشاي في الماء، وتركته يغلي، حتى يكون الشاي ثقيلًا . بدأت رائحة الشاي تصل الى منظار زوجها، تمنى أن تكون مع الشاي سيجارة، حتى يصلح مزاجه المنحرف .

بطرف الجلباب الأسود، حملت الكوز الساخن

أنت امرأة مهمة، لا تعملين حساباً للرجل الذي يتغرب في بلاد الله من أجلك ومن أجل أبنائك... خشيت الطفلة أن تنشأ معركة بين الأبوين، وقد شهدت كثيراً من معاركهما.

قالت حتى تحل الأزمة: كانت في العلية معلقة سكر، لكنني أكلتها يا أباي... لم يستطع الأب أن يحبس غيظه... ومن نحن حتى نأكل السكر يا بنت الكلب؟! أخذ يسب البنت... ويسب أمها... ويلعن يوماً أسود، لا يريد أن ينتهي.

صاحت امرأته: ماذا نفعل؟... نحن عائلة فقيرة... أنت وحدك المسئول عنا...

استيقظت في داخله شياطين الغيظ والغضب أخذ يسب كل ما يتذكره... ومن يعرفه... قالت له نادية بصوت باك: اهدأ يا أباي... لا تزعل... نسى كل الوسواس التي تشتعل في صدره، والتفت إلى نادية: أنت السبب... لماذا أكلت السكر؟

توقف الزمن... وتبادل الثلاثة نظرات قلق وغيظ وغضب... لا يدري الأب كيف تحرك من مرقده، وحمل - بيده التي سحبوا منها الدم - وأبور الجاز المشتعل، وقذف به ناحية الطفلة الخائفة، وذهل الأب...!! أخذت النار تسري في بقية الجلباب... الأم تصرخ، والطفلة تعوي، والأب مذهول، لا يستطيع أن يتحرك... اشتد صراخ الطفلة، حين انتقلت النار من الثوب إلى الجسد... نادية تجري... تبكي... تصرخ... تستغيث... استيقظ أخوتها الصغار وظل الأب مذهولاً غير قادر على الحركة، بينما المحترقة تجري هنا... وهناك... والنار مشتعلة في الثوب والجسد... ثم بدأت تمتد إلى الشعر... والوجه... وهي تصرخ وتصرخ... تصرخ وتصيح... فتحت الأم باب القاعة... وأخذت تستغيث بصوت عال: الحقونا يا عباد الله... الحقونا يا عباد الله... الحقونا يا...!!

بحذر، ووضعته على الأرض، أحضرت الكوب وملعة صغيرة من الألونيوم، تظاهرت بأنها تبحث عن علب السكر... الشاي يا امرأة... ساعة حتى تعمل كويلاً من الزيت صرت عجوزة... لم تعد لك فائدة في الليل أو النهار... اصبر يا أبو نادية، الصبر طيب... تذكرت نادية... حاولت أن تشركها في الأمر، حتى تخفف من وقع الخبر على الزوج.

نادية... نادية... أين وضعت علب السكر يا شقية؟ لم تكن نادية قد نامت لذلك هيت واقفة حين سمعت صوت أمها... كانت قلقة لا تستطيع أن تنسى ما حدث في المدرسة... وما وقع للأب، عاش قلبها الصغير مشاعر الفرح والاحزان في يوم واحد... يوم أسود طويل، لا يريد أن ينتهي.

كانت معجبة بأبلة أحلام، وتمنت أن تكون مثلها في كل شيء، حتى في الفستان الأخضر وتسريحة الشعر... سألتهم المعلمة بعد أن قرأت معهم الحروف أكثر من مرة: أول حرفين في الأبجدية هما ألف باء... هل تعرفون السبب يا أطفال؟

أخذ الأطفال يفكرون والمعلمة تنتظر إليهم، لكن الأطفال لم يقولوا شيئاً، ولم تقل لهم شيئاً... وظلت نادية متعطشة لتعرف إجابة السؤال.

حين رأت الأم نادية واقفة، طلبت منها أن تحضر علب السكر، وهي تعلم سلفاً أن ليست فيها حبة واحدة... توجهت الطفلة نحو دولا في الحائط، وأحضرت منه العلب، وظلت واقفة بالقرب منها، حتى تكون قريبة من مصدر التدفئة... فتحت الأم العلب في هدوء... وأخذت تحرك فيها الملعة، أه... العلب ليس فيها سكر... فرد الزوج مغتاظاً: أين السكر يا امرأة؟ سكر إيه يا رجل؟ اثنين كيلو، ماذا تصنع لعائلة، فيها رجل كفيف وطفل رضيع... وأبناء لا يعرفون طعم الطوى إلا إذا تناولوا ملعة سكر؟

الموارد الطبيعية الحية الى أين؟!

وما نحن نعيش في مفتح القرن الواحد والعشرين، وقد تأكد لدينا أن للموارد الطبيعية الحية قدرات وحدوداً، وأنتا قد تجاوزنا تلك القدرات والحدود؛ وأن ذلك التجاوز قد أساء كثيراً الى الأرض، التي هيأها لنا الله شديدة التنوع والغنى بالحياة والأحياء؛ وأن الوقت قد حان - ولعل الأوان لا يكون فات - لإعادة حساباتنا، وتغيير نظرتنا الى تلك الموارد الطبيعية، لعلنا ننجح في صون التنوع الحالي في الأحياء التي تعيش معنا على سطح كوكبنا، ونمنع دفع مزيد من الكائنات الحية الى هاوية الانقراض... من فضلك، راجع الجدول التالي:

وقت أن دخل العالم عصر (الثورة الصناعية)، كان يعيش على الأرض ما يقرب من بليون نوع من الكائنات الحية، وكان ذلك يعني - بالنسبة لعلماء البيئة والبيولوجيا - غنى الأرض بأنواع الحياة، في تربتها، ومائها، وهوائها؛ ومن جهة أخرى، كان رجال الصناعة والاقتصاد يترجمون ذلك إلى وفرة في الموارد الطبيعية الحية، تضمن لهم الاستمرار في تدوير مصانعهم وتوسيع مشروعاتهم.

(جدول يوضح الوضع الحالي للكائنات الحية التي انقرضت فعلاً والمهددة بدرجات متفاوتة لخطر الانقراض)

مجموع عدد الأنواع	الحالة					مجموع عدد الأنواع
	منقرض فعلاً	مهدد بالانقراض	معرض للانقراض	نادر	حالات غير معددة	
نباتات	٢٨٤	٢٣٢٥	٢٠٢٢	٦٧٤٩	٥٥٩٨	١٩٠٧٨
أسماك	٢٣	٨١	١٣٥	٨٣	٢١	٣٤٢
برمائيات	٢	٩	٩	٢٠	١٠	٥٠
زواحف	٢١	٢٧	٣٩	٤١	٣٢	١٧٠
لافقاريات	٩٨	٢٢١	٢٣٤	١٨٨	٦١٤	١٣٥٥
طيور	١١٣	١١١	٦٧	١٢٢	٦٢٤	١٠٣٧
لبونيات	٨٣	١٧٢	١٤١	٢٧	٦٤	٤٩٧

مجموع عدد الكائنات المنقرضة والمهددة بدرجات متفاوتة : ٢٢٥٣٠ نوعاً.



أ. رجب سعد السيد

الاسكندرية - مصر

العناصر الرئيسية المؤثرة في أحوال المناخ،
إن قضية صون التنوع الأحيائي للأرض لشديدة
الاتصاق بالمسائل الاجتماعية وقضايا التنمية
الاقتصادية، بمختلف المجتمعات ولا يمكن معالجة أي
منها منفصلة.

وعلى سبيل المثال، فقد طال استغلال الدول
الصناعية لبيئة الحزام الاستوائي للأرض، وهي البيئة
التي تشتمل على أكبر مخزون طبيعي من الكائنات
الحية، على سطح الأرض؛ ومنه أخذت تلك الدول
خاماتها التصنيعية والدوائية، كما استثمرتها سياحياً.



وفي حومة الاهتمامات المتزايدة بقضايا ومباحث
الموارد الطبيعية الحية، التقى العلماء حول مصطلح هو
«التنوع الأحيائي»، وجدوا فيه ضالتهم ليكون بمثابة
الإطار العام لصورة تضم كل الأنواع من الكائنات
الحية، نباتية وحيوانية، بالإضافة الى الكائنات الدقيقة،
الموجودة في أنظمة بيئية مختلفة. إنه اصطلاح دال
على القدرة التي وهبها الله سبحانه وتعالى للطبيعة
على التنوع؛ وهو يتسع ليشمل عدد وتكرار إيجاد كل
من: الأنظمة البيئية، وأنواع الكائنات الحية، وأيضاً
العوامل الوراثية المحددة لصفاتها.

ثمة - إذن - ثلاثة مستويات للتنوع الأحيائي:

الأول: تنوع الصفات الوراثية، ونعني به مجموع
المعلومات والصفات المشفرة في (جينات) كل النباتات
والحيوانات والكائنات الدقيقة الموجودة على سطح
الأرض؛ ويمثل هذا المستوى القاعدة العريضة لتنوع
الحياة في كوكبنا.

الثاني: هو التنوع الحاصل في مجمل الأنواع من
الكائنات الحية، والتي يعتقد أن عددها، حالياً قد
تتاقص الى خمسين مليون نوع وإن كان عدد الأنواع
التي تم التحقق من وجودها، وقام العلماء بوصفها
وتوثيقها، لا يزيد كثيراً عن مليون وأربعمائة ألف نوع،
نصفها من الحشرات!

أما المستوى الثالث: فهو التنوع في الأنظمة
البيئية، ويأتي من التباين في أنماط حياة التجمعات
المختلفة من الكائنات الحية، ومن تعدد وتنوع التفاعلات
البيئية في المحيط الحيوي، الذي يضم كل الأنظمة
البيئية. وفي هذه الأنظمة تتم عمليات دوران الأملاح
المغذية في أطوارها الثلاثة، من الإنتاج الى الاستهلاك
الى التحلل؛ كما يدور فيها أيضاً كل من الماء
والأكسجين والميثان وثاني أكسيد الكربون؛ وهي

فلما حل الإنهاك بتلك البيئة، لم تقم الدول الصناعية المستغلة بتقديم العون الكافي لدعم جهود صونها وإنعاشها، بالرغم من أن هذا الدعم هو - في الواقع - تأمين لاستمرار انتفاع تلك الدول بموارد البيئة الاستوائية.

لقد تزايد الوعي العام بقضية الموارد الطبيعية الحية، وبأهمية صون التنوع الأحيائي للأرض، غير أن فريقاً من علماء البيئة لا يزال مشفقاً من غياب بند ترشيد استغلال الموارد الطبيعية في خطط التنمية لبعض الدول، أو تهيمشه في كثير من برامج التنمية ومشروعاتها؛ لذلك فإنهم يرون ضرورة الاستمرار في التأكيد على القيمة الاقتصادية للتنوع الأحيائي، لإبرازها وجعلها ملموسة للحكومات ولرجال الاقتصاد، ليعطوا للقضية اعتبارها، وحق قدرها من الأهمية، عند وضع خطط التنمية واتخاذ القرارات التنفيذية.

ويمكن تقدير القيمة الاقتصادية للتنوع الأحيائي في مستويين:

أولها: تقدير قيمة المنتجات الطبيعية، التي يجري استغلالها، من الطبيعة مباشرة وعلى حساب كثير من أنواع الكائنات الحية - نباتية وحيوانية - دون أن تمر بمرحلة تسويق، مثل أخشاب الوقود والأعلاف، وحيوانات الصيد.

وثانيها: هو تقدير القيمة الاقتصادية للمنتجات الطبيعية الحية، التي تستغل تجارياً، مثل أخشاب الأشجار التصنيعية، والأسماك وأنياب الفيلة (العاج)، والنباتات الطبية. وكما رأينا، فإن المستويين السابقين يتضمنان أوجه الاستغلال المباشر والملموس للموارد الطبيعية الحية، فإذا أتينا إلى الأوجه غير المباشرة، أمكننا أن نعطي تقديرات اقتصادية - يراها البعض أعلى وأضخم - لمجموعة من القيم غير المحسوسة، مثل عملية البناء الضوئي، وهي أضخم عملية تصنيع للمواد الكربوهيدراتية على وجه الأرض، وهي أساس الحياة في كل صورها؛ ومثل تنظيم أحوال المناخ الأرضي؛ وهما عمليتان تتحكم فيهما بعض مكونات الأنظمة البيئية.

ويعتقد جانب من علماء البيئة أن ثمة ستة معوقات رئيسية تحول دون تحقيق تقدم كبير في جهود صون التنوع الأحيائي؛ وهي:

- ١ - أن مستهدفات خطط وبرامج التنمية الوطنية لا تعطي الاهتمام المناسب لقيمة الموارد الطبيعية الحية.

- ٢ - أن الجانب الأعظم من مردودات استغلال الموارد الطبيعية الحية يصب في خزائن التجار ورجال الصناعة، الذين لا يلتفتون - غالباً - إلى تحمل أنصبتهم من التكلفة البيئية لاستغلال تلك الموارد؛ بينما يقع عبء هذه التكلفة على كاهل الوطنيين من سكان البيئة محل الاستغلال، الذين قد يفاجأون بنضوب تلك الموارد، واختلال الأنظمة البيئية في مواطنهم، وقد يهتز استقرار معيشتهم.

- ٣ - أن العلاقة بين الأنظمة البيئية المختلفة، والأنواع من الكائنات الحية التي تعيش بها، والتي تمثل عماد حياة البشر، بحاجة إلى مزيد من الدراسة من أجل مزيد من الفهم. وكما سبق أن أُلحنا، فإن إمكانيات وجهود علماء التصنيف، في رصد ووصف والتوثيق العلمي للكائنات الحية، لا تزال قاصرة عن الإلمام بكائنات حية تعيش معنا الآن، وتخلو منها الخرائط التصنيفية؛ بل إن بعض هذه الكائنات - للأسف - انقرض قبل أن يتعرف عليه العلماء!

- ٤ - أن ثمة قصوراً علمياً آخر، يتمثل في عدم كفاية سبل الإدارة العلمية للأنظمة البيئية؛ وعلى سبيل المثال، لا تزال علوم إدارة المصايد البحرية (المسامك) عاجزة عن تحقيق الاستغلال الأمثل للموارد البحرية الحية، ولا يزال الجدل دائراً حول حقيقة المخزون الطبيعي من تلك الموارد، وخصوصاً البونيات البحرية؛ وهذا هو أصل النزاع القائم بين الهيئات والمنظمات البيئية الغربية، واليابان، حول حظر صيد الحيتان.

- ٥ - أن معظم المنظمات والهيئات العاملة في مجال



الطبيعية الحية؛ فهي التي تهيمن على الموارد المائية والقباب، وهي المسؤولة عن النمو العمراني على حساب الأنظمة البيئية والموائل الطبيعية؛ وهي التي تستورد المبيدات، أو تسمح بجليها، ياتأثرها المدمرة للتنوع الأحيائي، وعلى تلك الحكومات أن تراجع سياساتها البيئية، كخطوة أولى لحماية ذلك التنوع.

وعلى أي الأحوال، فقد أظهرت الدراسات البيئية، متعددة التوجهات، بعض الأفكار العملية، التي يمكن الأخذ بها لحماية للتنوع الأحيائي؛ ومنها: أن حماية وجود الكائن الحي يبدأ بحماية بيئته، وهذا ما يدفع بعض الإدارات الحكومية إلى إصدار قرارات بتحريم استغلال الموارد الطبيعية الحية في بعض البيئات الحساسة، واعتبارها مناطق محمية. والجدير بالذكر أن عدد المحميات الطبيعية في العالم قد تجاوز ٤٥٠٠ محمية، يزيد مجموع مساحاتها عن ١٠ مليون هكتار.

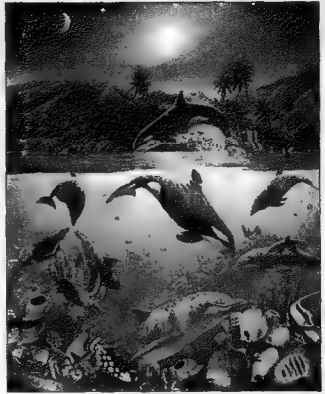
صون البيئة والموارد الطبيعية الحية يعمل منفصلا بعضه عن بعض، ويتركز أنشطته في مجالات ضيقة، ذات تأثير محدود.

٦ - أن المؤسسات التي تتصدى لتحمل مسؤولية حماية التنوع الأحيائي تفتقر إلى التمويل المادي، وفي أحد المؤتمرات حول التنوع البيولوجي، أقامه جهاز شؤون البيئة بمصر، كانت الشكوى العامة لكل العلماء المشاركين بالمؤتمر أن مشروعاتهم العلمية لا تكتمل، نتيجة عجز الموارد المالية.

وفي رأينا، أن حماية التنوع الأحيائي هي مسؤولية الجميع، أفراداً وحكومات؛ وإن كانت أعباء مسؤولية الحكومات أكبر، لأن السياسات الحكومية، وبخاصة تلك التي تقيظ عنها الاعتبارات البيئية، هي التي تتحمل وزر تدهور الأنظمة البيئية والموارد

بالاشتراك مع منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو) - اتفاقية حماية التنوع الأحيائي - التي رحب بها عدد كبير من الدول، ويجري العمل بها الآن. ولا يجب أن يغيب عن فكر القائمين على إعداد وتنفيذ برامج حماية التنوع الأحيائي نقطة هامة، هي وضع السكان المحليين، المستوطنين حول مناطق الموارد الطبيعية، والمستفيدين منها، والذين أسسوا ثقافتهم التقليدية، على مدى أجيال متعاقبة، بدعم من هذه الموارد: إنهم يعتبرون كل ما على (أرضهم) جزءاً من تاريخهم الحضاري والاقتصادي، وأن حرمانهم منه، ولو بحجة صونه أو إدارته وتنظيمه، يُعدّ مساساً بمقومات حياتهم وتهديداً لوجودهم ذاته. من هنا، يجب أن ننسب إلى ضرورة وضع مصالح هؤلاء الوطنيين في الاعتبار، والتعامل مع كل (حالة) محلية منفصلة عن غيرها، فلكل منها درجة حساسيتها الخاصة، التي لا يجب إغفالها، ضمناً لنجاح برامج ومشروعات حماية التنوع الأحيائي، ومن ثم برامج التنمية.

ومن العوامل المهمة المساعدة على إنجاح مشروعات وبرامج حماية الموارد الطبيعية الحية، توفر قواعد قوية للمعلومات: على أن تشمل هذه المعلومات بالدرجة الأولى على أوصاف دقيقة لكافة الأنواع النباتية والحيوانية المتجمعة في مختلف الأنظمة البيئية: فمن الضروري أن نعرف: ماذا لدينا، قبل أن نبحث في: ماذا سنفعل بما لدينا. ولقد سبقنا إلى هذه المسألة مجموعة العلماء الذين صاحبوا الحملة الفرنسية على مصر، فاهتموا برصد (كل شيء) ... فوصفوا عدداً ضخماً من الكائنات الحية، برية وبحرية، ومن الطيور المصرية؛ ورسموها رسماً علمياً دقيقاً. ونحسب أن ذلك العمل لم يكن خالصاً (لوجه العلم)، أو لمجرد التسلية، أو على سبيل التسجيل التذكاري، وإنما كان عملية تمهيدية ضرورية لرصد الثروات، قبل البدء في استغلالها، على مدى عهد استعماري، كان المنتظر له أن يدوم طويلاً. إننا ندعو إلى ضرورة أن تهتم مراكزنا العلمية،



ومن التوجهات العملية لحماية التنوع البيولوجي أيضاً، المشروعات والبرامج التي يجري تنفيذها في حدائق الحيوان، وبنوك البذور، والحدائق النباتية، حيث ينصب الاهتمام على الأنواع النادرة والمهددة بالانقراض، من النباتات والحيوانات البرية، فتخضع لبرامج الإكثار والتربية، ثم تعاد فتطلق في بيئاتها الطبيعية. وهذا توجهٌ علمي طيب ثبتت فعاليته في أحوال عديدة.

ومن الضرورات اللازمة لحماية الموارد الطبيعية الحية، أن تعيش الكائنات الحية في محيط حيوي خال من التلوث، وإلا فلا معنى لأي جهد يبذل لإعادة إعمار الأنظمة البيئية بالكائنات النباتية والحيوانية، التي أصبحت نادرة أو أوشكت على الانقراض.

وبالرغم من تأكيد حقيقة أهمية التنوع الأحيائي، كضرورة لصحة الأنظمة البيئية المختلفة، فإن هذه الأنظمة لا تزال تتحمل ضغوطاً تفوق قدراتها على التجدد وتعويض الفاقد. إن ذلك يستعدي وضع تشريع عالمي يرعى جهود التعاون المتحرر في مجال صون التنوع الأحيائي، وفي هذا المجال، نشير إلى الاتفاقية التي أعدها برنامج الأمم المتحدة للبيئة،

تشتمل علي: ترسيخ منظور عام للمشكلة، والاتفاق على الأولويات، وتحديد المعوقات التي قد تعترض طرزيق العمل التنفيذي، والبحث عن نقاط الالتقاء بين برامج صون التنوع الأحيائي، وبرامج التنمية.

وأخيراً، يبقى سؤال هام، يحتاج إلى إجابة، هو: من يسدد قيمة الفاتورة؟!.

والإجابة، ببساطة وبوضوح شديد هي: إن علي من استفادوا من التنوع الأحيائي للأنظمة البيئية - أو بالأحرى من اشتركوا في استنزاف موارد تلك الأنظمة - أن يشاركوا بتحمل الجانب الأكبر من تكاليف علاج هذه الأنظمة المنهكة. إن تلك المشاركة هي - في الحقيقة - استثمار لصالح البلدان الغنية، يهدف إلى إنعاش قدراتها الإنتاجية ولنفعها كل الأطراف.

لقد خلفنا ورثاً قزناً من الاستغلال غير الرشيد لموارد العالم الطبيعية؛ وما نحن قد وضعنا أيدينا علي جوهر المشكلة، وأمامنا فرصة - لعلها آخر الفرص المتاحة أمام البشر - لاتخاذ القرارات المناسبة، والسعي من أجل تأمين الموارد الطبيعية الحية، وحماية الأنظمة البيئية وإنعاشها، لتعود قادرة علي إمداد خطط وبرامج التنمية، في الألفية الثالثة من عمر حضارة البشر، باحتياجاتها من الخامات.

لقد ولي القرن العشرون، وقد تركنا في مفترق طرق إذ أن توجهاتنا خلال السنوات القليلة القادمة هي التي ستحدد في أي السكتين نسير: (سكة الندامة)، بالاستمرار في الإساءة إلى مواردينا الطبيعية الحية وتدميرها، دون أن ندري، أو ربما بوغي تام، أننا نصدر الفوضى إلى أبنائنا وحفدتنا، ونحرمهم من فرصة طيبة للحياة: أم (سكة السلامة)، بأن نتبع لخريطة الحياة في كوكبنا أن تعود إلى الازدهار، وبأن ندرك أننا، بني الإنسان، لسنا وحدنا علي سطح الأرض، وأن ثمة كائنات أخرى، قد ننظر إليها علي أنها (متدنية) في سلم التطور الذي صنعناه نحن بأنفسنا، ولكن استمرار وجودها - معنا - هو ضرورة لاستمرار الحياة.

في الوطن العربي، بإعداد وإصدار القوائم التصنيفية المصورة (كتالوجات) للكائنات الحية في البيئات المتنوعة، وأن تدعم جهود العمل التصنيفي، وأن يجري تبادل الخبرات والمعلومات البيئية في البلدان العربية، وألا تعامل هذه المعلومات علي أنها (أسرار). لقد بانر عدد من البلدان العربية، بالفعل، إلى تكوين (مجموعات مرجعية)، و(وحدات تنوع بيولوجي)، مستقلة، أو تابعة لمراكز بحثية؛ ونأمل أن يعم هذا النهج كل بلاد العرب. ومن الأهمية بمكان أيضاً، أن تهتم الهيئات الأهلية والحكومية والعلمية، العاملة في مجال صون التنوع الأحيائي، بتحديد أولوياتها وأن يكون واضحاً لديها، ما هي الكائنات الحية التي تراها أولى بالرعاية؟ وما هي الأنظمة البيئية التي تستوجب تركيز الجهود، لصمايتها من التدهور؟ وتأتي ضرورة هذا التحديد من أن المشكلة أكبر من أن تحيط بكل أبعادها هيئة أو منظمة بمفردها، وأن العالم الذي نعيش فيه يشهد تغيرات أكثر وأسرع من أن تحيط بها كلها برامج صون البيئة. والجدير بالذكر، أن بعض الخبراء يرى أن البيئة الاستوائية يجب أن تحظى - علي المستوى العالمي - بالأولوية، في مجال رصد ووصف وتسجيل مكونات مواردها الطبيعية الحية، وذلك لتمييزها بالتنوع الأحيائي الضخم، كما أنها تتعرض لأشد الأخطار البيئية التي تجعل بعض سكانها - من الكائنات الحية - يختفون من خريطة الحياة، قبل أن يفلح علماء البيئة والتصنيف في رصد وجودهم.

إن العمل العلمي في مجال صون الموارد الطبيعية الحية - كجزء من برامج صون البيئة، بعامه - له صفة العالمية، ونقل قيمته إذا اقتعد إلى الاستراتيجية الواضحة، والخطط التنفيذية الفاعلة، التي يتفق فيها علي ملامح المشاكل، وعلى أهداف واضحة، يمكن تحقيقها. ولعل الهيئات العالمية، مثل البنك الدولي، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، وبرنامجا الإنمائي، مع بعض المنظمات غير الحكومية المؤثرة، مثل جماعة (السلام الأخضر)، تشترك - متعاونة - في وضع هذه الاستراتيجية المأمولة، والتي يجب أن



امراء الحرم عبر التاريخ

سبق القول في الحلقة الماضية أن الأمير مكث بن عيسى قد ظل عليها حتى سنة ٥٩٧ للهجرة المباركة. وفيها انتزعت منه بالقوة العسكرية ولاية البلد الحرام. وبذلك انتهت ولاية أسرته للحراب الأبطحية. وبه انقرضت دولة الهواشم، وكان سبب ذهاب ولاية البلد الحرام منهم إلى يد أبي عزيز: انهماكهم في الترف واللهو والملاذات وتبسطهم في الظلم والجور، فسلط الله عليهم:

تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها
وفي بطنها للعجد بين ربيع

الأمير أبو عزيز قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد
الكريم الحسني الهاشمي أمير ينبع:

فقد خرج أناس من أهل مكة شرقها الله تعالى
إلى ينبع وشكوا إلى الشريف أبي عزيز قتادة ما
يلاقونه من ظلم وجور من الهواشم. وطلبوا منه
النصر، فوعدهم بالنصر والمدة، فأنذ الله عز وجل
بزوال دولة الهواشم، فجاء الشريف قتادة في جماعة
من قومه وفاجأ الهواشم بحضوره، وما شعروا إلا وهو
بينهم بالبد الحرام. فلم يكن لهم طاقة بمقاومته،
فصار أمر البيت الحرام إلى أبي عزيز اعتباراً من سنة
٥٩٧ للهجرة المباركة. وذكر العلامة عماد الدين بن
كثير القرشي في تاريخه البداية والنهاية: أن أبا عزيز
كان رجلاً عادلاً منصفاً. وكان طويلاً مهابة لا يخاف
أحدًا من الخلفاء والملوك ولا يهابهم. وكان أمير
المؤمنين الناصر لدين الله العباسي حاول استدراجه
إليه إلى بغداد فلم يقدر. وكان الخليفة يتمنى رؤيته،
ولكن أبا عزيز كان شديداً فقد بعث إلى الخليفة ابنيها
من الشعر جاء فيها:

بلادي وإن جارت على عزيمة
ولو أننى أصرى بها وأجوع
ولى كف ضرغام أذل يبطشها
وأشرى بها بين الورى وأبيع

إلى آخر الأبيات التي ذكرت في أكثر من رواية. وقيل
إن هذه الأبيات لم تصل إلى الخليفة، وقيل إنها وصلت
فغضب الخليفة وبعث إليه مكتوباً يهدده بالعرب. وكتب
يقول كما ذكرها العلامة عبد الملك العصامي في سمط
النجوم العوالي: أما بعد: إذا نزع الشتاء جلبابه.
وليس الربيع أثوابه. قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها
ونخرجكم منها أذلة وأنتم صاغرون. فذهب الشريف
قتادة يستنصر أبناء عمومته من آل الحسين أمراء
المدينة الشريفة. فاجتمعوا لمواجهة الخليفة واستطاعوا
أن ينتصروا عليه. وقد ذكرت في كتابي جلاء العينين:
بشكل أفضل. وكان الشريف أبو عزيز قوى النفس
فاضلاً شاعراً أدبياً وكان يطوف بالبيت الحرام
ويخشع ويتضرع وكان نقمة على المفسدين. وكان
شيخاً طويلاً القامة، وفي أيامه تعم أهل بيت الله عز
وجل بالأمن والاستقرار، ونعم الحجاج بالاطمئنان
والأمان. وقد استمرت ولايته حتى توفي سنة ٦١٧
للهجرة عن سبعين سنة. وقيل كانت وفاته على يد ابنه
الحسن، وقيل مات مسموماً، وبقي بمكة شرقها الله،
فخلقه عليها ابنه:



السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

تاريخه البداية والنهاية: إنه تأمر على مكة فأحسن فيها المعدلة وأمنت الطرق والحجيج. وكان تدخل الملك المسعود في الأمر لمصلحة أهل بلد الله عز وجل. وقد أقام الملك المسعود في إدارة البلد الحرام حتى حج بالناس سنتها. وعين على البلد الأمين أميراً من قبله فغادر البلاد الحرمية. فاستمرت ولايته للبلد الحرام نحواً من ست سنوات وبضعة أيام. وقد توفي الملك المسعود بمكة شرفها الله في شهر جمادى الأولى سنة ٦٢٦ للهجرة ودفن بها رحمة الله عليه، وكان من ولايته على البلد الأمين:

الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله الملكي السعودي:

تولى إمارة البلدة العظيمة في شهر جمادى الأولى سنة ٦٢٥ من الهجرة الشريفة، بتولية من الملك المسعود وإلى البلد الحرام. كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام. وقد دامت ولايته حتى توفي الملك المسعود فكانت منتهى نحواً من سنة وإحدة. وممن تولى الملك الكامل والد المسعود:

الأمير شجاع الدين طفتكين بن عبد الله الكامل:

وكانت ولايته فيما بين سنة ٦٢٦ من الهجرة وبين سنة ٦٢٩ للهجرة بتولية من الملك الكامل. وكان الأمير طفتكين قد أوقف رباطاً على الفقراء بمكة شرفها الله في مكان ملاصق للمسعى، وقد حدثت وقعة بينه وبين الملك المنصور صاحب اليمن يرافقه الشريف راجح بن قتادة. فعلى إثرها خرج الأمير شجاع الدين طفتكين إلى ينبع. ثم تمكن من جمع قواه فعدا فقاتل الملك المنصور ملك اليمن الذي تولى الأمر بمكة شرفها الله، واستطاع أن يهزمه فعاد سيطرته على البلاد الحرمية من جديد. وقتل أثناء ذلك خلق كثير. وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٦٢٩ للهجرة، والله تعالى أعلم. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الأمير أبو عالى شهاب الدين الحسن بن قتادة الحسني:

فصارت إليه ولاية البلد الحرام سنة ٦١٧ بعد وفاة أبيه. كما ذكره الإمام تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام. وقد أيدت ولايته دار الخلافة العباسية، وكان أخوه الشريف راجح بن قتادة يناوؤه في الإمارة فلم يقدر عليه، فاستمر حتى جاء الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل الأيوبي فحاربه ودار بينهما قتال بين الصفا والمروة فانهزم الشريف حسن أمام الملك الأيوبي، حيث أن العلامة الحافظ عماد الدين ابن كثير القرشي ذكر في تاريخه البداية والنهاية: أنه في سنة ٦٢٠ سار الملك المسعود إلى مكة شرفها الله وقاتل بن قتادة. فهزمه واستقل بملك مكة شرفها الله، فخرج الأمير شهاب الدين الحسن بعد هذا من البلد الحرام وقصد الشام فلم يلتفت إليه أحد حتى ذهب إلى العراق فأرادوا قتله قوداً ثم توفي بها ودفن إلى مشهد الإمام موسى الكاظم سنة ٦٢٢ من الهجرة، وكانت مدة ولايته نحواً من ثلاث سنوات، فلما خرج من الحرم تولى الأمر بالبلد الحرام:

الملك المسعود يوسف الملقب بأقيسي بن الملك الكامل الأيوبي رحمة الله عليه:

وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٦٢٠ من الهجرة المباركة، كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام، وكان قدوم الملك المسعود إلى الديار المكية المقدسة ثم بإيعاز من الشريف راجح بن قتادة الذي كان ينازع أخاه الحسن في إمرة البلد الحرام. فبولاية الملك المسعود حدثت أمور عجيبة بالبلد الحرام: كما ذكرها العلامة نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي في تاريخه إتحاف الوري، فكثرت الأقوات وأمنت الطرق وسلم الحجاج من شر قطاع الطرق بين الحرمين. وأبيد الشر، واختفى الفساد بجله. وكان الملك المسعود شهماً مقداماً. وقال العلامة ابن كثير القرشي في

شاعر البحرين (إبراهيم العريض)



الشاعر إبراهيم العريض

وعندما قل المال واقترب شبح العجز المالي أغلق شاعرنا (إبراهيم العريض) هذه المدرسة والتحق بشركة النفط المحدودة كرئيس لقسم الترجمة فيها .
في مستقبل حياته الأدبية عجز عن ترجمة أحاسيس الوجدانية والتعبير عن مكتوبات نفسه باللغة العربية وذلك بحكم صعوبة تكلمه باللغة العربية ودراسته الطويلة بالفارسية الأمر الذي دفعه الى استخدام الريشة والفرشاة قسماً لوحات مبدعة وصور مناظر خليجية خلابة ولكنه لم يستمر في رب الفن التشكيلي وإنما لازم أستاذه المرحوم سلمان آل تاجر مدة من الزمن تعلم في خلالها نطق بعض مقررات اللغة العربية وقواعدها وأرشدته الى معاني المفردات

سمع الأديباء بعد الحرب العالمية الثانية صوته العذب قادماً من قلب الخليج العربي .. من البحرين .. حمل مشعل الكلمة العربية الأصيلة في المرحلة المبكرة من نهضة الخليج العربي . ولد في بومباي بالهند عام ١٩٠٨ من أبوين عربيين وبعد شهر من ميلاده توفيت والدته فتعهدته بالرعاية سيدة هندية جارة لوالده بحيث كانت تغذي الطفل بلبن البقر حتى أصبح يدب على الأرض .

ثم تخلت الجارة الهندية عن رعايته وتربيته لانحراف صحتها فيما اضطرت سيدة هندية أخرى كانت تعمل في بيت والده غسالة بتربيته ورعاية أموره حتى أكمل دراسته الابتدائية ويطبيعة الحال كان لا يحسن التكلم باللغة العربية في هذه الفترة بحكم نشأته وإقامته في بيئة هندية وعندما حصل على الشهادة الثانوية في بومباي عام ١٩٢٥م قرر الإقامة مع أفراد عائلته في البحرين، وهنا اشتغل في سلك التعليم مدرساً للغة الإنكليزية خاصة أنه كان يحسن نطق مفردات الإنكليزية ويعرف قواعدها بشكل جيد . ثم تولى إدارة إحدى المدارس الحكومية بالبحرين لمدة أربع سنوات وبعد ذلك أسس مدرسة أهلية ذات مناهج مدرسية متطورة وبرامج متعددة من الأنشطة المدرسية كالتمثيل والرسم بشكل كان باهر النتائج .



عثمان محمد مليباري

- مكة المكرمة -

هم يرون الربيع .. صوت هزار
وأراه في قلبه الحساس
لك حبي أن حمت كالعطر - عطر الو
ورد فاستخلصيه دون احتباس
لك حبي أن نمت كالنور نور الـ
يسدر لا يخشخش الدمى بالماس
لك حبي أن همت كالماء ماء الـ
حزن أنقى ما كان فوق الرواسي
أنا أهواك حيث أني أبقى
بك نفسي ما بين ورد وأسي

وشاعرنا امتلك قريحة طيبة وبصيرة نافذة
فأخرج لنا صوراً مختلفة الألوان متنوعة الأفنان عن
ضواحي بلاده البهيجة بألفاظ واضحة وتراكيب سهلة
تخللها معان فلسفية وفكر واسع إنه يحكي عن فتاة
ريفية تمشي وهي قريرة العين - في حقول القمح والماء
يجري تحتها سلسلا والطيور فوقها يرفرف جناحيه
منشداً:

أبصرتها خوذاً على فقرها
كثها الريحان في الأتية
وسط نثار القمح تمشي به
في حقلها ضاحكة لاهية
قريرة العين بما تجتلي
من فرشاة محتضناً وأبيه

الصعبه ووضح له تراكيب الجمل وتاليف العبارات
العربية.

ومما زاد تعلقه باللغة العربية تعرفه بالشباب
الذين قدموا للعمل في مدارس بلاده «البحرين»
كمدرسين للغة العربية وآدابها - وعرض عليهم محاولاته
الأولية في قرض الشعر فوجد من عندهم ترحيباً
وتجاوباً وفي مقدمتهم المدرس الشاعر السوري (يحي
عمر) الذي أرشده الى الابتعاد عن زخرف القول
وبريقه الخارجي وأن يستل مادة شعره من معين الكلمة
الطيبة بإشراقها وعبقها - وهنا أدرك أن الشعر هبة من
الله وكسب من العلوم والآداب مصهورة في بوتقة
الفن .. لذلك عكف على القراءة والتحصيل حتى أصبح
نجماً متألّقاً في سماء الشعر العربي الخليجي.

وشعر ابراهيم العريض مفعم بالحس الفني
والرؤية الحياتية النابضة مع صفاء في الأسلوب
واتساع في الخيال - شأن الشعراء الأقداد والآباء
العظام. وعطاء «العريض» في محراب الأدب الإبداعي
تمثل في محاور ثلاثة هي المرأة والطبيعة والبطولة ..
المرأة في نظره - هي سر الحياة تحرك طاقات الحياة
في قلبه، وهي الأم .. الزوجة .. الابنة .. والأخت:
إنه يخاطب المرأة فيقول:

هم يرون الجمال صبغة زهر
وأرى العطر فيه أصل القياس

والماء يجري تحتها سلسلا
ينفض برديه من الساقية
كم أنشد الطير على بابها
بكل ما تشمعه هانيه
كلثما ينبع من قلبها
ما انطق الله به شادية
اغنية في الحب معسولة
لا الوزن يزنيها ولا القافية

وكان الشاعر البحريني يذكر أمته بمشاعر العزة والكبرياء - ما دامت الأمة العربية - تشهد التحديات من أعدائها المتمثلة في جرائم الصهاينة بعد أن وقعت أرض الديانات ومسرى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) في أسر اليهود وأصبح أهلها .. أهل فلسطين في خيام الهوان حيث لا وطن لهم يأوون إليه ولا بيوت ذات حجرات يسكنون فيها ولا حتى الأندية يجتمعون في رحابها .

ومن أعماق قلب شاعرنا (العريض) المغمس بالجراح - يأتي صوته في ديوانه .. في ملحمة (أرض الشهداء) حيث صور مواجه قبة الأقصى وحكى عن مجازر صيدا وشاتيلا وكل جهاد الشهداء في دجى الخطب من أجل رد كيد الأعداء وسحق ظلم الغاصبين إذ كان حال الفلسطينيين ولا يزال - حال مؤلم بعد العز فأرضهم نكبت ورياض حقولهم محيت حتى أصبحت شواظاً .

قال :

يادمد لقد ضايق بنا فيها المقام
لا مراعيها كما كانت ولا البيت الحرام

أين جميرتنا .. في ظلها كنت أنام
سلم الجزع فقد قطعها القوم الطعام
أين شاء كنت أزعها وللشاء بعام؟
لم تعد منها ولا ثاغية فالكل هاموا
أم غدت مسلوخة فالحم غال والطعام
أين أصحابي .. حمدان وفوزي وهشام
بعضهم يسهر مثلي تاكلوا والبعض ناموا
شتت من شملنا الأيام فالدينا ظلام
والذي قد نام منا خطه منها الرجاء
لا تقولي: أين نمضي أين يمضي المستهام
«وطن ضاع .. عليه من ضحايا السلام»

وتجديد شعر العريض اقترن بالموهبة الأصيلة والصياغة الفنية، فتنتج منه صوراً منغمة من العواطف ونماذج ثرية بالذكريات.

فقلت لها - يامي - أما لروض ناضرا
ولا الطير أحلى ما يكون لسانا
يا حسن من خد تورد في الصبا
وأعذب من ثغر يفيض بيبانا
قد كان أولى أن يبيع لبعضنا
عوالم بعض في ربيع صباننا
وما قيمة الأزهار في جانب الصبا
أليس الصبا - يا مي - أعظم شائنا
أناشدك الحب الذي عهدنا به
سويا كخفي ما يكون مكانا

الى أن يقول:

تعالى إلى عهد وثيق من الهوى
نعيش عليه في الحياة كلانا

في المنهج وخصائص التفكير والبحث العلمي

بين المنطق والمنهج :

من المعلوم أن مصطلحي المنطق والمنهج كانا يدلان على مفهوم واحد، وهو العمليات العقلية التي يتوصل بها الإنسان للوصول إلى الحقيقة، ولكنه، مع التطور الكبير والاهتمام العلمي بالمنهج في عصر النهضة وما بعده، أصبح المنهج جزءاً من المنطق مثلما كان المنطق جزءاً من الفلسفة أو مقدمة أو آلة لها.

من أجل البرهنة عليها للأخريين حين نكون بها عارفين[٢].

ويتضح من هذين التعريفين، ومن غيرهما، أن المنهج يقترب إلى الجانب العملي، لأنه يدرس موضوعاً معيناً أو علماً معيناً، مستعيناً بمبادئ المنطق، وإن كان هو الآخر له مبادئ نظرية وعقلية يجد لها تطبيقاً في ميدان معين. فهناك «حقيقة معينة»، إذن يبحث عنها المنهج، وليست حقيقة مطلقة: كما هو الشأن مع المنطق. وسيكون الأمر معنا أكثر وضوحاً حين نتعرف على مصطلح آخر هو (البحث العلمي)، ومدى صلاته بالمنهج.

بين المنهج والبحث العلمي :

مهما قيل عن «عملية المنهج» وتخصصه وقربه من حقيقة معينة ويبحث في العلوم التطبيقية أو الإنسانية، فإن الجانب النظري يبقى فيه ماثلاً. فمازلنا نبحث عن مبادئ للوصول إلى حقيقة معينة، مثلما كنا نتحدث عن مبادئ فن التفكير بشكل عام مع المنطق. وإننا

د. شلتاغ عبود

ليبيا - جامعة سبها

وهناك من يقول بأن منطق أرسطو لم يكن صورياً محضاً، بل كان فيه جانب نظري، وهو الذي يدرس المبادئ العامة للتفكير، والذي سمي بـ (المنطق الصوري)، وجانب عملي يجسد هذه المبادئ في ميادين المعرفة، ولكن شراح أرسطو وتلاميذه بعده لم يعنوا إلا بالجانب الأول[١]. واحتاجت مسيرة الفلسفة والعلم إلى مرحلة طويلة من الجهد حتى تم الفصل بين الجانبين مرة أخرى، وصار المنطق يعني بفن التفكير بمعنى عام، والمنهج يعني بالطرق التي يتوصل بها إلى الحقائق في ميدان العلوم والحياة العملية.

ولطنا حين نستحقر التعاريف، أو جزءاً منها، لكل من المنطق والمنهج نستطيع أن نقرب من طابعهما وعلاقة كل منهما بالآخر. فلقد قيل في تعريف المنطق بأنه (علم قوانين الفكر)[٢].

أما المنهج فله تعريفات كثيرة نختار منها أنه (فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما

سنجد الميدان العملي التطبيقي الخالص لكل مفاهيم المنطق والمنهج، كذلك في المجال الذي نسميه «البحث العلمي».

فإذا قيل بأن علاقة المنهج بالمنطق هي علاقة الابن بالأب، فإن علاقة البحث بالمنهج لا تقل عن هذه الدرجة الحميمة [٤]. وهذا الذي انتهينا إليه فيما يتعلق بالصلة بين المنهج والبحث العلمي بشكل خاص، هو ما انتهى إليه الباحثون في هذا المجال يقول الدكتور نجيب الحصادي: (المنهج - بغض النظر ما إذا كان علمياً أو غير علمي - مجرد فكرة تتم صياغتها في جملة من القواعد العامة التي يتوجب تطبيقها من قبل ممارسي النشاط المُعنى).

البحث العلمي في المقابل ليس فكرة، بل تحقيق عيني، وممارسة عملية لفكرة المنهج العلمي، إنه استقصاء منظم يتخذ من قواعد المنهج العلمي - في مجال تخصصي بعينه - وسيلة لتحقيق مقاصد بعينها من شأن تحقيقها تقريب أو تصعيد احتمال انجاز النشاط العلمي لمآربه [٥].

إن شأن عالم المنهج كشأن المرشد الذي يخبر قومه عن الاتجاه الصحيح لمسيرهم، أهو نحو المشرق أم المغرب، ولهم بعد ذلك أن يختاروا وسائل الوصول الى مبتغاهم - بمعنى أن البحث تتعدد اساليبه بتعدد موضوعاته ومادته في حين أن من شأن مبادئ المنهج الثبات والعموم.

وإذا كنا عرفنا المنهج واتضحت أماننا ملامحه، فإنه ممّا يزيد مصطلح «البحث العلمي» وضوحاً أن نذكر جانباً من تعريفات الباحثين له.

ومن هذه التعريفات تعريف (فان دالين)، وهو (المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل الى حلول للمشكلات التي تؤرق الانسان وتحيره) [٦].

وتعريف وتتي (Whitney) (البحث استقصاء دقيق يهدف الى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً) [٧].

ولعل تعريف الدكتور ابراهيم رفيدة أكثر هذه التعاريف شمولاً وهو (العمل العلمي الذي نتبع في القيام به خطوات المنهج العلمي، وننهج الطريقة العلمية بالتفكير والتأمل، وبذل أقصى ما نستطيع من القدرة والدقة والأمانة والتقصي لجميع الحقائق والمسائل المتصلة به، للحصول على معلومات جديدة، وربطها بمعلومات سبقت معرفتها، أو لتطويع معلومات معروفة من قبل، أو لتصحيحها وتقييمها أو تحقيقها وتوثيقها، ثم صياغتها في اسلوب موثق، أو قانون علمي عام) [٨].

وهذا التعريف فيه اشارات شاملة الى خصائص البحث العلمي، وأهدافه، فضلاً عن صفات الباحث الذي يتصدى لعملية البحث ويكابد مصاعبها ويكشف عن أسرارها.

وما من شك في أن البحث العلمي أدوات من قبل الملاحظة والمقابلات، والاستبيانات وتحليل المحتوى وأساليب القياس والخرائط والوثائق والوسائل الاحصائية الى غير ذلك من الوسائل التي تتعدد بتعدد البحوث والمعارف التي تعمل في اطارها. ومن أنواع البحوث ما يطلق عليه بالتنقيب عن الحقائق، ومنها ما هو تفسير نقدي، ومنها ما يشمل على عنصرى التنقيب والتفسير ووضع التعميمات التي تساعد على حل المشكلات [٩].

أما أهداف البحث فهي أهداف العلم الذي يسعى الى التفسير والتنبؤ والضبط [١٠]، من خلال وضع القوانين العامة التي تساعد على فهم ما يحيط بنا وتفسيره وتوظيفه لخدمة الانسان وتحقيق مقاصده في

والحاضر (دون الالتزام بالقول في انه سيبقى ثابتا في المستقبل)، والتغير الذي يعتري العلم حيث يضيفه اللاحقون للسابقين ما يجب تغييره وفق معايير الحقيقة.

٢ - التنظيم :

لا تكف عقولنا عن التفكير، ولكن ثمة فرق بين تفكيرنا التلقائي وتفكيرنا المنظم الواعي، وإذا كنا نحرص على تنظيمنا تفكيرنا وأسلوب ممارساتنا العقلية، فإنه ينبغي أن نحرص - كذلك - على تنظيم العالم الخارجي، ولا نقصر على تنظيم حياتنا الداخلية فقط [١٢] -.

ولم يكن هذا التنظيم يحيط بنا او ما ننوي عمله في مجال العلم غير اصطناع «المنهج» الذي يقودنا خطوة خطوة نحو النتائج الصحيحة. ومن العلوم أن خطوات المنهج العلمي الذي يقوده التفكير العلمي هي الملاحظة والفرض والتجريب والاستنتاج، على شيء من التفصيل.

٣ - البحث عن الأسباب :

حين نريد التعرف على ظاهرة كونية أو علمية نتساءل ب لماذا؟ للتعرف على سبب حدوثها، وكأن هذا ميل فطري في ذاتنا، فضلا على أن هناك توجيهها علميا يدعونا الى التحكم في الظواهر بمعرفة اسباب نشوئها [١٤] -.

على أن هذه القضية ليست سهلة، فهناك ما يصعب علينا فهم اسبابه لأنه خارج نطاق قدرتنا، او لأننا لم نستطع أن نهتدي إليه بعد. مهما يكن، فإن هناك خلافاً فلسفياً حول ضرورة أن يكون لكل سبب مسبب، أو أن يكون لكل علة

الحياة. وقديماً حدد علمائنا مقاصد التأليف والغاية من البحث بأنها (اختراع معدوم، أو جمع مفرق أو تكميل ناقص، أو تفصيل مجمل، أو تهذيب مطول، أو ترتيب مخط، أو تعيين مبهم، أو تبين خطأ) [١١] - . وقالوا بأنه لا ينبغي لعامل أن يؤلف أو يبحث دون أن يجعل بين عينيه بعض هذه الأهداف.

بعد هذا ننتهي الى التعرف على خصائص البحث العلمي بعد التعرف على ما هو اشمل منه، وهو التفكير العلمي، فهو أعم، والبحث العلمي أخص، والتفكير العلمي مبادئ عامة ونظرة للعلم ووظيفته وأهدافه وتطوره، والبحث العلمي جانب تطبيقي لتلك المبادئ العامة، ولقد رأينا أن هناك خلطاً لدى بعض الباحثين في الحديث عن هذه المصطلحات ، صحيح أن هناك تداخلاً بين هذه المفاهيم، ولكن هذا لا يعني من محاولة التعرف على الخطوط العامة المشتركة والمنتزعة.

خصائص التفكير العلمي :

من خصائص هذا التفكير ما يأتي:

١ - التراكمية :

وهذا يعني أن ما ينجزه العلم اليوم ليس مقطوع الصلة بما أنجزه السابقون، بل هو متصل به ومشيد عليه، على اختلاف في درجة هذا الاتصال، فقد تكون الإضافة ضئيلة في ميدان علمي، وقد تكون كبيرة، وفي بعض الأحيان تلغي العلم القديم وتؤسس لمبادئ من العلم جديدة. ولكن هذا لا ينفي مبدأ «التراكمية» الذي يعني وجوب الاعتماد بجهود السابقين والتأسيس عليها [١٢] -، ويمكن القول بشكل عام أن المعارف العلمية يتجاذبها امران: هما الثبات والتغير، الثبات على ما فرض مصداقية ثباته على العلماء في الماضي

وحيث تكون صادقة فهي صادقة في الظروف والمناسبات جميعها . وهذا ما يسمى بثبات الصدق .
إن أي عالم يتوصل إلى حقيقة علمية، يمكننا أن نلقي عليه السؤال التالي: كيف توصلت إلى هذه الحقيقة؟ وما يمكن إلا أن يبين السبل العملية التي أوصلته إلى تلك الحقيقة، وبإمكاننا التحقق من صحة دعواه [٢٢].

٤ - ومن الخير للبحث العلمي ألا يعتمد في خطواته واستنتاجاته على منهج واحد، بل يوظف الاستقراء في موضع، ويوظف الاستدلال في موضع آخر . وقد يلجأ إلى المنهج النقلي في حين ثالث [٢٣].

فالمادة العلمية تفرض طريقة خاصة في معالجتها والسير مع خطواتها . فالمنطق والرياضيات والتجريب كل هذا في خدمة البحث . وما هذه المناهج إلا وسيلة للوصول إلى الحقائق . وقديما التفت علماؤنا إلى القول بـ (أن العيون لتخطيء، وإن الحواس لتكذب، وما الحكم القاطع إلا للذهن) [٢٤] . وهذا يعني عدم الاعتماد على الحواس وحدها، ولابد من تدخل العقل للحكم والاستدلال والاستنباط .

الهوامش :

- (١) للمنطق الصوري، أسسه ومباضه، د. علي عبد المعطي محمد ود. محمد قاسم، دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٩٩٤، ص ٢١ .
- (٢) منخل إلى المنطق الصوري، د. محمد مهران، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ١٩٧٥، ص ٨ .
- (٣) مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤ .
- (٤) منهج البحث التاريخي عند البيروني، عادل محيي شهاب، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٠، ص ٥١ .
- (٥) نهج المنهج، الدار الجماهيرية، طرابلس، ط ١، ١٩٩١ .

ص ١١٥

- (٦) مناهج البحث في التربية وعلم النفس فإن دالين، ترجمة محمد توبيل نوفل وآخرين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٧، ص ١ .
- (٧) أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٧، ١٩٨٤، ص ٤٣ .
- (٨) مقدمة لدراسة مناهج البحث العلمي، د. إبراهيم رفيدة، بحث في مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ع ٦، ١٩٨٩، ص ٢٠ .
- (٩) أصول البحث العلمي ومناهجه، ص ٢٦ .
- (١٠) مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ص ٥٨ .
- (١١) ينظر منهج البحث في العلوم الإسلامية، د. محمد المسوقي، دار الأوزاعي، بيروت، ط ١، ١٩٨٤، ص ٥٧ .
- (١٢) نهج المنهج، ص ١٥٢ .
- (١٣) التفكير العلمي، د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ع ٢، مارس ١٩٧٨، ص ٢٧ .
- (١٤) المصدر السابق، ص ٢٧ .
- (١٥) فلسفتنا، محمد باقر الصدر، المجمع العلمي، طهران، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ص ٢٦١ .
- (١٦) التفكير العلمي، ص ٤٦ .
- (١٧) نفسه، ص ٥٠ .
- (١٨) أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية، د. فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، ص ٦ .
- (١٩) أسس المنطق والمنهج العلمي، د. محمد فتحي الشقيطي، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٠، ص ١٨٣ .
- (٢٠) البحوث الأدبية، مناهجها ومصادرها، د. محمد عبد المنعم خضاعي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠، ص ٥٠ .
- (٢١) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، د. فرائز روزنتال، الدار العربية، طرابلس، ط ٤، ١٩٨٣، ص ١٤٦ (ترجمة د. أنيس فريحة) .
- (٢٢) نهج المنهج، ص ١٠٠ .
- (٢٣) مناهج البحث الاجتماعي، د. عمر التومي الشيباني، الشركة العامة للنشر، طرابلس، ط ٢، ١٩٧٥، ص ٥٦ .
- (٢٤) البحوث الأدبية مناهجها ومصادرها، ص ٥٣ .

الترجمة .. أصولها ومناهجها

في المجال السياسي فقط، كما كان من القياصرة الأكاسرة، إذ كانوا يتخذون في دواوينهم ترجمة، وكذلك فعل القدماء من المصريين والحيثيين.

غير أن العرب الفضل في أن جعلوا من الترجمة صناعة هامة، وعملا فنيا خطيرا؛ حيث بذلوا من أجله جهودا كبيرة، حتى أصبح للترجمة هذا المكان العظيم عند سائر الشعوب.

مفهوم الترجمة :

يذكر ابن منظور في اللسان: أن التَرْجُمَان والتَرْجُمَان: المُفسِّرُ للسان. وفي حديث هرقل: قال لَتَرْجُمَانِهِ، التَرْجُمَانُ، بالضم والفتح: هو الذي يَتَرْجَمُ الكلام، أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع: التَراجم، والتاء والنون زائدتان[٢].

عدة المترجم :

الترجمة نظام دقيق، يحتاج ممن يخوضه أن يتسلح بما يلي:

١ - أن يكون قد أعد إعدادا فنيا يناسب المادة التي يتولى ترجمتها، ولا يكفي للمترجم الذي يمارسها أن يكون ملما إلاما جيدا باللغة المنقول عنها، واللغة المنقول إليها.

٢ - لا بد للمترجم أن يكون له الصلاحية التامة من الناحية اللغوية والفنية، ولكل فن نظامه الخاص في الترجمة.

٣ - كل علم من العلوم له جهاز خاص من حيث الأسلوب والمصطلحات وطريقة الأداء، ونحو ذلك من اللوازم التي لا بد أن يكون المترجم ملما بها ومتمرسا

إن حاجة أي أمة من الأمم إلى الترجمة، حاجة ماسة وأكيدة، وبخاصة في هذا العصر الذي نعيش فيه، إذ اتسع مجال الاتصالات بين الشعوب، وتبع هذا تبادل المنافع بينهم عن طريق الترجمة، ونقل الآثار العلمية من لغة إلى أخرى.

ولعل للعرب - قديما - الفضل في تنبيه الأذهان، وتفتيح الأذان إلى أهمية الترجمة وفاعليتها، وذلك بترجماتهم للثقافات الأجنبية من فارسية وهندية ويونانية.

وليس من الغريب أن يقال: إن أول حركة خطيرة للترجمة في التاريخ، إنما ظهرت على أيدي العرب في أواخر العصر الأموي، ثم انتشرت واسعا في العصر العباسي، حيث تناولت ضرويا عديدة من النتائج العقلي، بفضل تشجيع الخلفاء للترجمة، حتى ليروى أن الخليفة المأمون كان يعطي على الكتاب المترجم وزنه ذهباً! [١].

كما أنشأ الخليفة المأمون في بغداد سنة ٨٢٠ م معهدا رسميا للترجمة، مجهزا بمكتبة أطلق عليه اسم «بيت الحكمة» فكان هذا المعهد - من وجوه كثيرة - أهم المعاهد الثقافية التي نشأت بعد الفتح الإسكندري، والتي أسست في القرن الثالث قبل الميلاد، وفي حدود سنة ٨٥٦ م جدد الخليفة المتوكل مدرسة الترجمة ومكتبتها في بغداد.

وإن كان قد سبق هذه الحركة الواسعة في الترجمة حركات من جانب غير العرب - إلا أنها كانت



أ.د. محمد السيد علي بلاسي

أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد كتاب مصر

غيرها - لم تعرف الكتابة في أثناء عمرها الطويل. ولا يزال أصحاب تلك اللغات يمارسون الترجمة الشفوية في تنظيم علاقتهم بجيرانهم.

غير أنه ثمة وظيفة أخرى للترجمة الشفوية؛ إذ تستخدم في محاورات السياسة ومفاوضاتهم، كما تستخدم في الاجتماعات الدولية الكبيرة، التي يشهدها مئات من الأشخاص من مختلف أنحاء العالم وأصقاعه، كالاجتماعات الدولية - مثلا - لرابطة العالم الإسلامي، أو المنظمات الدولية المتخصصة.

وقد تطور نظام الترجمة الشفوية في هذه الاجتماعات وتطور منها ما يسمى (الترجمة الفورية)، حيث يضع كل من الحاضرين سماعة على أذنية، يسمع بها الحديث بأي لغة يشاء من اللغات الرسمية، وهي الآن: الفرنسية والإنجليزية، والعربية، والإسبانية، والروسية... فأيا كانت لغة الخطيب، فإن هناك أشخاصا يترجمون على الفور، إلى كل لغة من اللغات المذكورة.

ثانيا: الترجمة التحريرية :

وتعني نقل مفهوم الكلام من لغة إلى أخرى نقلا تحريريا في أي مجال من المجالات.

وفرق بين الترجمة التحريرية والشفوية: لأن العبارة الشفوية مهما كان شأنها لا تعدو أن تكون عبارة عابرة، والترجمان الشفوي قلما يحاسب على دقة اللفظ وحسن اختياره، وهو مضطر عادة إلى الإسراع كيلا يعطل السامع والمتكلم، أما الذي يترجم تحريريا، فإنه عادة لا بد له يتوخى الدقة في النقل، حتى تكون الترجمة صورة صادقة بقدر الإمكان[٦].

عليها، قبل أن يعالج ترجمة أي أثر من الآثار[٣].

٤ - أن يتسلح المترجم بثقافة واسعة من الناحيتين:

اللغة المنقول عنها والمنقول إليها .

٥ - أن يكون عالما بدلالات القاموس العادية

والشائعة[٤].

٦ - دراية المترجم بموضوع الترجمة ومعرفته

بالعالم واستخدامه للمنطق السليم وقدرته على الفهم السليم للأشياء[٥].

ألوان الترجمة :

وضع لنا مما تقدم: أن الترجمة ظاهرة طبيعية، ترتبت على اختلاف الشعوب والجماعات، وتجاورها، واتصال بعضها ببعض، وهي ظاهرة تزداد قوة ووضوحا على مر الزمن، وتطورت في مختلف شكلها وأنواعها على مر القرون، وتطورت خصائصها بتطور الجماعات البشرية نفسها، وتنوع نشاطها والظروف التي تحيط بها، وتدرجت من حال إلى حال شأن كل مظاهر الحياة البشرية.

والترجمة منذ كانت وحتى الآن تنقسم إلى ثلاثة

أقسام :

أولا : الترجمة الشفوية :

ويعتمد عليها تلك الشعوب التي لم تعرف للكتابة سبيلا، إذ تستخدم هذا النوع من الترجمة في معاملاتها مع غيرها من الأمم. ولا يزال هذا اللون قائما إلى يومنا هذا في كثير من الأقطار، إذ من المعلوم أن هناك لغات في العالم - لعلها أكثر عددا من

نشاطات الترجمة التحريرية :

(أ) نشاط ديواني أو
مصلحي أو صحفي : إذ أن
كثيرا من الهيئات يدخل في
صميم عملها أن تتصل
بهيئات أجنبية، كما تتلقى
رسائل بلغات أجنبية، ولابد
في كلتا الحالتين من الترجمة
من لغة الى أخرى. ويدخل
تحت طي هذا النشاط،
الترجمة المتصلة بحرفة
الصحافة؛ حيث لا تعدو نقل
الأنباء الخارجية.

وهذا اللون من الترجمة
لا يجد المترجم فيه كبير عناء
في ممارسته، فضلا عن أنه
ينجز بسرعة تكاد تكون
آلية.

(ب) نشاط سياسي:
ويتناول الرسائل الخطيرة بين
أشخاص نوى خطر من
أمثال: الملوك والرؤساء
والأمراء والزعماء، وكثيرا ما
يتطلب ترجمة هذه المراسلات
إذا كانت بلغة غير لغة المرسل
إليه.

(ج) نشاط يتناول الآثار
العقلية: وهو الذي يتصل
بأمر مستقر ثابت على مدى
الأيام؛ ولذلك يجب ويتطلب
في إنجازه كثيرا من العناية
والتأني: لأن الترجمة هنا

تتناول بعض الآثار العقلية، تلك الآثار التي يتألف منها
التراث الثقافي لكل جيل من الناس.

هذا الطراز من الترجمة للآثار الفكرية هو الطراز
الخطير؛ حيث إنه يتناول المؤلفات التي ترجع الى جميع
العصور قديمها وحديثها. والذي يعتبر أهم مظاهر
النشاط للمترجمين في وقتنا هذا.

ومع أن ما يكتبه الكتاب وما يؤلفه المؤلفون لا
يكون دائما من الآثار الباقية، والتي تستحق البقاء،
فإن المترجمين لا ينشطون لترجمة أى أثر إلا إذا رآه
أنه يستحق البقاء ولو إلى حين.

وترجمة الآثار العقلية يطلق عليها بعض الكتاب:
(الترجمة الفنية)، نظرا لأنها تحتاج - بحق - إلى خبير
متمرس يقوم بترجمتها وفق نظام معين فكم من كتاب
ضاعت فائدته حين أسندت ترجمته الى شخص غير
خبير بمادة الكتاب، فلم يستسغه القراء، ولم يستطع
مترجم آخر أن يجازف بترجمته، لأن الكتاب من
الوجهة النظرية قد ترجم فعلا، وملا رفاف المكتبات،
وسيطل في الأغلب الأرجح متنبؤا مكانه على تلك
الرفاف لا يبرحها.

أقسام الترجمة الفنية :

إن ترجمة الكتب والمقالات والرسائل، مع اختلاف
موضوعاتها، قد دعا الكتاب لأن يكونوا شديدي العناية
والحرص بهذا الضرب من النشاط، أسوة بسائر
ضروب النشاط الفكري، ولذا فقد قسموا هذا اللون من
الترجمة الى أقسام ثلاثة ناظرين الى ناحيتين: الأولى:
مادة الكتاب، والثانية: طريقة الأداء والأسلوب واضعين
في الاعتبار مؤهلات المترجم في كل قسم من الأقسام
الثلاثة:

القسم الأول:

ما كانت المادة أهم شيء في الكتاب، ويגיע الأداء
والأسلوب في المرتبة الثانية، كالمواد العلمية - مثلا - من
رياضة وطبيعة وفيزياء وهندسة وكيمياء... وهذا اللون

ففي
أواخر
العصر
الأموي
ظهرت
أول
حركة
للترجمة

لا بد لمن يتصدى لترجمته أن يكون على علم بأصول العلم الذي ينقله ويمصطلحاته في اللغتين: المنقول عنها والمنقول إليها.

القسم الثاني :

ما كانت مادة الكتاب في المكان الأول، وناقستها في هذه المكانة: سلامة الأسلوب وطريقة الأداء. ويدخل في هذا الباب: العلوم الاجتماعية والفلسفية وكتب السياسة والتشريع... ولا بد لمن يتصدى لترجمة هذا اللون: أن يكون أسلوبه رصينا، سهل التناول، بعيدا عن التعقيد والإغراب، وأن يكون ملما بالموضوع الذي يترجمه إمام الخبير به المحيط بجميع أطرافه.

القسم الثالث :

ما كان جمال الأسلوب وحسن الأداء وروعة العبارة، من أخص مميزات الكتاب، إلى جانب غلبة عنصر الخيال والابتكار عليه، وهذا بالطبع هو العمل الأدبي الذي يشمل الشعر والنثر الفنى والقصصى والمسرحيات والروايات والمقالات الأدبية.

الأثار الأدبية .. والترجمة :

والترجمة الأدبية من أهم الموضوعات جميعاً في الترجمة، لأن الآثار الأدبية تتبوأ أعلى مكان في الحياة الثقافية والتراث الثقافي لكل أمة، لذلك كانت ترجمة الآثار الأدبية أهم وأوسع نشاط في ميدان الترجمة كله فهي الترجمة التي لا بد للمترجم أن يتخير لها اللفظ، وأن يعنى فيها بجمال العبارة كعنايته بنقل ما اشتملت عليه من المعانى: فالكلام الجميل يجب أن ينقل إلى كلام جميل .. وما يحسه من يقرأ الأصل يجب أن يشابهه من يطالع الترجمة..

لذا كان على القائم بترجمة الآثار الأدبية، أن يمثل لما يلي، حتى يأتى بالثمرة المرجوة من ترجمته:

١ - أن يكون أديباً راسخ القلم في التأليف الأدبي.

٢ - يجب أن يكون ملماً بالأصول السليمة للقيام

بعمل الترجمة.

٣ - يجب أن يقرأ العمل

الأدبي جميعه.

٤ - محاولة نقل الآثار

والأمثال إلى عبارات أدنى

إلى ذلك.

٥ - المحافظة على روح

النص[٧].

ثالثاً : الترجمة الآلية :

ازدادت أهمية الترجمة في السنوات الأخيرة واتسع دورها في المنظمات الدولية المختلفة التي تتطلب ترجمة الوثائق الحكومية المقدمة من الحكومات المشتركة بها إلى لغات أخرى كما هو ملاحظ في السوق الأوروبية المشتركة التي تتفق أكثر من نصف ميزانياتها على الترجمة ويحتاج العلماء الى ترجمة سريعة للتقارير ونتائج الأبحاث التي ينشرها أقرانهم بالبلدان الأخرى. كما تقوم وكالات الاستخبارات للعديد من الدول بترجمة كميات هامة من الوثائق والمعلومات.

وتجد هذه المنظمات صعوبة في الحصول على المترجمين المؤهلين القادرين على ترجمة هذا الكم الهائل من المواد. وليس أدل على

لاهتمامهم
بالخ
بالترجمة،
المأمون
كان
يعدل
ثمن
الكتاب
المترجم
ذهباً

ندرة المترجمين من قيام هيئة الأمم المتحدة بتعيين مترجمي اللغة العربية وتدريبهم على نفقة الأمم المتحدة لعدم توافر المترجم الجيد الذي يمكن أن يمارس عمله فور تعيينه. وفي ظل عالم تحرره الاقتصاديات يصبح الأمل في أن يقوم الحاسب بالترجمة أربعاً وعشرين ساعة يومياً دون إجازة أو علاوة بما يستحق أن تنفق من أجل تحقيقه الأموال. ومنذ ظهور الحاسب الرقمي Digital Computer في أواخر الأربعينيات فكر علماء الحاسب في الاستفادة من سرعته الفائقة في البحث عن الكلمات وإمكانية تخزين القواميس ثنائية اللغة فيه لعمل برمجيات للترجمة من لغة لأخرى [٨].

ولقد مرت برمجيات الترجمة الآلية منذ الخمسينيات حتى الوقت الحاضر بمراحل وتطورات نجمها فيما يلي:

الجيل الأول: ١٩٤٦م - ١٩٦٦م:

تركزت المحاولات الأولى في الولايات المتحدة على

الترجمة بين اللغة الروسية واللغة الإنجليزية، وكان التصور لدى علماء الحاسب أنه يمكن استخدام طرق حل الشفرات السرية التي اعتمدت على تحليل تكرار الحروف والكلمات في عملية الترجمة الآلية. وكان القاموس ثنائي اللغة من أهم مكونات برمجيات الترجمة. وكانت عملية الترجمة تتم على النحو التالي: يدخل النص المطلوب ترجمته إلى الحاسب الذي يقوم بمطالعة النص كلمة كلمة ويبحث عنها في القاموس وعندما يجدها يستخرج الكلمة المقابلة لها باللغة الأخرى ويضيفها إلى النص المترجم دون أي محاولة لفهم النص أو حتى تحليله من الناحية الصرفية أو النحوية أو الدلالية. وكان الأمر لا يزيد في حقيقته عن كونه ترجمة حرفية أي كلمة بكلمة. على أنه في بعض الأحيان كان يأتي بنتائج مشجعة.

فلتصور مثلاً - أننا أدخلنا إلى الحاسب أحد القواميس (إنجليزي - عربي) وطلبنا من الحاسب ترجمة الجملة التالية: Ali left for Cairo yesterday، سيبحث الحاسب عن الكلمة الأولى في القاموس ثنائي اللغة الذي سيتضمن بالطبع أسماء الأعلام وسيجد أمام كلمة (Ali) اللفظ العربي «علي» فيضع اللفظ العربي على رأس نص الترجمة ثم يبحث عن الكلمة الثانية وهكذا وعندما ينتهي يكون قد كون الجملة التالية: علي غادر إلى القاهرة أمس.

وليس من الصعب ادخال بعض المعلومات إلى الحاسب كوضع الفعل في أول الجملة العربية دائماً وبهذا نحصل على الجملة. غادر علي إلى القاهرة أمس.

ونظراً لأن التجارب الأولية قامت على جمل محدودة مثل المثال الذي أعطيناه أعلاه، فقد تحمس العلماء لإمكانية بناء برامج لترجمة كافة النصوص، وتدفقت الأموال لتمويل العديد من الأبحاث في هذا المجال.

العرب في عصورهم الزاهرة جملا من الترجمة صناعة لها رجالها وصانعوها

ونستطيع أن نوجز سمات المحاولات الأولى فيما يلي:

- ١ - الاعتماد على القاموس الإلكتروني ثنائي اللغة.
- ٢ - استخدام طرق حل الشفرات السرية.
- ٣ - إعادة ترتيب الكلمات.
- ٤ - اعتبار الكلمة هي الوحدة اللغوية الأساسية للترجمة.
- ٥ - كان من أهم المشاكل اللغوية هي الكلمات التي تنتمي لأكثر من نوع صرفي Homographs.
- ٦ - عدم دراسة تأثير السياق على معاني الكلمات.
- ٧ - لم يكن للتحليل الدلالي دور في برمجيات الترجمة الآلية. وكانت التوقعات كبيرة جدا نوجزها فيما يلي:

- أ - أن يقوم الحاسب بعمل المترجم.
 - ب - أن تكون دقة الترجمة بنسبة ٩٥٪.
 - ج - سرعة فائقة للآلة.
 - د - أن تقوم الآلة بترجمة أى نص سواء كان نصا علميا أو أدبيا.
- إلا أن العلماء فوجئوا بمدى تعقيد اللغة الإنسانية وكَم المعلومات الهائل المستخدم في الترجمة. فاللغة الإنسانية غامضة بطبيعتها ومعظم الجمل لها معانٍ مختلفة ونحن لا ندرك هذا لأننا نسمع الجمل في سياق معين ونستخدم معرفتنا بالعالم كي نخترار تلقائيا المعنى المقصود.

وقد أدرك العلماء في الستينات استحالة قيام الحاسب بعملية الترجمة في ظل التقنية المتاحة في ذلك الوقت، ودارت تقارير العلماء حول القضايا التالية:

الفرضية الأولى : تتطلب الترجمة الجيدة حدا أدنى من فهم النص.

الفرضية الثانية : من الصعب جدا أن يقوم الحاسب بفهم النص.

النتيجة المنطقية : الترجمة الآلية غير ممكنة.

ومن ثم، صدر قرار أكاديمية البحث العلمي بالولايات المتحدة في عام ١٩٦٦م بعدم جدوى البحث في هذا المجال ووقف التمويل.

الجيل الثاني :
الثمانينيات :

ويرى أنه وإن كانت الترجمة الجيدة تتطلب حدا أدنى من فهم النص إلا أنه لم يعد من الصعب الآن أن يقوم الحاسب بفهم النص، بحيث أصبح من الممكن لدى الحاسب الآلي أن يفهم النصوص اللغوية عن طريق استخدام تقنية الذكاء الاصطناعي[٩].

ولقد توصل - مؤخرا - بعض علماء وخبراء الكمبيوتر لاختراع كمبيوتر لا يتعدى حجم حقيبة اليد الصغيرة. ونذكروا أنه يعتبر أول مترجم فوري نقال محمول في اليد، يقوم بترجمة العديد من الجمل التي يسمعونها من لغة معينة إلى عدة لغات.

وأشار هؤلاء العلماء إلى أن هذا الجهاز لا يتعدى وزنه نصف كيلو جرام، ويعمل بالبطارية، ويلحق به أشرطة صغيرة في حجم اليد، وكل شريط مختص بلغتين معينتين يترجم بينهما مثل: الإنجليزية والفرنسية... تستطيع أن تختار الشريط حسب اللغة التي تريد التعامل معها، وتضعه داخل الجهاز لتحصل على مترجم

الثقافة

الواسعة

في

لغة

الترجمة

ضرورة

لازمة

للمترجم

فوري رهن بإشارتك [١٠].
وقد استخدم في هذا
الاختراع علم الذكاء
الاصطناعي [١١] خاصة في
برامج الترجمة، وهو يعد من
أحدث العلوم المستخدمة في
الكومبيوتر.

مشكلات الترجمة :

أولا مشكلات عامة :

١ - عدم التناسب بين الفنون المترجمة:

فإن هناك إسرافا في
بعض النواحي، وتقصيرا في
بعض العلوم ولا شك أننا
بحاجة الى تنسيق جدى تحت
إشراف هيئة مختصة، تعمل
على الموازنة بين النتاج
المؤلف والمترجم.

٢ - الترجمة الحرفية :

يحكى أن علماء الاتحاد
السوفييتي اهتموا الى صنع
آلة تتولى الترجمة فما عليك
إلا أن تضع الكلام الإنجليزى
في ناحية، فتخرج العبارة
الروسية من الجانب الآخر..
وقد أراد زائر انجليزى أن
يختبرها بالمثل الانجليزى
المشهور (Out of sight out
of mind) أى البعيد عن
النظر بعيد عن العقل، فإذا
بالآلة الالكترونية تترجمه:
(Invisible Idiat) أى معنوه

لا يرى؟! ومع أننا نضحك من هذه الترجمة، إلا أنها
ترجمة حرفية في غاية الدقة، فالشئ إذا كان بعيدا
عن العين فهو لا يرى، كما أن الشئ البعيد عن العقل
من معانيه: فقد الإدراك، فهو إذاً معنوه!
ولو أردنا أن نترجم - وبخاصة الآثار الأدبية - بهذا
الأسلوب الحرفي، لأدى ذلك - لا محالة - الى قلب
المفهوم في كثير من الأحيان - فالأمانة في الترجمة
إذن.. هي الأمانة على المعنى أكثر مما هي أمانة على
اللفظ [١٢].

غير أنه من الممكن استعمال تلك الآلة الحرفية في
ترجمة الحقائق العلمية وبذلك تعطى نتائج باهرة!
فضلا عن أنه يمكن استخدام تلك الآلات في ترجمة
المحادثات وغيرها بعد برمجتها بعلم الذكاء
الاصطناعى، وبذلك تعطى المطلوب، كما وضعنا - أنفا
- عند الحديث عن الترجمة الآلية وآخر التطورات التى
وصلت إليها .

٣ - إسناد الأمر الى غير أهله:

من الغريب أننا لا نطالب البناء أو التجار - مثلا -
بأن يصنع لنا ثوبا تلبسه، أو حذاء نحتديه، ولكننا مع
ذلك ربما كلفنا صحفيا من الدرجة المتوسطة أن يترجم
كتابا في الفلسفة أو الأدب اعتمادا على معرفته
اللغوية!!

٤ - الترجمة غير الأمينة:

ونجد ذلك في ترجمات كثير من الكتب، حيث يقوم
المترجم بمسخ صورة الكتاب عن طريق عدم نقله الكلام
كما هو في الأصل المنقول عنه، بل وإضافة أشياء في
صلب الترجمة لم يذكرها صاحب الكتاب! ونرى ذلك
بوضوح في ترجمة د - عبد الرحمن أيوب لكتاب: «اللغة
بين الفرد والمجتمع: أوتوجسبرسن»، حيث مصر الأمتة
الإنجليزية الواردة في الكتاب بل وجعلها بالعامية
فضلا عن أنه شوه صورة الكتاب بعدم النقل عن ما
جاء في المصدر الأساسى!!

٥ - وجود كلمات في لفات غير موجودة في العربية:

الترجمة

ليست

مجرد

نقل

حرفي

للكلمات

وهنا يتعين على المترجم أن يترجم ترجمة جميلة.

٦ - عدم فهم دلالات الألفاظ الشائعة :

وبذلك يجب على المترجم أن يكون عالماً بدلالات القاموس وكذا الدلالات الشائعة، حتى لا يقع فيما وقع فيه مترجم «كامب ديفيد» حين ترجم لفظ «الخصم» بمعنى «العدو» والمفروض أن يترجمها بمعنى «الطرف الآخر» حيث إن الموقف يستدعي ذلك.

٧ - عدم سلامة اللغة:

فكثير من المترجمين لا يحسنون الكتابة بلغة الضاد، فزاهم يخترعون وينحتون كلمات لم نسمع بها ولم نعرفها اللغة العربية في كل مراحلها التاريخية، وكل هذا بسبب التأثير المباشر بالأساليب المترجمة، دون النظر إلى الأصول والقواعد التي تفرضها طبيعة اللغة العربية.

وندرج هنا بعضاً من الترجمات الخاطئة، التي نتجت بسبب جهل المترجمين بلغتهم الكريمة:

أ - يقولون : «انتظرتك لساعتين». وهذا خطأ فاللام لا تدخل على الظرف وهذا الخطأ ناتج عن الترجمة الفاسدة لجملة: I waited you for two hour والصواب : انتظرتك ساعتين.

ب - يقولون : «كلما عمل، كلما ربح». وهذا خطأ، فلا يجوز تكرار الظرف الشرطي. وهذا التركيب المخطئ جاء من الترجمة المخطئة للجملة الإنجليزية: (The more he works, The more he earns).

والجملة الفرنسية: (Plus il travaille, Plus il gagne) والصواب: «كلما عمل» ربح. كقوله سبحانه وتعالى: {كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً} (آل عمران/ ٢٧).

ج - يقولون : «في الوقت ذاته» وهذا خطأ، لأن «ذات» ليست من ألفاظ التوكيد المعنوي عند النحاة العرب، وحصل نتيجة ترجمته خطأ عن الجملة الإنجليزية (At the same time) والصواب: في الوقت نفسه.

هذا، وهناك أساليب تفوح منها رائحة العجم واللحن، نحو كم هو جميل؟ والصواب: «ما أجمله؟» أو «جميلة هي الحياة» والصواب: «الحياة جميلة». إذ لا يصح الابتداء بالنكرة [١٢].

ثانياً : إشكالية الترجمة الآلية :

١ - لا يمكن أن تكون الكلمة هي وحدة الترجمة الأساسية، بل للترجمة أن تكون على مستوى الجملة والفقرة فكثير من الكلمات تتحدد معانيها من خلال ما يرد قبلها وبعدها من كلمات. ولم يؤد الاعتماد على القاموس ثنائي اللغة إلى حل مشكلة الترجمة إطلاقاً. فإذا أدخلنا قاموس المورد إلى الماسب لكي نستخدمه برمجيات الترجمة الآلية لترجمة الجملة التالية:

(While Driving
Down Route 72, John
Swerved and Hit Atree)

فلو أخذت البرمجية تبحث عن معاني الكلمات في القاموس لوجدت أمام كلمة يسيرة مثل (Hit)؟ ما لا يقل

ترجمة
الكتب
أمانة
علمية
لا يقوم بها
إلا الأكفاء
من
المتخصصين

عن ١٢ معنى والاشكالية هنا في كيفية اختيار المعنى المرادف لهذه الكلمة كما وردت في الجملة بالذات، والسؤال المطروح هنا هو: ما هي القوانين التي يمكن أن يستبعد الحاسب على أساسها الأحد عشر معنى الأخرى لكلمة (Hit)؟ وما هي المعلومات التي تحتاج لإدخالها إلى الحاسب ليقوم باختيار المعنى الصحيح من بين البدائل المتاحة؟ [١٤].

والجواب فيما نرى : أنه ليس أمامنا إلا نظام الذكاء الاصطناعي: فغن طريقه يحل كثير من تلك المشكلات.

٢- يجب أن تحاكي برمجيات الترجمة الآلية عملية الترجمة كما يقوم بها الإنسان. ويتطلب هذا فهم عملية الترجمة الإنسانية فهما واضحا وسليما [١٥].

٣- يعتمد التقدم في الترجمة الآلية على تقدم علماء اللغة في التحليل الدلالي وخلق نماذج صورية للدلالة يمكن للحاسب أن يستخدمها. وأدرك علماء اللغة جيدا صعوبة ودقة البحث في هذا المجال. كما يدركون أن التقدم فيه يسير ببطء شديد.

أخطاء الترجمين أدخلت مصطلحات جديدة خاطئة على الغة العربية

٤- لا يقتصر فهم النصوص اللغوية على المعنى الدلالي، فالترجم يعتمد على فهمه للحياة ومعلوماته عن العالم، بل ويستخدم قدرته على فهم الحاجة وتتبع المناقشات، والوصول الى الاستنتاجات السليمة ولهذا فإن تقدم الذكاء الاصطناعي مجال تمثيل المعرفة (Knowledge Representaion) وبرامج الاستنباط (Inference Engines) سيؤدي إلى خلق جيل جديد من برمجيات الترجمة الآلية (١٦).

توصيات :

مما سبق نرى أنه من الواجب على المسؤولين في العالم العربي، تكثيف الجهود، ولم الشمل والتنسيق نظرا لمكانة الترجمة الضرورية في عصرنا الذي نعيش فيه؛ ولذا يجب أن يفكر جديا فيما يلي:

(أ) التوسع في إقامة معاهد للترجمة وممارسة فن الترجمة على أيدي أساتذة متخصصين في هذا المجال.

(ب) إنشاء مكتب لتسجيل كل ما يترجم في كل بلد عربي، منسقا بين الفنون المترجمة.

(ج) العمل على إنشاء هيئات علمية خاصة في كل قطر عربي، تقوم بترجمة أمهات الكتب العلمية القديمة والمعاصرة في مختلف اللغات والتخصصات [١٧].

(د) توجيه الدعوة إلى جميع المترجمين إلى الاهتمام - أولا وأخيرا - بسلامة لغة القرآن الكريم، نحوا وصرفها ولغة ورسما، وعدم الأخذ بالأساليب والتراكيب التي تشوه جمالها وعظمتها [١٨].

(هـ) ينبغي تشجيع الأبحاث في مجال الترجمة الآلية في العالم العربي [١٩].

وبذلك يمكن أن تؤدي الترجمة رسالتها في الحياة على أكمل وجه، ويقضل صورة، ومن الله العون والتوفيق.

الهوامش :

(١) لمزيد من التفصيل راجع: الألب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي: د. علي محمد حسن العماري، والاستاذ زكي علي سويلم، ص ٦١، ٦٢ ط. الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية سنة ١٣٩٨. ومجلة «الكويت» العدد ٦٠ ص ١٤، مقال: «تاريخ العلم عند المسلمين» للكتاب.

(٢) ابن منظور اللسان مادة (ت و ج) ص ٢٦ تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، ط. دار المعارف.

(٣) د. محمد عوض محمد: فن الترجمة، ص ١٨، ١٩، ط. قسم البحوث والدراسات الأدبية التابع لمعهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية سنة ١٩٦٩م.

(٤) مثل إطلاق كلمة الوالد على الرجل عند السعوديين.

(٥) د. علي فرغلي: الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية. مقال منشور في مجلة «عالم الفكر» مجلة فصلية تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية: المجلد الثامن عشر - العدد الثالث - أكتوبر نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٧م، ص ١٤١.

(٦) د. محمد عوض محمد: فن الترجمة، ص ١٣، ١٥. بتصرف، ط. قسم البحوث والدراسات الأدبية التابع لمعهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية سنة ١٩٦٩م.

(٧) المرجع السابق ص ١٥، ١٧، ١٩، ٣٣ فراجع تجد مزيداً من التفصيل.

(٨) د. علي فرغلي: الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية مقال منشور في مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن عشر - العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٧م، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٩) المرجع السابق: ص ١٣٠ - ١٣٢ بتصرف.

(١٠) عفت السلمي: مترجم متحرك يصاحبك في رحلاتك حول العالم، مقال منشور بمجلة «العربي الصغير» مجلة شهرية تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية - العدد ٢٧ السنة الثالثة - أبريل ١٩٨٨م ص ٢٨ بتصرف يسير.

(١١) يختلف علماء الذكاء الاصطناعي في تعريفهم لهذا

العلم فينظر ونسبون اليه كحد العلوم التطبيقية ويحدد الهدف الرئيسي للبحث في علم الذكاء الاصطناعي بأنه جعل الحاسبات الآلية أكثر ذكاءً ونفعاً للإنسان ويرى أن الهدف الثانوي هو فهم الذكاء الإنساني بينما ينظر «شارنيك» ومالك ديموت» الى الذكاء الاصطناعي باعتباره علماً أساسياً يسعى لتفسير ظاهرة انسانية هي ظاهرة قدرات العقل البشري، ويحددان هدف البحث الرئيسي في علم الذكاء الاصطناعي بأنه يسعى لدراسة القدرات العقلية الإنسانية من خلال برامج الحاسب الآلي تحاكي هذه القدرات: د. علي فرغلي: الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية مقال منشور في مجلة «عالم الفكر» المجلد الثامن عشر -

العدد الثالث - أكتوبر ديسمبر ١٩٨٧م ص ١٢٠.

(١٢) علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص ٢٤٢، ٢٤٣، دار نهضة مصر.

(١٣) عباس هاني الجراح: الترجمة الفاسدة وأثرها في سلامة اللغة العربية كلمة منشورة في مجلة الفيصل، العدد ١٣٦، شوال ١٤٠٨ هـ ص ١١٢، ١١٣ بتصرف.

(١٤) د. علي فرغلي: الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية مقال منشور في مجلة «عالم الفكر» المجلد الثامن عشر - العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر ديسمبر ١٩٨٧م، ص ١٣٢.

(١٥) المرجع السابق: ص ١٣٤ فراجع تجد مزيداً من التفصيل.

(١٦) المرجع السابق: ص ١٣٤، ١٣٥.

(١٧) نقلاً عن توصيات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين لجمع اللغة العربية بالقاهرة. لمزيد من التفصيل انظر، اخبار التراث العربي، نشرة يصدرها معهد المخطوطات العربية في الكويت العدد السابع والعشرين، محرم صفر ١٤٠٧ هـ.

(١٨) عباس هاني الجراح: الترجمة الفاسدة وأثرها في سلامة اللغة العربية. كلمة منشورة في مجلة «الفيصل» العدد ١٣٦ - شوال ١٤٠٨ هـ، ص ١١٣.

(١٩) د. علي فرغلي: الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية عدد أكتوبر ونovمبر ١٩٨٧م ص ١٤٢.

(راسين) شاعر المواطف الإنسانية

اليتيم بين أساتذة ممتازين فثقّفوه ثقافة عميقة
رصينة وألقوا في نفسه بذار التدين والورع، على أنه
لم يكن يجد مؤنسا في ذلك الدير الموحش إلا كتب
الأدب يختلسها من المكتبة اختلاسا ويختلى بها تحت
الأشجار بالوادي الصغير الذي كان الدير قائما في
أحضانها. وما هو ينشد الشعر يتغنى بجمال الريف
ويترجم الترانيم اللاتينية التي يرتلونّها في المحراب
إذا كانت صلاة المساء.

وأضى الحياة جميلة حلوة حتى بلغ في الدير
التاسعة عشرة من عمره وقد أتقن اللغتين اللاتينية
واليونانية. وكان ملاذه في وحدته الرهيبة بالنسبة
لسنة كتب الأدب التي يختلسها اختلاسا ويتخفى
تحت شجرة من أشجار الدير ليقبل على قراءتها في
شغف كبير. وقد أصبح في هذه السن ينشد الشعر
متغنيا بجمال الطبيعة في الريف، وكان يقرأ
هوميروس وسنيكا وفرجيل وأوربيديس.

ولسنا نعلم عن محاولات لراسين في هذه
المرحلة إلا أنه رحل الى باريس وسبب الرحيل حبه
لدراسة المنطق والفلسفة في كلية هاركور ثم عمل
موظفا عند الدوق دي شيفريز.

ازدهر الأدب الفرنسي في عهد الملك
لويس الرابع عشر وهو الملك الذي عرف
بتذوقه للأدب وحديه على المبدعين. وقد
حفظ لنا الأديب الفرنسي فولتير مقاطع
كثيرة من نثر الملك البديع الذي يكتبه على
هيئة مذكرات على فترات متوالية.

فليس بغريب أن يزدان ملكه ويلاطه بعدد كبير
من أعلام الأدب الفرنسي من أمثال بوالو وكورني
وموليير ولافونتين ولاروشفوكو صاحب الحكم
الشهيرة.

وفي أوائل عهد الملك لويس الرابع عشر، ولد
جان راسين المسرحي القدير في عام ١٦٣٩م ببلدة
صغيرة شمال باريس اسمها ميلون. ولكن القدر
أراد لهذا الصبي أن يفقد أبويه وهو في الرابعة من
عمره فكلفته جنته لأبيه امرأة متدينة فاعتزلت في
دير بور رويال وعهدت بحفيدها اليتيم جان راسين
الى رجال دير بور رويال وهم قوم زهاد رغبوا عن
الحياة الدنيا وكرسوا أنفسهم للعبادة والعلم
والفلسفة وعاشوا عيشة الرهبان. وشب الغلام



د. طاهر تونسي

جدة

والعشرين انتج أروع أعماله قاطبة باجماع النقاد من أمثال فولتير وتين وسانت بيغ وفاجيه وذلك باصداره مسرحية «أندروماك» وذلك عام ١٦٦٧م. وقد اتخذ راسين مصدرا لمسرحيته جملة من المصادر وهي إلياذة هوميروس وانياده فرجيل وأندروماك ليوربيدس.

وتبدأ مسرحية أندروماك في بلاط بيروس حيث يصل أورست وييلاد من بلاد اليونان ليطالبوا بيروس بتسليم الطفل استيانكس ابن بطل طروادة هكتور الذي يعيش مع أمه أندروماك الأسيرة في بلاط بيروس. وهذا ظاهر الوفاة ولكن عاملا آخر يدفع أورست الى المجيء وهو هيامه بهرميون خطيبة بيروس. لم يوافق بيروس على تسليم الطفل الى اليونانيين. ولكنه يطالب أندروماك أن تتزوج به في الحال غير أنها تريد أن تظل وفية لذكرى زوجها البطل هكتور. ويستولى الحق والغيط على هرميون بسبب هيام خطيبها بالأميرة الطروادية وأخبرت أورست أنها ستعود معه الى بلادها. غير أننا نرى من ناحية أخرى أن بيروس استولى عليه الملل من صدور أندروماك فيعلن أنه سيتزوج هرميون. وتذهب

بدأت حياته الأدبية بتعرفه على شخصية أدبية عظيمة وهي شخصية الأديب لافونتين، وشرع ينظم الشعر وكانت أولى قصائده «حورية نهر السين» التي كتبها وأرسلها الى الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٦٠م، فعرفه الملك لويس الرابع عشر وكافئه بمائة جنيه ذهبية وجعل له معاشا قدره خمسة وعشرون جنيهًا وانغمس بعد تربيته الدينية في حياة المدينة المماجنة.

وبعد سنوات أربع كان العالم الأدبي على موعد مع أول إنتاج راسين المسرحي وهو «مأساة طيبه» عام ١٦٦٤م وهو في الخامسة والعشرين، وتبدأ المسرحية بالصراع بين ابني الملك أوديب واسمهما (إتيوكل وبولينيس) على عرش طيبه حتى قتل كل منهما الآخر ثم انتحر حبيب اختهما انتيجون واسمه هيمون. ويشهد الحزن بجوكاست والدة الشقيقتين فتنحدر وتلحق بها انتيجون. ويقرر كريون الشرير الذي أوغر صدر الأخوين معاقبة نفسه.

ولا تعد المسرحية عند النقاد من خيرة مسرحياته. وأتبعها بمسرحية الإسكندر وقد مثلتها فرقة موليير. وعندما كان راسين في الثامنة

الانتقام؟!

وتقتل هرميون نفسها، فيجن أورش وياتي إليه صديقه بيلاد ليخلصه من الشعب الذي قتل مليكه. ثم أتبع هذه المسرحية بمسرحية المتقاضين وبرينكس. وفي الحادية والثلاثين من عمره كان للجمهور الفرنسي وقفة مع رائعة جديدة هي «برينيس». كان الناس بعد أندروماك منقسمين بين معجب بكورنى ومعجب بخصمه راسين حتى جاءت مسرحية برينيس ليصرع بها الشاب راسين الأديب العجوز كورنى. انها الموقعة الفاصلة بينهما وللصراع قصة مؤثرة رائعة. روى القصة من جانب كورنى كاتب ترجمته ابن أخته الأديب فونتنيل. وروى من جانب راسين ابنه جان راسين في ذكرياته عن أبيه. وأترك للأديب فولتير رواية القصة يقول فولتير: «أرادت الأميرة هنرييت زوجة أخى لويس الرابع عشر أن يُنشىء كل من راسين وكورنى مأساة مسرحية عن غرام تيتوس وبرينيس فقد كانت تتوق الى أن نستعيد على المسرح قصة حبها للملك وحب الملك لها، ذلك الحب الذى وضع خطره على الأسرة المالكة حذراً له، ولكنه ظل في قلبيهما عاطفة صامته عزيزة ولذلك حملت الماركيز دانجو. وكان كاتم سر غرامها بالملك أن يدعو في الخفاء كورنى وراسين كلا على حدة الى إخراج هذا الموضوع الذى كان يبدو أنه غير خليق بالمسرح وأنشئت المسرحيتان في سنة ١٦٧٠م دون أن يدري أحد منهما أنه يبارى

أندروماك بعد ذهاب عزها الى هرميون فاتتة الإغريق ترجوها أن تحمى ولدها استياناكس فتتبرها. وتتوسل أندروماك الى بيروس فيخبرها بين أمرين إما الزواج به مع حماية الطفل وإما أن يسلم الطفل الى اليونانيين.

وتقرر أندروماك الزواج من بيروس لتضمن عدم تسليمه لليونانيين على أن تتحدر بعد أن تتم مراسم العقد في المعبد وفاء لزوجها هكتور. ثم تزداد هرميون ثورة وغیظا فتعهد الى أورش قتل بيروس وترد عى اعتذاراته بلوم مرير. وأقدم أورش على قتل بيروس في المعبد تلبية لطلب هرميون ولكنها تحزن لمقتله وتقول:

أين أنا .. ماذا عملت .. ماذا يجب أن أعمل أيضا ١٩٠٠؟

أى ثورة تتملكنى وأى حزن يلتهمنى. ١٩٠٠! إنى أسرع من هذا القصر هائمة لا رأى لى ١٠٠. أه ١٠٠! لا أستطيع أن أعرف هل أحبُّ أنا أم أبغض ١٩٠٠! ياله من قاس ١٠! كيف أذن لى بالإنصراف! ١٩! أكان يجب أن تصدق عاشقة قد فقدت الرشء! ألم يكن واجبا عليك أن تقرأ ما في قرارة نفسى ١٩٠٠! ألم تكن ترى أثناء ثورتى أن قلبى كان يكذب فمى في كل لحظة. ١٩٠! وهبنى أردت قتله أكان يجب أن تطيعنى! ألم يكن حقاً عليك أن تستعيد هذا الأمر مائة مرة! هلا تركت لى

غريما». ومثلت الروايتان وكان النصر لراسين.

وأخرج راسين مسرحية بايزيد عن الزعيم العثماني الشهير عام ١٦٧٢م ومتريدات عام ١٦٧٣م وإيفجينى عام ١٦٧٤م.

وعندما بلغ راسين الثامنة والثلاثين أرسل راعته العظيمة فيدر. ولم تكن فيدر أول مسرحية في هذا المضمار فقد روت كتب تاريخ الأدب أن سوفوكليس أول من طرق موضوعها في مسرحيته لم يعثر لها على أثر ثم تلاه يوريبديدس فكتب مسرحية هيبوليت عن فيدر والقصة كما وردت في سير الإغريق تروي أن فيدر هي ابنة الملك فينوس ملك كريت من زوجته باسافيه. وقد اقترنت فيدر بالملك ثيسبيوس ثم ما لبثت أن كلفت بابن زوجها الأمير هيبوليت. وإذ عفا الأمير عن نزوتها حنقت عليه وعمدت إلى الكيد له فاتهمته بمحاولة اغتصابها فدعا ثيسبيوس على ولده وكان بوسيدون سيد البحار فصرع هيبوليت وسرعان ما استبد الحزن بفيدر فتجرعت بيدها كأس المنون.

وهنا ترك راسين الكتابة المسرحية بعد حزن شديد أصابه إثر ما لقيته مسرحيته الأخيرة من فشل نتيجة مؤامرة حاكها أعداؤه في دقة وبراعة فاستكتبوا شاعرا من أصدقائهم ليكتب مسرحية عن نفس الموضوع ومثلوا المسرحية فاثروا على راسين وسمعتة لولا أن تدخل الأمير كونديه الكبير فأمر بإخراج مسرحية راسين.

ترك راسين الأدب واستمع لنصيحة القسيس الذي كان يتلقى اعترافه وأقدم على الزواج فتزوج فتاة ساذجة لم تقرأ انتاجه وهي كاثرين دي رومانية وأقيم حفل حضره الملك لويس الرابع عشر وقائده كونديه ورئيس وزرائه كولبير، ومن الأدباء كورنى وموليير وبوالو ولافونتين. وعين الملك لويس الرابع عشر راسين نبيلًا وأسند إليه هو وبوالو كتابة تاريخ ملكه. فأقبل على عمله الجديد إقبالا شديداً وانكب بكل كيانه ورافق لويس الرابع عشر في حملاته الحربية.

ولم يستطع عام ١٦٨٩م أن يرفض طلب المركيزة مدام دي مانتينون عشيقة الملك التي رجته أن يؤلف مسرحيتين مستوحاة من العهد القديم فألف استير وأتالى.

وفي إحدى ليالى الشتاء عام ١٦٩٩م فارق راسين الدنيا الفانية مخلفا من الذرية ثمانية من الأنجال، ثلاثة من الذكور وخمسا من الإناث. أما ابنه الأكبر جان باتيست فقد عاش خامل الذكر، أما ابنه الأصغر لويس راسين فكان شاعرا عرف له الأدب الفرنسى قصيدة «الفيض الإلهي» ثم ألف كتابا عن حياة والده أطلعت على ترجمته الانجليزية. أما الثالث فقد مات في الهزة الأرضية عام ١٧٧٥م في لشبونة وبخلت ثلاث من بناته الدير قبل رحيله. ولئن مات راسين فقد ظل ذكره خالدا شامخا بين أعلام المسرح العالمي.

فتاة من التلال

للكاتب الروسي فلاديمير توبولوف

يتوفر في مكان آخر.. بل هو ملموس تماماً في الاتجاه الموسيقي لشتى التراجميات. اللحن الشعبي يظهر من خلال استخدام حقيقي للموسيقى الواقعية: إذ يقدم كزلايف بجرأة في موسيقاه (أصوات الأرض) حفيف أوراق الأشجار وخريف غدير جبلي وسقسقة عصافير الحصاد الشاقب، وتصور لوحات الطبيعة الشاعرية.. المزاج السعيد للفتاة أسييت تارة، وتارة أخرى نراه يتضارب مع بحثها اليأس عن الخروج من المأزق.

أما ديكور المسرح الذي صمّمته الفنانة الموسكوية مارينا سوكولوا، فكان استثنائياً بالاستارة الخلفية ذات الخطوط الكثيفة من الحجر الرمادي، حيث تصور تتابعاً رائعاً لحدود جبلية هائلة مع جسور مقنطرة، أو جذوع أشجار كثيرة العقد، موزعة بين الصخور، أو بناء غربي لقرى معلقة على منحدر جبلي، أو منظر مقرب لشارع مدينة عصري.. كان كل شيء وفي آن واحد، مسرحياً شاعرياً بكل عنف.

لكن لسوء الحظ، فقد كان لعنصر الحداثة في الأزياء - وهو عنصر جوهرى في الباليه - قد اختلط درباً إلى الإثوغرافية التي هي على أية حال قابلة

إنها قصة فتاة يافعة تتمرد على العادات والتقاليد البالية التي مازالت تسيطر على بعض مناطق جبال داغستان.. أسيت (الفتاة) كانت قد خطبت إلى عثمان منذ طفولتها.. وما كادت تنزع عنها ثوب المدرسة حتى حاولوا إغراها بارتداء ثوب الزفاف والاقتراح بعثمان، ابن الأسرة العريقة المحافظة على الأفكار والعادات القديمة.. إلا أن أسييت فعلت ما لم يكن متوقعاً منها: رمت برقع الزفاف على قدمي العريس، وشتت جميع الذين يحاولون حرمانها حقها في الحرية، وغادرت القرية إلى المدينة.. وانطلق العريس المهان يبحث عنها حتى وجدها.. لكنه فشل في السيطرة على هذه العروس المشتراة.. فقتلها.

هذه الباليه كما قدمها مسرح (باليه وأوبرا كيروف) في ليننغراد، كانت غير عادية من كافة النواحي، وفي مقدمتها، الموسيقى التي وضعها الملحن الداغستاني مراد كزلايف، الذي وفق في دمج التعقيد السيمفوني الحديث مع اللون والأصالة الوطنية.. إن هذه الجمهورية الصغيرة القابعة في أعالي القوقاز، بلغاتها ولهجاتها التي تربو على الثلاثة، تمتلك فناً مميزاً وموسيقى مسرحية تعتبر ترجمة واقعية لتركيبتها اللحنية المتشعب الذي لا

تعريب : توفيق ونوس

سوريا - اللاذقية

الكلاسيكية التقليدية (تغيير مبدئي) للبطل الرئيسي فإن فينوغرادوف يقدم لنا، أداء معقداً، فينعكس أول مونولوج لعثمان على الجذور الاجتماعية لرقصة مجموعة الراعي القومية مع العصي، وهو نوع من الصراع بمهارة وبراعة بما يوحد حركات رقصة الرعاة مع العناصر الكلاسيكية، فيبدو عثمان وكأنه يحتفل معتزلاً بنصره، وذلك بتحليقه في الهواء وانهيأه على الأرض في بحث دام عن شخصية خفية... إنه بهذا يجسد الرجل القوي المتفطرس.

كان هذا المظهر (الرجولي) واضح المعالم منذ البدء... فنبرات عثمان (تهدر) عبر الرقصات... والحركات النشيطة لرفاقه الفلاحين، مبدية رغبتهم على أسيت، تتضح بإخلاصهم للتقاليد الدهرية المتصلبة لشرف العائلة، بينما يربط عثمان هذا الالتزام المتعصب الى تقليد جبلي،

من أجل هذا... كان رفض أسيت بالنسبة له أكثر من إهانة شخصية... إنها مأساة حقة وانهيأ هائل للمسلك الحياتي المقبول.

إن عالم البطل هو عالم كئيب، لأنه عالم من الخرافة والقسوة، عالم تخضع فيه المرأة للرقيق والطاعة العمياء للامقاومة للرجل، وهذه هي اللغة التي يؤمن بها والدا العريس والعروس، كذلك هي اللغة الوحيدة التي يفهما ويقبلها جميع هؤلاء

للفهم، ذلك لأن الأزياء الداغستانية الحقيقية هي بالأصل فاتنة ومزركشة.

أما واضع الألبان الراقصة أولغ فينو غرادوف، فقد أبدع لنفسه شهرة ذائعة الصيت بمنتجاته الأخيرة: سندريلا وبروكوفيف، روميو وجولييت اللتان قُدمتا في بيت أوبرا نوفوسبرسك، وباليه أسل الحديثة على مسرح البولشوي.

لقد انتقل فينو غرادوف الى قلب داغستان ليجري دراسة عملية على عاداتها وتقاليدها وسُئل الحياة فيها، ثم عاد حاملاً في جعبته صوراً رائعة من الأزياء الوطنية المتعددة الألوان ومشاهد فاتنة للحياة اليومية... ومن خلف هذه الإثنوغرافية المعقدة الأسلوب وغير العادية، يستشف المشاهدون معرفة مجسمة للحقيقة التي يرسم بها (مبادئ العامة الإثنوغرافية).

كان كل شيء في هذه الباليه معمماً، وأحياناً يبدو مرمزاً، إلا أن هذا الأسلوب (التصويري الحسي) الشامل للإثنوغرافية منسجم بشكل لا يصدق مع الخط القومي، وهذا ما تندر مشاهدته على مسرح الباليه الحديث.

والحقيقة أن كل تراجمها، تستطيع أن تصور الامكانات الفنية الكامنة في الرقص الكلاسيكي، إذا ما اتصلت بالرقص الشعبي. وعوضاً عن

الرجال المتغطرسون والنساء الخنوعات.

نرى أسييت في رقصتها الأولى تبدو بمزاج بهيج محبب، تزجج أياها بمكر وتحقق بأي عثمان، غافلة عن القدر الذي يخبئه لها هؤلاء الرجال، بينما تردّد صديقاتها، كل مقطع من أغنية أسييت.

كان مزاج أسييت من العمق والتعقيد في البنية، بحيث طرح كل أشكال العنف والقسر، منذها من مطالب أهلها ذوي السلوك المتبذل السخيف، فنراها تجثم على الأرض في وعيد للرجال.. وهذا المشهد الرمزي المعبر يقدم خاتمة للمشهد الأول. وفي المشهد الثاني، نرى أسييت تقف إزاء ينبوع عند الغسق، يغلفها صمت يخترقه عزف صاحب للحصاد.. لم يكن مونولوجها هذا عبارة عن لعبة فتاة مبتهجة فحسب، بل كان حكاية نضال ذاتي من أجل البحث عن مخرج.

وبالنتيجة فإن أمامها طريقين مفتوحين :

أحدهما: يتمثل في نساء يرتدين أروبا سوداء ويرفعن أذرعهن عاليا في تضرعات حدادية، وراحات أيديهن تلامس أعينهن وأذانهن وأفواههن بإيماءات تحذيرية.. إنه استرقاق رهيب وإنكار شامل لكل الأفراح الأرضية.. ذاك هو قدر أسييت إذا ما استسلمت.

أما الطريق الآخر: فهو طريق الاحتجاج.. نرى في المشهد التالي أن الغسق يتبدد ويطل نور السماء البعيدة من خلال كوة ضيقة بلون ذهبي.. وتظهر على المسرح فتيات يرتدين أزياء مشرقة متألقة،

يمارسن حركات مرنة تعبر عن الحرية، ويرقصن رقصات طيرانية ما هي إلا شعور مسبق بالسعادة.. ثم تظهر أسييت نفسها لتطرح عنها القيود الخفية.. وتسري رعشة فرح في أيديها المرتجفة التي هي أشبه بأجنحة عصفور حثيث.. ورأسها مرفوع بكبرياء، ويكل جسدها تتأهب للتطليق بدوران ديناميكي على إصبع قدمها الواحدة.. مبدعة صورة راقصة للطيران بكل معنى الكلمة.

إن هذه الصورة الصعبة للغاية، للصراع الذاتي الذي هو مشكلة حتمية حتى في المسرح الدراماتيكي.. قد أديت بأقصى الوضوح والإتقان في هذه البالية، وتظهر التغيرات الحادة في التراكيب الموسيقية لفرقة البالية الأنثوية، رامة إلى النزاع الرئيسي.

لقد أُولع فينوغرادوف بهذه التغيرات الحادة كثيرا ونراه يقدمها في هذه البالية على أوسع نطاق: خيال أسييت البراق الواضح للعيان.. وأشخاص سود ينطلقون من حلقة الظلام، واحدا فواحدا، بوثبات قصيرة صارمة، يرتدون خوذات وأقنعة غريبة ودروع قضية مموية، يحشرون أسييت في حلقة متضافرة لن تستطيع منها فرارا ولو بأعظم وثبة من وثباتها القانطة. وهذا هو منطق طقوس الزفاف الذي مازال يمارس في داغستان اليوم.. إن تقاد العروس بواسطة فرسان تحت قرع حزين للطلبول وتعاويز انفعالية شريرة للجمهور.

يا للعروس المرزومة .. ويا للعرس الفاجع ..

لا عجب أن سائر الضيوف تقريبا متشحين بالسواد .. ولا عجب أن فواصل رقصات العرس هي تلميحات الى كارثة وشيكة الحدوث .. وذلك يبدو من رقصة الشباب الذين يخبئون رفيفاتهم الراقصات تحت عباءاتهم اللبادية البيضاء، ومن رقصة قارعي الطبول السبعة التي هي أشبه بزويعة تزحف الأنفاس .. الى رقصة (اليزينكا) التي يؤديها ثلاثي نسائي.

وأخيرا يأتي دور التصعيد في رقصات العرس:

رقصة عثمان الانفرادية، هي رقصة مرحلة وحشية لعفريت فارس جسور يختطف عروسه في نمط جبلي تقليدي، ورداً على هذا العمل، ترمي أسبييت إكليلها المرصع بالفضة مع برقع الزفاف على قدمي عثمان بكل هدوء وازدراء .. وتنقلب الى كتلة متمردة غير هيابة، مجسدة الكرامة الإنسانية الثائرة، ومعلنة انفساخها عن القبيلة والعشيرة وحتى عن العائلة، ويدون أن تفسح للأباء الغاضبين مجالا .. تتقدم من العريس وتعطيه خنجراً وتمنحه بركات الجميع للثأر منها .

وبجسارة فذة ينجز فينوغرادوف، تغييرا كليا وفجائيا للحن الراقص في المشهد الثالث: صورة لبينة أسبييت المدينة الجديدة تعج بالدعابة والفتنة وتعطي فكرة تامة عن عادات وأفكار شباب اليوم .. وهي تستند الى مبادئ الباليه الكلاسيكية مع لمسات ناعمة هنا وهناك لعناصر الرقصات الشعبية

والعصرية، تعطي إدراكا للزمان والمكان.

ويتضمن الفصل الثالث رقصات غنائية ثنائية أبعدها فينوغرادوف في قالب مبتكر: فئري راقصتين تتبع لحداهما الأخرى على نغمتين متضاربتين، لكنهما من ضرب كلاسيكي واحد.

الرقصة الأولى هي باليه ثنائية تؤديها أسبييت مع شاب عرقته في المدرسة .. ويبدو الإنسجام المطلق والمتواقت التام لرقصتهما، معبرا عن توافق عقليهما وتناغم قلبيهما .. فإن هما على عتبة حب .. لكن للأسف لن يتحقق .. فحالما تنتهي هذه الباليه الثنائية، تنطلق رقصة غنائية ثنائية أخرى على المسرح، هي حوار بين أسبييت وعثمان .. وهنا يبدع واضع الألحان الراقصة بدعم مثل هذه المتغيرات بدون أي فاصل تقريبا .

حركات عثمان، تصور النصر الثأري للصياد الذي أرهق ضحيته متابعاً طلبه المتغطرس للإنذاع، بالتماس يأس للشفقة: فيرتمي جاثيا على ركبتيه أمام أسبييت - وهذا أمر يرتعد الجبلي لمجرد التفكير به - لكن أسبييت عنيدة وحب الحرية لديها أقوى من رهبة الموت، فأتى ردها مفعما بالقوة والكبرياء ..

وأخيرا تبدو وحيدة على المسرح الخالي، مطعونة بالخنجر، فتتهوى صريعة على الأرض، إلا أنها ما تكاد تلامسها حتى تنتصب ثانية .. مصورة جمود (نصب تذكاري).

هكذا كانت مأساة أسبييت .. مأساة فتاة من التلال، كما رواها جزماتوف وفينوغرادوف.

قصة غير منشورة للكاتب الكبير (ارنست همنغواي)

في كاي وست ليس بمقدورك أن ترى أى خطاف
بحر -
- في كيليم بيتيرز بالتاكيد . تلجأ هذه الطيور
الى شاطئ المرجان .
- فوق الاجزاء المنبسطة .. قال والده .
اين يمكن ان تكون عرفت نورسا يشبه ذاك الذى
في قصتك؟

- ربما اخبرتنى عن هذه الطيور يا أبى .
- انها قصة جيدة جدا . تذكرنى بقصة قرأتها
منذ زمن بعيد .
- اتخيل أن كل شيء يمكن أن يُذكر بشيء ما ..
قال الصبي .

خلال هذا الصيف، كان الصبي قد قرأ الكتب
التي اودعها والده المكتبة، وحين كان الصبي يتخلف
عن المشاركة في لعبة البيسبول أو الذهاب الى حقل
الرماية، يدخل الى البيت لتناول الطعام ويقول غالبا
انه كتب .

«أرئى ما تكتبه حين ترغب في ذلك، أو اطلب
منى حين تواجهك مشكلة . أكتب عن شيء تعرفه .
- هذا ما أفعله .

- لا اريد أن أقرأ من وراء ظهرك أو أن اهمس
في اذنك .. قال الأب .. وعلى أية حال، إذا كنت
ترغب ، أستطيع أن اساعدك في حل مشاكلك

هذه القصة واحدة من سبع قصص
وقصيدة عثر عليها، مؤخرا في محفوظات
ارنست همنغواي في جامعة هارفارد .. هذه
القصة لهمنغواي غير منشورة بأى لغة من
قبل، وربما امتنع الكاتب الكبير ان ينشرها
في حياته لانها أشبه بسيرة ذاتية .

- انها قصة جيدة جدا .. قال الاب مخاطبا
الصبي . اتعلم كم هي جيدة؟
- لم أرد أن أرسلها اليك، يا ابي .
- وهل كتبت قصة غيرها ؟

- لا ، انها القصة الوحيدة . حقا، لم ارد أن
ترسلها اليك . لكن حين نالت تلك الجائزة ...
- أرادت هي أن أساعدك . لكن اذا كانت بمثل
هذه الجودة فانت لا تحتاج الى مساعدة أحد، كل ما
تحتاجه هو أن تكتب . كم صرفت من الوقت في
كتابة هذه القصة؟
- ليس كثيرا ..

- أين سمعت كلاما عن هذا النوع من طيور
النورس ؟

- أحسب انني سمعت عنها في الباهاماس .
- لم تذهب أبدا الى دوغ روكس أو اليوكاي . لم
يكن هناك لا نورس ولا خطاف بحر يأتى الى كان
كأى أو بيمينى .

ترجمة : منى حداد

- سوريا -

قادرا على ذلك. لكنني لم اعرف مطلقا شخصا قادرا على التصوير مثل هذا الصبي حين كان في العاشرة من عمره، ليس تصويراً للاستعراض، لكنه تصوير يناقش فيه المحترفين من الرجال.

كان يجيد التصوير ايضا في الريف حين كان في الثانية عشرة من عمره كان يسدّد كما لو انه يملك نوعا من الرادار. لا يخطئ المرمى مرة واحدة، ولا يترك طيرا يقترب ويصوب بكثير من البراعة، ويأحساس تام بال لحظة و بدقة على طيور التدرج الملطقة عاليا وعلى ملطي البط. كما على الحمام الحي والمنافس، حين كان يقترب من مجال التصوير، يمرّ الصبي عبر الدوارة ويتجه نحو الصفيحة المعدنية التي تحدد بلقافة سوداء مركز تصويريه، عندها يسكت المحترفون ويتفرجون. كان الرامي الوحيد الذي يجعل الحضور صامتا تماما. بعض المحترفين كانوا يبتسمون كما لو انهم اكتشفوا سرا في اللحظة التي ثبت بندقيته الى كتفه ويتأكد من أن عقب البندقية في موضعه. ثم كان خذه يضغط حرف البندقية، ويده اليسرى تكون أسفل البندقية يعلو ويهبط ويتحرك بعد ذلك يسارا، يمينا، ثم يعود الى الوسط. كان كعب قدمه اليمنى يرتفع قليلا في اللحظة التي كان كل شيء فيه ينحني نحو رشقة بيتي النار.

«انا مستعد، قال بصوت خفيض، أجش.. لا يشبه صوت صبي صغير».

«مستعد، أجاب الخادم».

«اطلقها» .. قال الصوت الاجش، وأيا يكن الفخ بين خمسة اخرى محتملة ستفلك الحمامة

البسيطة المتعلقة بأشياء نعرفها كلانا. سيكون ذلك تمرينا جيدا.

- اعتقد بأنني اتدبر امرى جيدا.

- لا ترني شيئا ما دمت لا ترغب في ذلك.

- احببت العبارة كثيرا.

- المشاكل التي حدثتك عنها هي (....) نستطيع أن نذهب معا الى السوق أو الى عراك ديوك، ويعد ذلك، يعتمد كل واحد منا الى كتابة ما رآه. ما يجري وما رأيته وما بقي عالقا في رأسك. اشياء، كمربي الحيوانات الذين يفتحون منقار الديك وينفخون في حنجرته من جديد. الاشياء الصغيرة. حينها نرى ما رآه كل واحد منا».

أحنى الصبي رأسه وحذق بصره.

«أو ربما نستطيع أن نقصد المقهى حيث نلعب عشرة أو عشرين وتكتب بعدها ما سمعته خلال تبادل الاحاديث».

- أخشى الا اكون جاهزا لذلك يا ابي. اعتقد بأنه يستحسن أن اكمل الكتابة على النحو الذي فعلته بقصتي.

- افعل ذلك، لا اريد أن افرض نفسي أو أن أوثر عليك. كانت تمارين وحسب، كان يسرني لو قمت بها معك. تمارين فعلية. ليست جيدة بشكل خاص. كان بإمكاننا أن نجد افضل منها.

- سيكون من الافضل لي على الأرجح أن اواصل الكتابة على النحو الذي فعلته في القصة.

- بالتأكيد قال الاب :

لم اكن لاكتب بمثل براعته حين كنت في مثل سنه .. فكر الاب .. كما لم اعرف ابدا شخصا

عاد الصبي حين قال احد الرماة من الركن «كانت ضربة سهلة يا ستيقي».

والصبي يهز رأسه ويرفع بندقيته، وينظر الى لائحة النتائج.

كان هناك اربعة رماة يسبقون والده. ذهب لملاقاته «لقد استعدت سرعتك»، قال والد الصبي.

- سمعت صرير باب الفخ، قال الصبي. لا اريد أن اشنت انتباهك يا ابي تستطيع أن تسمعها كلها لكن الفخ الثاني اصدر جلبة مضاعفة عن ذاك الذي سبقه. كان عليهم تشميمهما. لكن احدا لم ينتبه لذلك على ما اعتقد.

- اصوب دائما تبعا لصرير الفخ.

- بالتاكيد. واذا كان هناك الكثير من الضجة، فالتصويب الى اليسار، الكثير من الضجة الى اليسار.

لم يوفق والده بطير من الفخ رقم ٢ خلال الجولات الثلاث التي تلت. وحين وفق بواحد، لم يسمع صرير الفخ واصاب الطير في الرشقة الثانية، وكان الطير قد اصبح بعيدا جدا. اذ لامس الحاجز قبل سقوطه ميتا وكانت الضربة موفقة.

«يا الهي، يا ابي، انا متأسف، قال الصبي. لقد شحموها، كان ينبغي أن اغلقها.

جرى ذلك الحديث بينهما خلال الليل الذي تلا المباراة الكبرى العالمية والاخيرة للرماية اذ قال الصبي: «لست افهم كيف يمكن لأحد أن يخطئ حمامة».

- لا تقل ذلك أبدا لأحد غيري، قال الاب.

- لا. اني اقصد ما اقول. ليس من سبب واحد لتفشل ولورمية واحدة...»

الهدف الذي اخطأته، لامسته مرتين، لكنه سقط خارج الحدود.

- بهذه الطريقة بالذات، انت تخسر.

الرمائية، وأيا كانت الزاوية المعطاة للإجنحة من أجل طيران سريع وخفيض فوق العشب الاخضر باتجاه الحاجز الابيض المنخفض، فالرشقة الاولى للبندقية ستصيبها والرشقة الثانية ستصيب موضع الاصابة الاولى. وحين يتخطى العصفور في طيرانه، رأسه ممدود الى الامام، وحدهم الرماة الجيدون يرون الرشقة الثانية تصيب الطير الذي يقضي ولما يزل جانحا في الفضاء.

كان الصبي يخلع بنقديته ثم يعبر مجال التصويب باتجاه السراقق، وقد غاب كل تعبير عن وجهه، وهو يغضي عينيه. بدا غير مكترث للتصفيق، يردد «شكرا» بصوته الغريب الاجش كلما بادره احد المحترفين بقوله: ضربة موفقة، ستيقي، يضع بندقيته على مسند الاسلحة وينتظر رمية والده، وبعد ذلك يتوجهان سويا الى المقهى في الهواء الطلق.

«هل تستطيع أن اشرب قنينة كوكاكولا، يا ابي؟

- قد يكون من الافضل لو تكتفي بشرب نصفها. حسنا، انا متأسف لأنني كنت بطيئا الى ذلك الحد... ما كان علي أبدا أن ادع الطير يتسمر في مكانه.

- كان سريبا سريعا، وقد طار على علو منخفض يا ستيقي.

- ما كان لأحد أن يراه لو لم أكن بطيئا.

- لقد تدبرت أمرك جيدا.

- سأستعيد سرعتي. لا تقلق يا ابي. ليست

الكوكاكولا هي ما سبيطى من حركتي.

الطير الذي اصابه في ما بعد، مات في الهواء، بينما التابض رماه اثناء الطيران الى الحفرة التي في الانحدار. الكل استطاع ان يرى الرشقة الثانية تصيبه قبل أن يصل الى الأرض.

لم يطر الطير اكثر من متر واحد خارج الفخ.

- افهم ذلك جيدا . اذ هكذا خسرت . لكني لا افهم كيف يخطئ رام جيد ولو هدفا واحدا .
- ربما قد تتمكن من الفهم في غضون العشرين سنة المقبلة .

- لم ارد أن اخرج مشارك ، يا أبي .
- لا بأس ، قال الأب . لكن لا تقل ذلك لأي كان .
كان يفكر بذلك حين راح يتسائل عن قصته ان يصبح راميا ماهرا دون تعليم أو دون نظام .
في الوقت الحاضر ، تراه قد نسي كل التدريب الذي تلقاه . نسي كيف يتم ذلك ، حين راح يخطئ الطيور ، نزع الوالد عن ابنه القميص ليديه البقعة الزرقاء التي ارتسخت فوق كتفه في المكان الذي اسند اليه بندقيته بشكل خاطئ . . خلاصه من ذلك بارغامه على النظر دائما الى كتفه ليكون واثقا من ثبات البندقية قبل اطلاق الطير .

نسي قاعدة الثقل على القدم الامامية ، وقاعدة الرأس المنخفض ، كيف تعلم أن ثقل جسدك يثبت على القدم الامامية ، ذلك برفع كعب القدم اليمنى .
الرأس منحرف ، صوب وأطلق النار بسرعة .
الآن لا تهم النتيجة كثيرا . اريد أن تتال منها حال اطلاقها من الفخ . ولا تنتظر أبدا الى شيء آخر غير منقار الطير . اتبع المنقار بعينيك لتسدد جيدا اذا كنت لا تستطيع أن ترى المنقار فسدد حيث يفترض ان يكون المنقار . ما أنتظره منك الآن هو السرعة .

كان الصبي راميا رائعا بالفطرة لكنه دربه ليجعل منه راميا بالغ المهارة . وفي كل سنة حين يصطحبه ويدعه يبدؤ الرماية وفقا لسرعته ، كان يصيب ستة أو ثمانية اهداف من أصل عشرة ، بعد ذلك وصل الى تحقيق تسع اصابات من أصل عشرة ، عجبا اجعل منها عشرين من عشرين كي لا تكون محبطا من الحظ . . وحده الذي في المحصلة يختار الرماة الماهرين .

لم يطلع والده أبدا على القصة الثانية . وما كان راضيا عنها في آخر العطلة الصيفية . قال انه لن يريها لاحد قبل التثبت من نجاحها التام . وحين ينتهي من كتابتها سيرسلها الى والده .

لقد امضى عطلة رائعة ، ومن بين افضل العطل التي سبق أن امضاها . . قال الصبي ، كما كان سعيدا لتمكنه من قراءة كتب كثيرة ، وشكر والده لأنه لم يدفعه كثيرا الى الكتابة ، اذ في النهاية العطلة هي العطلة ، وهذه العطلة كانت جيدة ومن بين افضل العطل التي قد سبق وأمضاها ، ولأنهما امضيا معا حتى الآن افضل الأوقات على الإطلاق .

ولم يقرأ والده القصة التي نالت الجائزة الا بعد مضي سبع سنوات . وجدها في كتاب حين كان يفتش عن قصص غيرها في غرفة الصبي .

حين رآه علم مصدر القصة . تذكر شعورا بالآفة تدوم ، قلب صفحات الكتاب ، وجدها هناك ، لم يتبدل فيها حرف ، وتحمل العنوان نفسه ، داخل كتاب فيه قصص جيدة جدا لكاتب إيرلندي . نسخها الصبي حرفا حرفا واعتمد العنوان الأصلي .

خلال السنوات الخمس الاخيرة . سبع سنوات تفصل صيف القصة المطبوعة عن اليوم الذي وجد فيه الاب الكتاب . لم يرق الصبي بكل ما يمكن أن يكون غبيا وكريها ، فكر الأب . فعل ذلك لأنه مريض ، قال الأب لنفسه وحقارته ناجمة عن المرض . كان جيدا حين وصل الى ذلك الحد .

لكن كل شيء بدأ قبل عام واحد أو اكثر من آخر صيف . في الوقت الحاضر يعلم أن الصبي لم يكن أبدا جيدا . هكذا فكر مرارا وهو يحاول رؤية الاشياء ثانية .

وكان محزنا أن يعرف أن الرماية لا تعني شيئا على الإطلاق .



الفروق في اللغة

الفرق بين الفقير والمسكين

هناك كلمات إذا اجتمعت كل كلمتين منها كان المعنى واحداً، وإذا اختلفتا كان لكل منهما معناها الخاص بها، من ذلك: الإسلام والإيمان، والصدقة والزكاة، والفقير والمسكين .. الخ.

ومعنى الوقف من الموافقة بين الشيئين كالإلتحام، يقال: حلويته وفق عياله أي لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه، قاله الجوهري.

وقال آخرون: بالعكس فجعلوا المسكين أحسن حالا من الفقير، واحتجوا بقوله تعالى: [أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر] [٢] فأخبر أن لهم سفينة من سفن البحر، وربما ساوت جملة من المال، وعضوده بما روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه تعوذ من الفقر [٤]، وروي عنه أنه قال «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً» [٥] فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لتناقض الخبران، إذ يستحيل أن يتعوذ من الفقر ثم يسأل ما هو أسوأ حالا منه، وقد استجاب الله دعاءه وقبضه وله مال مما أفاء الله عليه، ولكن لم يكن معه تمام الكفاية، ولذلك رهن درعه [٦] قالوا: وأما بيت الراعي فلا حجة فيه لأنه إنما ذكر أن الفقير كانت له حلوية في حال، قالوا: والفقير: معناه في كلام العرب المقفور الذي نزع فقره من ظهره من شدة الفقر، فلا حال أشد من هذه، وقد أخبر الله عنهم بقوله [للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض] [٧] واستشهدوا بقول الشاعر [٨]:

لما رأى لبُدُ التسور تطايرت

رفع القوائم كالفقير الأمزل

فإذا قلت عن رجل إنه مؤمن وسكت، أو قلت إنه مسلم وسكت، فلا فرق بين الكلمتين، لكن لو قلت إن فلاناً مؤمن مسلم فهناك فرق بينهما، ومن قال هذه صدقة مالي، أو قال هذه زكاة مالي فلا فرق، لكن لو قال هذه زكاة وصدقة فهناك فرق بينهما، فالزكاة هي الواجبة والصدقة هي التطوع.

ولما كان لهاتين الكلمتين دخل في الفقه: لأن الله تعالى جعل لكل منهما حقاً في الزكاة، في قوله تعالى [إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها] [١] الآية .. فقد اختلف اللغويون والفقهاء في الفرق بينهما على أقوال كثيرة، قال القرطبي [٢]:

واختلف علماء اللغة وأهل الفقه في الفرق بين الفقير والمسكين على تسعة أقوال: فذهب يعقوب بن السكيت والقتبي ويونس بن حبيب: إلى أن الفقير أحسن حالا من المسكين، فقالوا: الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيم، والمسكين الذي لا شيء له، واحتجوا بقول الراعي:

أما الفقير الذي كانت حلويته

وفق العيال فلم يترك له سبيل

وتذهب إلى هذا قوم من أهل اللغة والحديث منهم:

أبو حنيفة والقاضي عبد الوهاب.



د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

مسكيناً) [١٤] الحديث رواه أنس فليس كذلك، وإنما المعنى هاهنا التواضع لله الذي لا جبروت فيه، ولا نخوة، ولا كبر، ولا بطر، ولا تكبر، ولا أشتر، ولقد أحسن أبو العتاهية حيث قال:

إذا أردت شريف القوم كلهم

فانظر إلى ملك في نبي مسكين

ذاك الذي عظم في الله رغبته

وذاك يصلح للخيال والمبين

وليس بالسائل لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد كره السؤال ونهى عنه [١٥] وقال في امرأة سوداء أتت أن تزول له عن الطريق «دعوها فإنتها جبارة» [١٦]، وأما قوله تعالى: [للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون خسرياً في الأرض] [١٧] فلا يتمتع أن يكون لهم شيء، والله أعلم.

وما ذهب إليه أصحاب مالك والشافعي في أنهما سواء حسن، ويقرب منه ما قاله مالك في كتاب ابن سحنون، قال الفقير: المحتاج المتعفف، والمسكين السائل، وروي عن ابن عباس، وقاله الزهري واختاره ابن شعيان، وهو القول الرابع.

وقول خامس: قال محمد بن مسلمة: الفقير الذي له المسكن والخادم إلى من هو أسفل من ذلك، والمسكين الذي لا مال له.

قلت: وهذا القول عكس ما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو - وسأله رجل - فقال ألسنا من

أي: لم يلق الطيران فصار بمنزلة من انقطع صلبه ولصق بالأرض، ذهب إلى هذا الأصمعي وغيره، وحكاه الطحاوي عن الكوفيين، وهو أحد قولى الشافعي وأكثر أصحابه، وللشافعي قول آخر أن الفقير والمسكين سواء لا فرق بينهما في المعنى وإن اختلفا في الاسم، وهو القول الثالث، وإلى هذا ذهب ابن القاسم وسائر أصحاب مالك، وبه قال أبو يوسف.

قلت: ظاهر اللفظ يدل على أن المسكين غير الفقير وأنهما صنفان إلا أن أحد الصنفين أشد حاجة من الآخر، فمن هذا الوجه يقرب قول من جعلهما صنفاً واحداً والله أعلم، ولا حجة في قول من احتج بقوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين) [٩] لأنه يحتمل أن تكون مستأجرة لهم، كما يقال هذه دار فلان إذا كان ساكنها وإن كانت لغيره، وقد قال تعالى في وصف أهل النار (ولهم مقام من حينئذ) [١٠] فأضافها إليهم، وقال تعالى: (ولا تؤثروا السفهاء أموالكم) [١١] وقال صلى الله عليه وسلم: «من باع عبداً وله مال» [١٢]، وهو كثير جداً يضاف الشيء إليه وليس له، ومنه قولهم: باب الدار، وجل الدابة، وسرج الفرس وشبهه، ويجوز أن يسموا مساكين على جهة الرحمة والاستعطاف، كما يقال لمن امتحن بنكة أو دفع إلى بلية: مسكين، وفي الحديث (مساكين أهل النار) [١٣].

وقال الشاعر:

مساكين أهل الحب حتى قبورهم

عليها تراب الذل بين المقابر

وأما ما تأولوه من قوله عليه السلام (اللهم أحيني

(٥) المستدرك للحاكم ٢٥٨/٤، سنن الترمذي ٥٧٧/٤،
مجمع الزوائد للهيثمي ٢١٢/١٠، سنن البيهقي الكبرى
١٢/٧.

(٦) صحيح البخاري ١٠٦٨/٣، صحيح ابن حبان
٢٦٢/١٢، سنن الترمذي ٥١٩/٣، سنن البيهقي
الكبرى ٣٦/٦،
(٧) البقرة/ ٢٧٣.

(٨) البيت للبيد بن ربيعة أنظر ديوانه.

(٩) الكهف/ ٧٩.

(١٠) الحج/ ٢١.

(١١) النساء/ ٥.

(١٢) المنتقى لابن الجارود ١٥٩/١، سنن الترمذي ٥٤٦/٣،
سنن البيهقي الكبرى ٣٢٤/٥، مسند الإمام الشافعي
٢٣٥/١، موطأ الإمام مالك ٦١١/٢، سنن أبي داود
٢٦٨/٣.

(١٣) تفسير الطبري ج: ٢٢، ص: ١٤٠ عن قتادة عن أبي
السوداء قال «مساكين أهل النار، لا يموتون لو ماتوا»
لاستراحوا.

(١٤) تقدم.

(١٥) صحيح البخاري ٥٣٧/٢، صحيح مسلم ١٣٤١/٣،
صحيح ابن حبان ١٣م ٢٧، صحيح ابن خزيمة
١٠٤/١.

(١٦) مجمع الزوائد ج: ١، ص: ٩٩، عن أنس بن مالك قال:
مر النبي (صلى الله عليه وسلم) في طريق ومرت امرأة
سوداء فقال لها رجل: الطريق فقالت: الطريق ثم فقال
النبي (صلى الله عليه وسلم) «دعوها فإنها جبارة» رواه
الطبراني في الأوسط وأبو يعلى، وفيه يحيى الحماني
ضعفه أحمد ورواه بالكتب.

(١٧) تقدم.

(١٨) صحيح مسلم ج: ٤، ص: ٢٢٨٥.

فقراء للمهاجرين؟ فقال له عبد الله ألك امرأة تأتي
إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم،
قال: فانت من الأغنياء قال: فإن لي خادما، قال:
فانت من الملوك [١٨].

وقول سادس: روي عن ابن عباس قال: الفقراء
من المهاجرين، والمساكين من الأعراب الذين لم
يهاجروا، وقاله الضحاك.

وقول سابع: وهو أن المسكين الذي يخشع
ويستكن وإن لم يسأل، والفقير الذي يتحمل ويقبل
الشيء سرّاً ولا يخشع، قاله عبيد الله بن الحسن.

وقول ثامن: قاله مجاهد وعكرمة والزهري:
المساكين الطوافون، والفقراء فقراء المسلمين.

وقول تاسع: قاله عكرمة أيضاً: أن الفقراء فقراء
المسلمين، والمساكين فقراء أهل الكتاب.

وهكذا تبين اختلاف الفقهاء في هاتين الكلمتين:
الفقراء والمساكين.

(قلت) والله أعلم أنهما سواء لا فرق بينهما، كما
قال الشافعي في قوله الثاني، وجل أصحاب مالك، وأبو
يوسف، صحيح أن الواو في الآية للعطف، وهو يقتضي
المغايرة، لكن الواو عند النحاة - وإن كانت للعطف -
فهي لمطلق الجمع، وهنا قد جمعت بينهما الحاجة إلى
المال، فجمع الله تعالى بينهما في الآية التي فيها توزيع
الزكاة. والله أعلم.

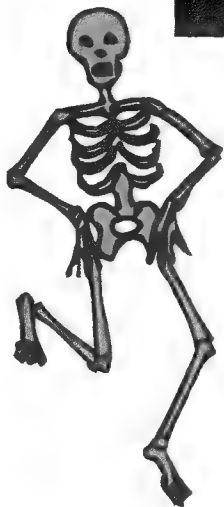
الهوامش:

(١) التوبة/ ٦٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٦٨/٨ - ١٦٩.

(٣) الكهف/ ٧٩.

(٤) صحيح ابن حبان ٢٠٥/٣، المستدرك للحاكم ٧٢٥/١
موارد الظمان ٦٠٥/١، سنن أبي داود ٩١/٢.



المخدرات طريقك الى الملاك

مع تحيات **دار ثقافة** مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٢٢١٢٤ فاكس ٦٤٢٨٨٥٢



سَوْتُ الْحَيَاةِ

سيرة أحمد بن أبي طولون

ألف أبو محمد عبد الله البلوي كتاباً يجمع نوادر ابن طولون التاريخية، ويذكر قصصاً واقعية رويت عنه، وقد أخذ عليه محقق الكتاب الأستاذ محمد كرد علي أنه أفاض في مآثر ابن طولون ولكنه طوى كثيراً من مؤاخذاته الباطشة، وهذا حق، ولكن الذي يشفع للمؤلف أنه لم يكن بصدد تاريخ واقعي لأعمال بطل من أبطال التاريخ، ولكنه كان قصاصاً يذكر أحداثاً رأها أو رويت عنه، ولو كتب مؤلفه على منهج المؤرخين، لذكر كل ما يجب أن يقال، على أن فيما ذكره من القصص ما يصح أن يكون مجالاً للمواخاة، وبخاصة قصص القتل والتعذيب، وسبيلنا الآن أن نذكر من نوادر الكتاب ما يفى بحاجة القاريء العجول.

(مع العمري الثائر عليه):

قام عبد الرحمن العمري بتشكيل جيش يحارب به من يقف في سبيله، وقد اهتم ابن طولون بأمره، وأرسل جنداً لمحاربته، وطالت الحرب دون جدوى، وبعد شهر أتى إليه غلامان من أتباع العمري ومعهما سقط يحمل رأس العمري مقتولا، وأراد بذلك أن يحصلوا على مَغْنَم كبير من ابن طولون، بل ربما تخيلاً أنهما سيصبحان من كبار رجال الدولة نظراً لما قاما به من قتل العمري، أما ابن طولون فقد أحضر من رجاله من يعرف العمري معرفة شخصية ليشهد على الرأس أنه له أم لغيره، فتأكد أن القاتل العمري، وعند ذلك سأل ابن طولون الغلامين: هل أذاكما العمري في شيء؟ وقد كنتما من كبار خاصته؟ فقالا لا: قال هل غيّر حاله معكما فخففتما على أنفسكما؟ قالا لا: قال: ولماذا أقدمتما على قتله ولم تفعل ما يوجب ذلك؟ قالا: نبتغى الخطوة لديك ونكون من كبار أعوانك، وأنت ملك مصر! فقال: يجب أن يقتض منكما، لأن الذي يغدر بصاحبه دون جرم أسلفه، سيغدر بغيره إذا استطاع ذلك؟ وأمر بضرب عنقيهما! وصلبت جثتاها، ثم أمر برأس العمري ففسل وطيب، وشيع في مشهد عظيم!

(عزوفه عن الشهوات)

قالت (نعت) أم ولد أحمد بن طولون، كان عندي جوار من السنوات لم أر أجمل منهن فشوقته إليهن، ووصفتن وصفاً بديعاً، فقال أعرضيهن عليّ، فجعل ينظر إلى كل واحدة، ويقول: حسنة جداً، جميلة جداً، ثم جعل بعد الانتهاء، يبعث بكل واحدة إلى قائد من قواده هدية له، قالت نعت، فاغتظت غيظاً شديداً، وقلت له: أتقدم إليك هؤلاء وهنّ على ما ترى من الروعة والجمال، فتذهب بهن إلى القواد؟

فتبسم وقال لي: أراك مغيظة مما فعلت، قالت نعم، قال فاسمعي: إن رغبتى الآن ليست في الحسان وخلوات النساء، إنما رغبتى في حراسة مملكتي، والسهر على دولتي، وهؤلاء القواد هم عدّتي، وأسباب نجاحي، وينتسبون إليّ انتساب الأبناء إلى الآباء، وشهواتهم مقصورة على الأكل والشرب والنساء، فأنا أوترهم بما يحبون ويشتهون، كما أنهم يؤثرونني بنفوسهم في أشد الأوقات فيبدلون أنفسهم فدائي، ثم قال لها: اعلمي أنني أجسد في قهـم الرجال، واستعدادهم الشخصي لقبول الأعباء، ما لا أجده في ملذات الطعام والنساء!

الريب، فقال له أصحابه أيها الأمير، وكيف عرفت ذلك؟ قال لم أسمع من الصانحات الصارخات ما يدل على حسرة وحرقة. ولم أر في المشيعين من يظهر الأسف فأردت أن أتحقق، ثم أتى لما كشفت عنه وجدت رجله قائمة، والميت تسترخی رجله، فعرفت أنه حي يتصنع الموت.

(رأفة وإشفاق)

قال بعض خدمه، ركب مولاي في يوم بارد، فرأى بشط النيل صياداً عليه ثوب لا يكاد يواريه ومعه صبي في مثل حاله، وقد ألقى شبكته في البحر، ومكث ينتظر، فرق لحاله، وقال لي: ادفع لهذا المسكين ثلاثين ديناراً، فتأخرت حتى دفعتهما إليه، ولحقت به، وفي رجوعه نظر إلى الصياد فوجده ميتاً، وابنه يبكي ويصيح، فظن مولاي أن بعض الأشرار قد قتله لياخذ النقود، فسأل ولده فقال: إن أبى لم يزل يُقَبِّلُ الدنانير حتى سقط ميتاً، ففتش الميت فوجد الدنانير في جيبه لم ينقص منها شيء، فأراد إعطاء المال للصبي، فأبى، وقال: هذه قتلت أبى، فماذا أصنع بها؟ فقال ابن طولون لخادمه: المال يحتاج إلى تدبير، وهذا الصياد لم يحمل ديناراً في جيبه، فحين وجد ثلاثين ديناراً لم يتمالك شعوره وقاضته روحه، ثم دعا القاضي، وقال له، اكتب للصبي قدراً كافياً من المال يجرى عليه كل شهر، كيلا يفقد نفسه إذا أخذ المبلغ جملة واحدة، وقرح الصبي حين علم أنه سيقبض أجراً معلوماً في ابتداء كل شهر، وسيكتفى به هو وأخوته وأمه.

(شيخ في الثمانين)

كان من عادة ابن طولون أن يحضر الفقراء إلى داره، ويقيم المآداب العافلة بأكرم المطاعم، وينظر إليهم من الشرف العالية وهم ياكلون، فيرتاح كثيراً، وقد لحظ أن شيخاً كبيراً في حدود الثمانين قد جمع بعض الطعام حين انتهى الناس من الأكل، ووضعه في لفافة

(في ظلمات السجون)

قال أحمد بن طولون لأحد خاصته، اختر لي شاباً صادقاً أميناً، لعمل خاص يقوم به، قال صاحبه: فجعلت أنفوس فيمن أعرف، حتى اخترت شاباً من أشجع وأذكى وأحسن من عرفت، فتقدمت به إلى ابن طولون، ثم خلا به ساعة، ورجع فأمر بضربه عشرين سوطاً مبرحاً، ثم حمله إلى السجن، فتحيرت، ولم أجبر أن أسأل الأمير، وظللت مشغولاً بما جرى دون أن أعرف له سبباً، وبعد عشرة أيام، جاء الشاب فطرحه الأمير على الأرض وضربه عشرين سوطاً، وبعث به إلى السجن، فجعلت أقلب كفي، وأنا أقول: سبحان الله، ولا أدري سبباً معقولاً لما أراه وبعد شهرين، جاءني الشاب في مظهر أخاذ، وأخبرني أنه أصبح ذا ضيعة غالية وقصر عظيم بفضل رعاية الأمير، فقلت له أخبرني بأمرك فقال: حين خلوت مع الأمير أول ما عرفتنى به، قال لي: إن في السجن جماعة من أعدائي، وأريد أن أعرف ما يقولون عني، فساظهر أنك معاقب، وسأضربك بالسياط، وأبعث بك لتعيش مع هؤلاء فتعلم ما يقولون وما يدبرون، وحين يرونك مضروباً بالسياط لن يشكوا في أمرك، وسيخذونك صديقاً، لا يسترون عنك شيئاً، ثم فعل بي ما رأيته ونهبت إلى السجن، فلم يشك هؤلاء في أنني أحد أعداء ابن طولون، ثم حبس الأمير قوماً آخرين في محبس آخر، واضطر إلى عقابي مرة ثانية لأصنع ما صنعت في المرة الأولى، وقد وفق الله فعلمت أسرار هؤلاء وأولئك، وأبلغت الأمير بكل ما رأيته وسمعت، فغمرني بعطفه وأنعم عليّ بما أنعم.

(في جنازة خادعة)

نظر أحمد بن طولون من قصره إلى مشهد جنازة تمر أمامه، فأمر بإيقاف الجنازة، وإحضار الميت فلما رآه، قال هذا جاسوس ويريد أن يهرب من الحرس إلى الخارج دون أن يشك أحد فيه، فاختر الهرب عن طريق افتعال جنازة يكون هو الميت بها كيلا يثير

وحسن اعتذارك قد كانا لك خير شفيح، فانهب الى أهلك، فإنهم لا محالة قد جزعوا عليك حين بلغهم طلبى لك، ولكن عليك ألا تبرح المنزل. وتسير في الطرق ليلا فتصحب من قطاع الطريق، وينزل به أشد العقاب!

(مع رجال الشرطة)

جمع ابن طولون رجال الشرطة، وقال لهم: إني أمر ليلا بمنازل الأغنياء ثم انتقل الى منازل الفقراء فتجد الشوارع التي يسكنها الموسرون حافلة بالزمر والطرب، وأشم رائحة الخمر، ولولا أني أوثر السلام لدخلت عليهم بيوتهم، وفعلت بهم الأفاعيل، ولكني أقول: ما داموا مستترين في المنازل فلا بأس.

أما منازل الفقراء فلا أمر بشوارع من شوارعهم إلا سمعت كتاب الله يلقى، والناس مجتمعون في المنزل يستمعون، كما أني أحيانا أستمع الى واعظ يأمر بالبر، وينهى عن المنكر، فإذا أذن الفجر خرجوا جميعا الى المسجد، وصلوا وأنا معهم دون أن يشعروا بي، أما الأغنياء فلا يخرج منهم أحد الى بيت الله، ولذلك أمركم أنكم إذا رأيتم في أحياء الأغنياء من يحمل شراب خمر أو أداة لهو، فاعتقلوه، وكافشوه أسوأ المكافأة، وإذا رأيتم في أحياء الفقراء رجلا مسالما يذهب الى بيت جاره فاتركه فقد ذهب الى استماع القرآن، والتأذب بالمواظب الحميدة.

وسار القوم على هذا السنن مستجيبين لأمر ابن طولون.

(ملاحظة للأستاذ كرد علي)

أخذ الأستاذ محمد كرد علي على البلوي أنه استحل في كتابه أن يأخذ أخبارا وقصصا من غيره دون أن ينسبها إليه، وعد ذلك مصدر خطأ خلقى وعلمى، ثم قال إن الله كافأه بمن فعل صنيعه به، لأن المقرئ المورخ الأشهر، قد سطا على أكثر ما ذكره البلوي وسجله في مؤلفاته دون أن يشير إليه فكانت واحدة بواحدة.

وأنا أقول: إن التأليف في الزمن الغابر كان جمعا لدى الكثيرين، دون أن يتحرى أحد نسبة القول الى مصدره، فالحال مؤاخذ وليس البلوي وحده.

صغيرة، ونهض سيرا، فاعترضه بعض الحجاب، وجعل يغمزه حتى سقطت اللقافة وتبعثر ما بها، ونظر الشيخ حائرا، فنهض ابن طولون من مكانه وسأل الحاجب: لماذا صنعت هكذا بالشيخ المسكين، فارتبك، وقال أردت مداعبته، فقسا عليه في الكلام وأمره أن يعد مائدة حافلة بأشهى المأكولات ويحملها على رأسه ويذهب بها مع الشيخ الى منزله، ثم دعا المسكين وقال له: كم لك من العيال فقال خمس بنات بلغن سن الزواج، وثلاثة غلمان وأم، فقال ولماذا لم يتزوجن، فقال الشيخ يا مولاي أنا فقير والناس لا يصاهرون الا الأغنياء، فأمر له بمائة دينار يشتري بها بضاعة يتاجر فيها قدر طاقته ويعاونه أولاده، ثم أمر خازن المال أن يجهز بنات الرجل الخمس جهازا يصلح للعروس الكريمة، مع ما ينبغي لهن من الثياب والحلى، ومنع كل غلام خمسين دينارا تكون رأس مال خاص به، ورجع الشيخ الى منزله وهو لا يصدق أن ليلة القدر قد فتحت له بما حباه ابن طولون من كرم.

(أحد الخاطبين في الظلام)

مر أحمد في جولاته الليلية، وكان الليل قد انتصف، فسمع ضجة على بعض الأبواب، وكلما ارتفع الضجيج نبح كلب فازعج الناس، وتكرر ذلك، فأمر غلمانه أن يبحثوا الأمر، فوجدوا رجلا يقرع باب منزله، وأهله نائمون لم يشعروا بالقرع المرتفع، ولا بتباح الكلب، فساقوا الرجل الى ابن طولون فكاد يغشى عليه لما نزل به من الفرع، فقد حرّم ابن طولون السهر خارج المنزل على العامة والخاصة، فلما مثل بين يديه سألته عن سبب خروجه الى هذا الوقت، وأين كان؟ فقال يا مولاي: لي أصدقاء من طبقتي أشغل وقتي بالحديث معهم لأن النوم لا يعتانني كثيرا، والذي شجعني على ذلك، أن الأمير حفظه الله قد نشر الأمن في المحروسة ليلا ونهارا، فلا يجرؤ أحد أن يقوم بعمل سيء خيفة من بطش الأمير، وقد كنا من قبل أن شرف الله مصر به تحذر المسير ليلا لاضطراب الأمن وفساد الرعية، ولكن همة الأمير العالية بعثت في نفوسنا الاطمئنان والحمد لله رب العالمين.

سرّ الأمير بما سمع، وقال إن فصاحة لسانك،

للتقديم

روعيته



استطر في الفن
والإبداع والكلمة
المنتقام ..

نستخرجها من
صفحات (المنهل)

لن نعيد

الماضية .. نعيد

قراءتها معاً ..

نستعيد بها إبداع

السالفين ممن

«سوا» - إلى المآل

ممن احتضنت

المنهل أقلامهم .. ما

أروع وأبدع وأجمل

أن يغلب المرء

صفحات فلننا

مما نرى وقد تكون

القراءة الثانية

أفضل من الأولى

الأولى ..

الصحافة والفن والحياة العامة

على حياة المجتمع سيطرتها الادبية وأن تتمركز في مقامها المعروف دون أن تستعمل الفن - الذى هو وحي الحياة ونبراسها الوضاء - في بلوغ ذلك ، وتستخدمه في الوصول الى شتى المتغيات ومختلف التمنيات التى تعلق عليها (صاحبة الجلالة) آمالاً واسعة

وتتيط بها أموراً كبيرة تمكنت من الوصول الى بعضها ، ولم تزل تعدو في أثر البعض الآخر .

وقد اصبح الحديث عن الصحافة والفن هو عين الحديث عن صاحبة الجلالة وصاحب السمو والجلالة والسمو؛ لفظان لهما مالهما من الامتياز والتفوق بين الفاظ العظمة والجمال، وينطوى تحتها معنيان قد لا يضارعان بغيرهما، اذا شاعت سياسة التضارع ان تسلك في موازنتها سبيل الحق والاعتدال .

وان كان هناك فروق كبيرة بينهما، مصطلح عليها في التعاريف الدولية والسياسية إلا أن ذلك الفرق وهذا التباين سرعان ما ينمحيان ويتلاشيان امام النظرة الادبية والفنية، إذ يظهران أمامها بمظهر الزمالة والاتحاد في أكثر الظروف أو في جميعها .

هذا ما تيسر لنا أن نكتبه في موضوع الصحافة والفن بمناسبة صدور هذا الجزء الممتاز من صحيفتنا (المنهل الغراء) من ناحية، ومن ناحية أخرى ليستطيع القارئ أن يدرك مدى ما استطاعت أن تصل إليه هذه المجلة الفنية في عدها هذا، حين ينظر إليها نظرتة الصحفية الفنية في نشاط وبشر وانشرح .

(حسين عرب - مكة المكرمة)

المنهل/ ذو الحجة ١٣٥٦هـ

من طبيعة النظرة العينية أو السماع الاذنى التأثير على الشعور القلبي والاحساس النفسي، ومن طبيعة هذين أيضاً توجيه مجرى الحياة الفردية والاجتماعية الى هذه البواعث بعد الاعتقاد التام بصحتها وصدق روايتها أو حقيقة نظريتها .

وهذا التوجيه العام والتأثير الطبيعى هما اللذان يغيران النظرة الى المجتمع الصيوى تعبيراً حقيقياً لا أثر فيه للوهم والشك؛ ولا مجال للظن والارتياح - ومن ذلك تنتج هذه الاعتبارات الصحيحة في التفريق بين العصور المتقدمة والمتأخرة والاضواء الفنية والهيئات النظرية قبحاً وجمالاً، ضعة وسمواً، خطأ وصحة . وتحت قيود هذه الاعتبارات، وفي حدود هذه الاعترافات يعيش المجتمع البشرى راضحاً لاحكامها معترفا بصحتها واعتدالها؛ منعدداً بفتنتها وجمالها .

هيهات للفن اليوم يفوز بطيب السمعة وسمو الذكر وتقدير الرأى العام دون أن يكون للصحافة أقوى تأثير وأبعد فعالية في ذلك . . أجل إن الصحافة اليوم هي لسان الفن، كما انها لسان الحياة، والناس يقولون ان (الحياة الفن والفن الحياة) واذن فالصحافة والفن والحياة اشياء لا يمكن أن تنفصم اليوم عن بعضها ولا تتباين عن اتصالها، مهما تباينت التعاريف اللفظية واختلفت المعاني العرفية والفردية التى تميز كل لفظ على حدته، وتفضل كل معنى عن قبيله في حدود اللغة، وتحت نطاق الاصطلاح لظهار الفرق المعنوى بين اللفظ ومقارنه .

وحقيق أن الصحافة لا يمكن لها ان تسيطر

في الفتى إظهار غفلته) - لأنه أوقفني
موقفاً حرجاً ليس لدى من المقدرة
والمؤهلات، ما أستطيع به التخلص
والخروج من ذلك الموقف ولو (كفافاً لا
علي ولا لي) ولكن:
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر
لعزة من أعراسنا ما استحات



استفتاء طلب مني الإجابة عليه
الاستاذ «الانصاري» صاحب (المنهل)
وعلا طلبه بقوله «تنويراً للذهان وإفادة
للقرءاء» - وأنا لا أدري - ولست أخال
أدري - مع احترامي لحضرتة، واعتقادي
بصراحتة، هل التعليل على ظاهره، أم له
«بطن وظهر»؟! لأنني أعتقد أن عالمنا

تصدق عليه تسمية الفيلسوف «أحمد التتوخي»: عالم
معكوس من بعض النواحي، والا فما الذي حدا
بالانصاري الى استفتاء مثلي في هذا الموضوع المهم
الخطير الكبير، الذي لست من رجال الإجابة عليه،
ولعله استسمن ذا ورم، وحينئذ فلا عتب عليّ حينما
أدعو له منشداً

أعيـنـها نظرات منك ثاقبة

أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولو كان بيني وبينه عداوة - أو صداقة على رأي
حكيم الشعراء: منها ما يضر ويؤلم - لقلت: انه أراد
الانتقام مني بحيلة لطيفة، تعجز أقدار عالم وأعرفه
بطرق الانتقام والدهاء، لأنني بسبب الإجابة، سائبرز
في فضاء رحب، تتعاورني فيه السهام من كل جانب،
أو سادخل في مأزق ضيق؛ لا أستطيع الخروج منه
الا موتوراً، إذ من لازمها - أي الإجابة - تفضيل كتب
وصحف على أخرى؛ بل ارضاء قوم واغضاب
آخرين، حكم ان لم يكن حقيقة فماذا يكون موقعي
من اصحاب الكتب والصحف المفضولة؟! وماذا
يكون موقفهم مني؟!... الجواب ببديهي؛ أو بدهي
كما يقول الانصاري واللغة العربية بمعنى أصح،
وليعدرنى الاستاذ حينما أصبح له بانه - عفا الله عنه
- قد سعى في ضرري وهو لا يعلم، أو يعلم ويظهر
الجهل عملاً بقول «صلاح الدين الصفدي» (من قطة

ولهم أن يصفوني وصفا صادقاً، إزاء موقعي
في اجابة سؤال الانصاري، بذلك الطائر الابله
المسكين الذي ينخدع بمجرد سماع كلمات الاغراء
والدخ فيختر ساقطاً بين يدي خادعيه - ان صدق
«الدميري» - وماذا يضيرني من كوني بتلك الصفة
وسادتنا العلماء يروون «المؤمن غر غافل» وابن
السماك الشاعر يقول: (وما فاز بالذات غير
المغفل)؟!؟

أجل سأجيب على ذلك السؤال، وسأبذل
قصاري في اتخاذ الحيطة، واعداد العدة لارضاء
نفسى والانصاري، والقراء والناس أجمعين، ويعد
ذلك لا أهتم - ولن أهتم - بما ينالني أو اناله من ضرر
أو خير:

وعلي أن أسعى وليس عليّ ادراك النجاح

(حمد الجاسر - ضنيا)

المنهل/ رجب ١٤٥٧هـ

سمو الأمير

عبد الله الفيصل

ينجح بتفوق

في اختبار شهادة

الدراسة الابتدائية

زفت إلينا أنباء أم القرى أنه جرى تأليف لجنة خاصة في مديرية المعارف العامة، لتقوم باختبار صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله نجل حضرة صاحب السمو الملكي نائب جلالة الملك فيصل المعظم. وقد تشرفت اللجنة بأداء مهمتها فاخترت سمو الأمير في مواد دراسة الشهادة الابتدائية، وكانت النتيجة السارة نجاح سموه بتفوق في جميع مواد الدراسة ورفعت النتيجة إلى المقامات السامية فتلقته بالبشر والابتهاج. ونحن نعلن اغتباطنا لهذا النجاح ونقدم أخلص التهاني لسمو الأمير الأملعي، ونرجو لسموه دوام التقدم والنجاح.

المنهل/ شوال وذو القعدة
١٣٥٧هـ

الأثر الذي أحدثه ويحدثه الأدب الحديث.. أو الأدب الجديد في هذه البلاد كبير إلى حد بعيد، وضئيل إلى حد بعيد أيضاً، ولعل هذه إحدى المفارقات في حياة الشعوب التي تقع فيها مضطرة حسب المؤثرات التي تطرأ عليها.

أثر كبير لدى الذين طالعوا هذا الأدب، وتتقفوا ثقافة تساعد على هضم ما ينتج، وهؤلاء لا يتجاوزون الحقة من الأشخاص؛ وهم الذين فتحوا



أعينهم لا على تاريخ الخميس وأعلام الناس وفنودار جحا، بل فتحوا أعينهم على الكتاب الكريم، يفهمون آدابه وأحكامه ورأى بيانه؛ وعلى السنة المشرقة يترسمون بلاغتها وحكمتها، وعلى تواليف العباقرة والنايفين يقرؤونها ويحكمون أراهم فيها نفياً وإثباتاً، ويتذوقون الشعر العالي، المطرب للعجب، ويعرفون أن لهم ماضياً حافلاً بالمجد، وأنهم مسؤولون عن مستقبل يجب أن يعملوا له، ليسعد الشعب ويعتز الوطن، ويرتفع شأن الدين الحق، والخلق الفاضل، ثم هم بعد يرسلون الشعر قصائد مشرقة البيان، رائعة السبك، جليلة المعاني، ويكتبون الكلمات حافلة بالروح الطيب، داعية إلى نهضة جديدة، ونهضة جديدة: من بعض معانيها الأدب الحديث أو الجديد. أفليس أن كل نهضة أساسها أدب يدعو لها ويؤثر فيها، بل ويكيفها ويلونها مما هو معروف في كل دور من أدوار التاريخ وفي كل أرض؟! فحوادث التاريخ متشابهة متشابهة، ومن هنا جاء قولهم: (التاريخ يعيد نفسه).

ويظهر أثر الأدب الحديث كبيراً جداً في هذه السيطرة التي سيطرها على أقلام أدبائنا فهم قد تقمصوه واندمجوا فيه حتى كانوا ينسبون أدبهم القديم، وحتى أنهم لم يكتبوا عن كثير من مظاهر طبيعة بلادهم وآثار بلادهم، فكانهم لما يتأثروا بوسط الصحراء والجبال والخيام والبداءة... هذه قصائد العواد وشجاته وغيرهما لن تجد فيها شيئاً يدلك على أنها قيلت في هذه البيئة، بل أنها لتدل على الروح العام للنهضة الحديثة في العصر الحديث لرجال المدرسة الحديثة، وهذا (وحى الصحراء) - وليس لهما فيه شيء - لا أجد فيه للصحراء وحيّاً؛ أفليس هذا من أثر الأدب الحديث، أو النهضة الحديثة التي أثرت في هؤلاء أثراً كبيراً جداً؟!... وإنك لتعلم بأن هؤلاء لهم أثرهم بعد، مما يدعوني إلى الحكم بأن للأدب الحديث أثره الكبير، وكما هو كبير لدى هؤلاء فإن له قوته عند عشارتهم وأخوانهم فلو أنك نظرت في عشاء السيد شطا وحمزه شحاته والأشئ وأبي عبد المقصود والعامودي والانصاري وحسن كتيبي والعواد وأحمد العربي وعنبر وأمين بن عقيل ومن إليهم لوجدتهم قد زادت ثروتهم من الألفاظ الفصحى ينطقون بها ويتداولون البحث فيها.

(محمد حسين زيدان)
المنهل/ ذو الحجة ١٣٥٧هـ

هل الحروب تطوي الحضارات أم تنشرها

أما حروب الهمج فكم طوت من حضارات ناقعة، وكم طوحت بأسس صالحة إلى مهوي بعيد في عالم الفناء، وأن حصل في بعض الأحيان عكس النتيجة بأن كان في تلك الحضارات المطوية جراثيم لولا الحرب لنخرت في جسمها بالفساد فطوتها بدون أن تطويها الحرب..

فحروب التتر والمغول لا يمكن القول بأنها نشرت حضارة ما في البلاد الإسلامية أو غير الإسلامية مما اكتسحته من بلاد.. ذلك لأن المغول والتتر ليسوا ذوى حضارة يهمهم نشرها في الأمم وإنما وكدهم من الحرب سد عوز الفاقة أو أشباع غريزة التملك والقهر. أما إذا ثارت حرب متبادلة بين المتحضرين فأنها رغم ما تتلفه من أرواح ومواد ينجم عنها تأييد حضارة قديمة أو نشر حضارة محدثة تولدها حاجة الأمم إليها أو تولدها إرادة المتحاربين أن ينشروا قواعد الحضارة.

فالحرب العظمى - وهي حرب متبادلة بين متحضرين رغم دعاياتهم السياسية الموجهة من فريق ضد الآخر - أبادت العالم أكثر مما أخرجت به ونشرت حضارات كانت تنقصها عناصر أو كانت تنقصها حركات تفاعلية تؤدي بها إلى الانتاج والصالح. هذا ما نقرره جواباً على هذا السؤال، ولكنه لا يتناول النتيجة التي تنجم عنه وهي أنه ما دامت الحروب تنشر الحضارات حسبما مر بيانه فلماذا الدعوة إلى السلام؟؟

نعم إن حكمنا لا يتناول حكم السلام، فالسلام مرغوب فيه إذا قامت في النفوس عقيدة خلو الحرب من انتاجه أخيراً أو قلقتها لأركانها الثابتة.

(محمد حسن عواد)

المنهل/ جمادى الآخرة ١٤٥٩هـ

سؤال وجيه يدل على اتجاه الأدباء إلى الحرب، والاهتمام بها كمادة من مواد التفكير الأدبي، ومهما يكن جوابه أكان سلبي أم إيجاباً، أي سواء قرر انطواء الحضارات من جراء الحرب أو قرر انتشارها، فإن التفكير في الحرب والسلام ظل وسيظل موضع اهتمام الأدب.

وتعليل ذلك واضح، فالحضارات بأنواعها: الحضارات المادية التي تنتج وسائل العيش المترفع، والحضارات المعنوية التي تنتج وسائل القراءة المترفة مثلاً، كلها موضوع من موضوعات الأدب ومادامت للحروب صلة بالحضارات - وهبها صلة تدمير أو صلة تدمير - فإنها أصبحت قطعياً من أجزاء الموضوع الأدبي المحض.

أقرر هذا قبل الجواب لما لعله ينشأ عن هذا السؤال الذي يوجهه المنهل إلى الكتاب من تفكير في دخل الحروب في بحث الأدباء وهو سؤال آخر يخطر للبدئية فتجيب عليه البدئية بما لا يخرج عما سبق شرحه في افتتاح هذا الكلام.

فالحروب حركات هدامة يقصد منها - من وجهة نظر معلنيها على الأقل - إيجاد أسس وأوضاع جديدة في عالم العمران، أو نشر أسس أخرى في المبادئ والمذاهب، اجتماعية كانت أو سياسية أو دينية، فغايتها إزالة القديم المبعوض وإحلال الجديد المرغوب محله في النفوس أو البقاع، وغير لازم في منطق الحرب أن يكون لجديدها المبشر به أصلح أو أروع من القديم المزال وإنما اللازم هو أن المحارب «يريد» هذا معتمداً في تنفيذه على فكرة خاصة.

فالحروب تنشر الحضارة ولا تطويها إذا كان القائمون بها ذوى حضارة مقررّة بغيتهم التبشير بها وإبرازها من الخيال المختمر إلى الحقيقة الواقعة.

هل تنهض الرواية العربية، في الوقت الذي ينطفئ، وميضها وتتضائل قيمتها الى الحد الذي يتم فيه اشهار موتها؟!

لقد اعلن النقد الادبي منذ ستينيات هذا القرن، حين اعلن الفيلسوف الفرنسي «جان بول سارتر» موت الرواية على المستوى النقدي التخاطبي، رغم انه اصدر عددا من الروايات الهامة، لم يتحدث عنها ربما لأنها مجرد استكمال لفلسفته، ولا ينبغي النظر اليها الا باعتبارها كذلك، وفي هذا السياق أشار سارتر الى ما يكتب في الغرب من روايات إن هو إلا ضرب من «الآلة الجهنمية» على حد تعبيره - التي يصع اعتبارها تأملا في أقول الرواية واستحالتها أكثر منها روايات.

بهذا القول دلل سارتر على افول الرواية وانطفاء الافق الروائي في الغرب! أما عند «موريس بلانشو» فان الرواية تأتي ضمن سياق عام يقول بنهاية الأدب أصلا، وذلك ضمن الافق الفلسفي القائل بنهاية التاريخ.

هذان الموقفان اللذان يعيان التاريخ والحضارة دون الإشارة الى انهما انما يتحدثان عن تاريخ معين وحضارة معينة هي الحضارة الغربية، وبالتالي فان التعميم يقع في الخلط الذي تنتجه النظرة الى الأمور بعين واحدة.

ومن اجل ذلك فان الناقد الفرنسي البلفاري الأصل «تقيستان تودوروف» في كتابه (نقد النقد) يسخر من هذه النظرة القاصرة ويقول بأن مؤشرات موت الحضارة الغربية ينبغي الا تقودنا الى التسليم بأن كل شيء قد انتهى حقا، وبصورة مطلقة.

«تودوروف» ينتبه الى ما تحققه الرواية في بلدان العالم الثالث من انجازات فكرية وفنية، خصوصا في امريكا اللاتينية، حيث تنحت ملامح جديدة لرواية تضرب جذورها في الواقع وتقيم معمارا فنيا مذهلا كآلة بناء رواي لزمان استمر قرون عديدة قبل أن يولد... وحين شهدت أوروبا افول الرواية تحقق ميلادها في العالم الثالث، حيث قرأ العالم «استورياس» (صاحب رواية السيد الرئيس الشهيرة) و«ارنستو ساباتو» «مبدع صاحبة الوشم» و«ماركيز» (صاحب مائة عام من العزلة، خريف البطريق، والحب في زمن الكوليرا).

واذا كانت الرواية تعيش نزعها الأخير في الغرب، فهذا لا يعني بالضرورة أن الأمر على نفس الشاكلة بالنسبة للمجتمعات الأخرى، فنحن لا ينبغي أن نسلم بمقولات الخطاب الغربي، دون مسألتة عن بدايته فيما يتعلق بمقولة نهاية التاريخ الغربي... هذا اذا كان ثمة نهاية، وهي مفردة في قصورها وسذاجتها، عندما تنجح الى الصراخ بنهاية التاريخ وافوله «ليس تاريخ الغرب ولكن تاريخ العالم، وكان تاريخ الغرب هو تاريخ العالم، وان نهايته هي نهاية كل تاريخ!!».

إن فمسألة الموت والأفول واندحار القيم يظل متعلقا بخواء الحضارة الغربية وعجزها وافلاسها، وعلى النقد أن يستكمل مراسم الدفن ليلتفت الى حيث تتفتح آفاق جديدة في الفكر والإبداع، وليس في امريكا اللاتينية فقط كما أشار «تودوروف» ولكن في الوطن العربي أيضا.

وعندما يتخلص الغرب من عقدة نعي الذات والاكتفاء بالتحبيب على قبرها، ليبداً بقراءة ما ينتجه غيره شعرا ورواية وأدبا، فإنه بلا شك سيجد آفاقا جديدة للإبداع تكفكف دموعه، وتسكت صراخه، وتضيء له عالما آخر كان باستمرار يعتقد أنه ليس الا هامشا من الهوامش عديمة الجدوى والفعالية.

فهل يتوقف صراخ الكآلة لتبدأ رحلة الكشف والاكتشاف، وتلمس مؤشرات المستقبل في ابداع جديد وثري وخالق يكتب مبدعون من أمم العالم الثالث ويقدمون من خلاله الاجابة الحقيقية عن أسئلة العصر، بدل هذه الاجابات الكثيية التي يبشر بها نعاة الحضارة الغربية؟.

أسئلة

الرواية

د. عبدالعزيز ادريس الخطابي

- المغرب -

شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشاركة الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسام المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٤٥ يوماً من صدور العدد.

- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»



طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسام التي ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسام ناقصة الاجابة.
- تجمع القسام الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائز الاول والثاني والثالث وهكذا الى الثامن.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى:	١٠٠٠ ريال	الجائزة السابعة: اشتراك سنوي
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال	في المنهل .
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة: مجموعة اعداد
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال	متفرقة من المنهل، وبعض اصدارات
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريال	الدارة.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريال	

الاسم : السن :

العنوان :

المنظار

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية العدد (٥٨٨)

الفائزون :

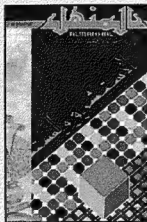
- ١- العلوى فاطمة الزهراء - المغرب - فاس
 - ٢- اسراء محمد حسن - السعودية - المنطقة الشرقية
 - ٣- خان عطية ضيف الله عيال سلمان - الاردن - الطفيلة
 - ٤- ليلى بنت صالح بن عبد الجليل - تونس - مساكن الشرق
 - ٥- مصطفى محمد امين - مصر - كفر الشيخ
 - ٦- عبد الله صدوق - المغرب - الدار البيضاء
 - ٧- محمد محسن احمد اسماعيل منجي - مصر - الشرقية
 - ٨- هدية عبد المقصود محمد - مصر - محافظة الشرقية
- ستشتر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٥٨٩) في العدد (٥٩١) وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين.

قسمة مسابقة العدد (٥٩٠)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة ..

- ١- اشتهر علم التحنيط لدى قدماء :
☐ المصريين (الفرعنة) ☐ الآشوريين ☐ اليونانيين
- ٢- عند دخول العلم عصر «الثورة الصناعية» كان يعيش على الارض ما يقرب من «
☐ مئات الألوف ☐ مليون ☐ بليون
- ٣- انشأ الخليفة المأمون في بغداد معهداً رسمياً للترجمة:
☐ العام ٨٢٠م ☐ العام ٨٢٥م ☐ العام ٨٣٠م

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..



تاريخ صدوره

اسم العدد

شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ
ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ
ربيع الأول وربع الثاني ١٤٠٧هـ
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ
ربيع الأول وربع الثاني ١٤٠٨هـ
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ
ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤٠٩هـ
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ
ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ
شوال ونو القعدة ١٤١٠هـ
ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ
ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ
شوال ونو القعدة ١٤١٢هـ
ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ
شوال ونو القعدة ١٤١٣هـ
ربيع الأول والثاني ١٤١٤هـ
جمادى أول وجمادى ثان ١٤١٥هـ
شوال والقعدة ١٤١٦هـ
شوال والقعدة ١٤١٧هـ
شوال والقعدة ١٤١٩هـ
شوال والقعدة ١٤٢٠هـ
شوال والقعدة ١٤٢١هـ
شوال والقعدة ١٤٢٢هـ
شوال والقعدة ١٤٢٣هـ

الفن
الأمن والأمان
الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة
الثقافة العربية
الدعوة والدعاة
الأثر والآثار
المبادئ البناء والدعوى الهداية
المعادن والتقاليد
سناهل الأشاعع الإسلامي
الاسترقاق والمستشرقون
مكة المكرمة .. المقام والارتحال
الإبداع والمبدعون
الحديث النبوي والقدس .. رواية وهرايه
القرآن الكريم .. الهدى والاعجاز
الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
المدينة المنورة .. دار الهجرة ومآزر الأيمان
اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
القدس .. عروس المآدين
العقارة والمدينة الإسلامية .. عطاء ومدلول
النقد والنقاد
الجغرافية والجغرافيون
المملكة العربية السعودية في مرآة المنهل
الأسرة والمجتمع
التراث الحضاري في الحضارة الإسلامية
الأعلام .. الواقع والمستقبل
البيئة .. توازن أم اختلال

الإصدارات السنوية الخاصة

« متوفرة لمن يرغب في اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جدة)

معنا أنت الفائز



للسنة الثانية على التوالي

البنك الأهلي التجاري يفوز بجائزة أفضل خدمات بنكية إلكترونية

تجسيدا لروح التطور.. ويدافع خدمتك بصفى البنك الأهلي التجاري دائما لكي يقدم أفضل الخدمات التي تضمن لك الراحة التامة في كل عملياتك البنكية. وفوز البنك الأهلي التجاري بجائزة أفضل خدمات بنكية إلكترونية للعام الثاني على التوالي تقديراً لإسهامه المتميز بالاقتصاد السعودي الحديث، هو نتيجة طبيعية لجهود البنك الذي يقدم لعملائه أكبر باقة خدمات بنكية إلكترونية شاملة. وأولاً وأخيراً.. راحتك هي فوزنا الحقيقي.



جوال الأهلي المصرفية



هاتف الأهلي المصرفية



الأهلي أون لاين



صناديق الأهلي الآلي

اشترك اليوم مجاناً بهذه الخدمات المبتكرة عبر موقعنا www.alahli.com أو لدى أقرب فرع لديك.

خدمات الأهلي الإلكترونية

البنك في راحة يدك